

شرح نهج البلاغة

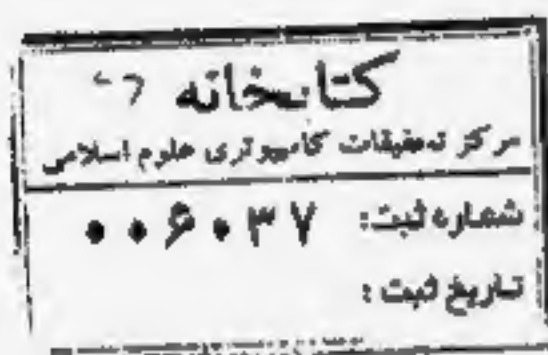
لابن أبي الحديد

محمّد بن
محمّد بن الفضل بن حسين

دار الكتب والوثائق
بيروت - لبنان

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد



الجزء السابع عشر

دارالحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه



منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي
قم - إيران ١٤٠٢ هـ ق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد العدل^(١)

(٤٦)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله :

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّكَ مِمَّنْ اسْتَظْهَرُ بِهِ عَلَى إِمَامَةِ الدِّينِ ، وَأَقْمَعُ بِهِ نَخْوَةَ الْأَشِيمِ ،
وَأَسُدُّ بِهِ لِهَآءِ الشَّعْرِ الْمَخُوفِ .

فَاسْتَمِنَ بِاللَّهِ عَلَى مَا أَمَّكَ ، وَأَخْلَطَ الشَّدَّةَ بِصِغَرٍ مِنَ الدِّينِ ؛ وَارْقُ مَا كَانَ
الرَّقْنُ أَرْقَقَ ، وَاعْتَرَمَ بِالشَّدَّةِ حِينَ لَا تُفْنِي عَنْكَ إِلَّا الشَّدَّةُ .

وَاخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ ؛
وَأَسِرْ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظَرَةِ ، وَالْإِشَارَةِ وَالنَّحِيَّةِ ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْمُظْلَمُ
فِي حَيْفِكَ ، وَلَا يَتَيْسَّ الضُّعْفُ مِنْ عَذْلِكَ . وَالسَّلَامُ .

الشرح :

قد أخذ الشاعر معنى قوله : « وأس بينهم في اللحظة والنظرة » ، فقال :

(١) : « وبه نستعين » ، « وبه نفق » .

اقسم الماحظ بيننا إن في الله ظر لعنوان ما نَجِّنُ الصدورُ

إنما البر روضة فإذا ما كن بشر فروضة وعديرُ

قوله : « وآس بينهم في اللحظة » ، أى اجعلهم أسوة ، وروى : « وساير بينهم في اللحظة » ؛ والمعنى واحد .

واستظهر به : اجعله كالظهر .

والنخوة : الكبرياء : والأئيم : الخلق الذب .

وقوله : « وأسد به لمة الثغر » استعارة بجسنة .

والضنث في الأصل : قبضة حشيش مختلط بأشياء من الرطب ، ومنه « أضفث

الأحلام » للرؤيا المختلطة التي لا يصح تأويلها ، فاستعار اللفظة ها هنا ؛ والمراد : امزج^(١)

الشدّة بشيء من اللين^(٢) فاجعلهما كالضنث ، وقال تعالى : « وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا^(٣) » .

قوله : « فاعزّم بالشدّة » أى إذا جدد لك الحقد فدع اللين ، فإن في حال الشدّة

لا تُفَرِّقِي إِلَّا الشدّة ، قال الفند الزماني :

فلما صرح الشر فأمسى وهو عُريان^(٤)

ولم يبق سوى المدوا سر دنائم كما دانوا

قوله : « حتى لا يطعم العطاء في حيفك » ، أى حتى لا يطعم العطاء في أن تحالّهم على

حيف الضعفاء ، وقد تقدّم مثل هذا فيما سبق .

(١) د : « مزج » . (٢ - ٣) ساقط من د .

(٣) ديوان الحماسة ١ : ٢٣ - بشرح التبريزي ، من شعره في حرب البسوس .

(٤٧)

الأصل :

ومن وصية له عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام لما ضرب به

ابن ملجم لعنه الله :

أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَلَّا تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَإِنْ بَغْتَكُمَا ، وَلَا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا
زُورِي عَنْكُمَا ، وَقُولَا بِالْحَقِّ ، وَاعْمَلَا لِلْآخِرِ ، وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْمًا ، وَلِلْمَظْلُومِ عَوْنًا .
أَوْصِيَكُمْ وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى اللَّهِ وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ ،
وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : صَلَاحُ
ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ .

اللَّهُ اللَّهُ فِي الْإِيثَامِ ، فَلَا تُبْغُوا أَقْوَاهُمْ ، وَلَا يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ .

وَاللَّهُ اللَّهُ فِي جِيرَانِكُمْ ، فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ بَيْنِكُمْ ، مَا زَالَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَنَّا
أَنَّهُ سَيُورِثُهُمْ .

وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ ، لَا يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ .

وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الصَّلَاةِ ، فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ .

وَاللَّهُ اللَّهُ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ ، لَا تَخْلَوْهُ مَا يَقْبِيتُمْ ، فَإِنَّهُ إِنْ تَرِكَ لَمْ تُنَظَرُوا .

وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَالْبَيْنِكُمْ^(١) فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَاصُلِ وَالتَّبَادُلِ ؛ وَإِبَائِكُمْ وَالْقَدَائِرَ وَالتَّقَاطُعَ ، لَا تَتْرُكُوا

الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ ؛ فَيُؤْتَى عَلَيْكُمْ أَشْرَارُكُمْ ، ثُمَّ تَدْعُونَ
فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ .

ثم قال :

يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، لَا الْفَيْسَ كُمْ تَغْرُضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضًا ، تَقُولُونَ :
قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ! أَلَا لَا تَقْتُلُنَّ بِي إِلَّا قَاتِلِي ، انْظُرُوا
إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ خَرَبَتِهِ هَذِهِ فَأَضْرِبُوهُ خَرَبَةً بِخَرَبَةٍ ، وَلَا تُمَثِّلُوا بِالرَّجُلِ ؛ فَإِنِّي
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : إِنَّا كُمْ وَالْمَثَلَةُ وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْمُقْوَرِ .



الْبَرْخُ :

مركز تحقیقات فقهی و حقوقی اسلامی

روى : « واعملوا للآخرة » ، وروى : « فلا تنفروا أفواهكم » ؛ يقول : لا تطلبوا الدنيا
وإن طلبتكم ؛ فإذا كان من تطلبه الدنيا منهياً عن طلبها فن لا تطلبه يكون منهياً عن
طلبها بالطريق الأولى .

ثم قال : « ولا تأسفا على شيء منها زوى عنكم » ، أى قبض ؛ قال رسول الله
صلى الله عليه وآله : « زويت لى الدنيا فأريت مشارفها ومغارها ، وسيلغ ملك أمتى
ما زوى لى منها » .

وروى : « ولا تأسفا » ؛ وكلاهما بمعنى واحد ، أى لا نحزننا ، وهذا من قوله تعالى :
(لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ) (١) .

قوله : « صلاح ذات البين » أخذ هذه اللفظة عبد الملك بن مروان فقال لبنيه وقد جمعا

عنده يوم موته :

انقروا الصفائن بينكم وعليكم
بصلاح ذات البين طول حياتكم
إن القِداح إذا اجتمعن فرامها
عزت فلم تُكسر ، وإن هي بُدَّتْ
عند الغيب وفي حضور الشهد
إن مدًى في عمرى وإن لم يمدد
بالكسر ذو بطش شديد أيدي
فالوهن والتكسر للفتد
وذاث هاهنا زئدة مقحمة .

قوله : « فلا تُفترُوا أفواههم » ، أى لا نجيموم بأن تطعموم غيباً ، ومن روى : « فلا
تفترُوا أفواههم » فذاك لأن الجائع يتغير فيه ، قال عليه السلام : « تَلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ
أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَيْتِ » .

قال : « ولا يضيعوا بحضرتكم » أى لا تضيعوم ، فالنهي في الظاهر للأيتام وفي المعنى
للأوصياء والأولياء ، والظاهر أنه لا يعنى الأيتام الذين لهم مال تحت أيدي أوصيائهم ؛ لأن
أولئك الأوصياء محرم عليهم أن يصيروا من أموال اليتامى إلا القدر الضرر جداً عند الضرورة
ثم يقضونه مع التمكن ، ومن هذه حاله لا يحسن أن يقال له : لا تفترُوا أفواه أيتامكم ،
وإنما الأظهر أنه يسمى الذين مات آباؤهم وهم فقراء يتيمون مواساتهم ويقبح القعود عنهم ، كما قال
تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ (١) ، واليتيم في الناس من قبل
الأب ، وفي البهائم من قبل الأم ؛ لأن الآباء من البهائم لا عناية لهم بالأولاد ، بل العناية للأم
لأنها المرضعة المشفقة ؛ وأما الناس فإن الأب هو الكافل القيم بنفقة الولد ؛ فإذا مات وصل
الضرر إليه لنقد كافله والأم بمنزل عن ذلك . وجمع يتيم على أيتام ، كما قالوا : شريف
وأشراف . وحكى أبو عبيد في التكملة : « كىء وأكاء » ، ولا يسمى الصبي يتيمًا إلا إذا

كان دون البلوغ وإذا بلغ زال اسمُ اليتيم^(١) عنه . واليتامى أحد الأصناف الذين عيّنوا في الخمس بنص الكتاب العزيز .

[فصل في الآثار الواردة في حقوق الجار]

ثم أوصى بالجيران ، واللفظ الذي ذكره عليه السلام قد ورد مرفوعاً في رواية عبد الله ابن عمر لما ذبح شاة ، فقال : أهديتم لجارنا اليهودي ؟ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » ، وفي الحديث أنه صلى الله عليه وآله قال : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ » ، وعنه عليه السلام : « جارُ السوءِ في دارِ المقامةِ قاصصةُ الظلم » ، وعنه عليه السلام : « مَنْ جَهِدَ الْبَلَاءَ جَارُ سُوءٍ مَعَكَ فِي دَارِ مُقَامَةٍ إِنْ رَأَى حَسَنَةً دَفَنَهَا ، وَإِنْ رَأَى سَيِّئَةً أَذَاعَهَا وَأَفْشَاهَا » . ومن أدعيتهم : اللهم إني أعوذ بك من مالٍ يكون عليّ فتنَةً ، ومن ولدٍ يكون عليّ كَلًّا ، ومن حَليلةٍ تقرب الشيب ، ومن جارٍ تراني عيناؤه وترعاني أذناه ، إن رأى خيراً دفنه ، وإن سمع شراً طار به .

ابن مسعود يرفعه : « والذي تقسى بيده لا يُسلم العبد حتى يَسلم قلبه ولسانه ، ويأمن جاره بوائقه » ، قالوا : ما بوائقه ؟ قال : غشّمه وظلمه .

لقمان : يا بني ، حملتُ الحجارة والحديد فلم أر شيئاً أثقلَ من جارِ السوء . وأنشدوا :

ألا مَنْ يَشْتَرِي داراً بِرُخْيسٍ كراهةً بَمَضْرَجِ جِيرَتِهَا تَباعُ
وقال الأصمعيّ : جاور أهل الشام الروم فأخذوا عنهم خصلتين : اللؤم وقلة النيرة ،

وجاور أهل البصرة الخَزَر، فأخذوا عنهم خصلتين : الزنا وقلة الوفاء ، وجاور أهل الكوفة السواد ، فأخذوا عنهم خصلتين : السخاء والغيرة .

وكان يقال : مَنْ تطاول على جاره ، حُرِمَ بركة داره .

وكان يقال : مَنْ آذى جاره ورثه الله داره .

باع أبو الجهم المدوي داره ، وكان في جوار سعيد بن العاص بمائة ألف درهم ، فلما أحضرها المشتري قال له : هذا ثمن الدار ، فأعطني ثمن الجوار ، قال : أي جوار ؟ قال : جوار سعيد بن العاص ، قال : وهل أشتري أحد جواراً قط ؟ فقال : ردّ عليّ داري ، وخذ مالك ، لا أدع جوار رجل ؛ إن قدمتُ سأل عتي ، وإن رآني رَحِبَ بي ، وإن غبت عنه حفظني ، وإن شهدت عنده قرّبتني ، وإن سأله قضى حاجتي ، وإن لم أسأله بدأني ، وإن نابشني نأبئة فرّج عني . فبلغ ذلك سعيداً فبعت إليه مائة ألف درهم ، وقال : هذا ثمن دارك ، ودارك لك .

الحسن : ليس حسنُ الجوار كَفُّ الأذى ، ولكنَّ حسنَ الجوار الصبرُ على الأذى .

جاءت امرأة إلى الحسن فشكت إليه الخلة^(١) ، وقالت : أنا جارتك ، قال : كم بيني وبينك ؟ قالت : سبع أدوير ، فنظر الحسن فإذا تحت فراشه سبعة دراهم ، فأعطاهما إياها ، وقال : كدنا نَهْلِكَ .

وكان كعب بن مامة إذا جاوره رجل قام له بما يُصلحه ، وحماه ممن يقصده ، وإن هلك له شيء أخلفه عليه ، وإن مات وداه لأهله ، فجاوره أبو دُوَاد الإيادي ؛ فزاره على العادة ، فبالغ في إكرامه . وكانت العرب إذا حمدت جارا قالت : جار كجار أبي دُوَاد ، قال قيس بن زهير :

(١) الخلة : الحاجة .

أَطَوَّفَ مَا أَطَوَّفَ ثُمَّ آوَى إِلَى حَارٍ كَحَارِ أَبِي دُوَادٍ^(١)
ثُمَّ تَعَلَّمَ مِنْهُ أَبُو دُوَادٍ، وَكَانَ يَفْعَلُ الْحَارَ فَعَلَّ كَسِبَ بِهِ .

وَقَالَ مَسْكِينُ الدَّارِيِّ :

مَا صَرَ حَارًا لِي أَحَادُثُهُ أَلَا يَكُونُ لِيَاءُ سِنَرٍ^(٢)
أَعْمَى إِذَا مَا إِذَا حَارَتِي خَرَحْتُ حَتَّى يُوَارِيَ حَارَتِي الْحَدَرُ
نَارِي وَبَارُ الْحَارِ وَاحِدَةٌ وَبِهِ قَلْبِي يُنْزَلُ الْقِدَرُ^(٣)

استعرض أبو مسلم صاحب الدولة فرسا محضيرا^(٤) ، فقال لأصحابه : لماذا يصلح هذا ؟
فذكروا ساق الحيل ، وصيذا الطمر والنمام ، واتناع انفار من الحرب ، فقال : لم نضمنوا
شيئاً يصلح للفراد من الحار السوء .

سئل سليمان بن علي بن خالد بن سمعان عن أبيه : محمد وسليمان - وكأما حارته - فقال :
كيف إجمادك حوارهما ؟ فتمثل بقول يزيد بن مفرغ الحميري :

سَقَى اللَّهُ دَارَ آلِي وَأَرْضًا تَرَكْتُهَا فِي حَنْبِ دَارِي مُعْقِلٌ بِي بَسَارِ
أَبُو مَالِكٍ حَارٌ لِحَبِّ وَابْنِ صَمْرَدٍ فَيَا لَكَ حَارِي دَلَقَ وَصَفَارِ !

وفي الحديث الرفوع أيضا من رواية حار : الحيران ثلاثة : فدار له حق ، ودار
له حقان ، ودار له ثلاثة حقوق ؛ فصاحب الحق الواحد جاز مشرك لا رحم له ، فحقه

(١) الصافي والمنصور ٩ : ١٠٠ .

(٢) الأولان في أمالي المرتضى ١ : ٤٣ ، ٤٤ .

(٣) موضعه في أمالي المرتضى :

وَيَصَمُّ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا صَمِي وَمَا بِي عَيْرَةٌ وَقُرُ

(٤) فرس محضير ، أي شديد الحضر ؛ وهو العدو .

حقّ الجوار ، وصاحب الحَقَّين جار مسلم لا رَحِمَ له ، وصاحب الثلاثة جار مسلم ذو رَحِمٍ ،
وأذني حقّ الجوار ألا تؤذي جارك بقتار قَدْرِكَ ، إلا أن تقتدح له منها .

ممت : تقتدح : تعترف ، والمقدحة الفرقة .

وكان يقال : الحيران حمة : الجار بصار استيء الجوار ، والجار الدّيس الحسن
الجوار ، والجار اليربوعي المافق ، والجار البراقشي المتلون في أفعاله ، والجار الحسدلي^(١)
الذي عينه ترائك وقلبه يرعاك .

وروى أبو هريرة ، كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « اللهم إني أعوذ بك
من جار السوء في دار المقامة ، فإن دار المادية تتحول » .

فوله عليه السلام : « الله الله في القرآن » أمرها « المسدعة إلى العمل به ، وسهاها
أن يسبقهما عبرها إلى ذلك ، ثم أمرها بالصلاة والحج .
وشدد الوصاء في الحج ، فقال : « فإنه إن ترك لم تظروا » أي يتمحل الانتقام
منكم .

فأما المثلة فمنع عنها ، أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يمثل مهتار بن الأسود
لأنه رُوّع زيب حتى أحمست ، ثم هي عن ذلك ، وقال : لا مثلة ، المثلة حرام .

(١) الحسدلي : منسوب إلى الحسدلي وهو الفراد .

(٤٨)

الأنزل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية :

فإنَّ النِّمَى وَالرُّؤْرَ يُوتَعَانِ الْمَرْءُ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاةٍ ، وَبُشْدِيَانِ حَلَلُهُ عِنْدَ مَنْ يَمِينُهُ ،
وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ عَيْرٌ مُدْرِكٌ مَا قَصِيَّ قَوَاتُهُ ، وَقَدْ رَأَى أَقْوَامٌ أَمْرًا بِمَعْرِ الْحَقِّ ، فَتَأَلَّوْا
عَلَى اللَّهِ فَأَكْذَبَهُمْ ، فَاحْذَرِ يَوْمًا يُعْطَسُ بِهِ مِنْ أَحْمَدَ عَاقِبَتِهِ عَمَلُهُ ، وَيَتَدَمُّ مِنْ
أَمْكَنِ الشَّيْطَانِ مِنْ قِيَادِهِ فَنَمُ يُحَادِنُهُ ، وَقَدْ دَعَوْنَا إِلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ وَلَسْتُ
مِنْ أَهْلِهِ ، وَلَسْنَا بِإِنَّاكَ أَحْسَنًا ، وَلَكِنَّا أَحْسَنُ الْقُرْآنِ فِي حُكْمِهِ ، وَالسَّلَامُ .

التبريح :

يُوتَعَانِ : يَهْتَكُنُ ؛ وَالْوَسْعُ بِالْتَحْرِيكِ : الْهَلَاكُ ؛ وَقَدْ وَنَعَ يُوْتَعُ وَتَمًا ، أَيْ أُنِمْ
وَهَلَكَ ، وَأَوْتَعَهُ اللَّهُ : أَهْلَكَهُ اللَّهُ ، وَأَوْتَعُ فُلَانٌ دِينَهُ بِالْإِنِّمِ .

قوله : « فَتَأَلَّوْا عَلَى اللَّهِ » ، أَيْ حَلَفُوا ، مِنَ الْآلِيَةِ وَهِيَ الْيَمِينُ ، وَفِي الْحَدِيثِ : « مَنْ تَأَلَّى
عَلَى اللَّهِ أَكْذَبَهُ اللَّهُ » ، وَمَعْنَاهُ : مَنْ أَقْسَمَ تَحَرُّاً وَاقْتِدَاراً : لِأَفْضَلِ كُذَّاءً ، أَكْذَبَهُ اللَّهُ
وَلَمْ يَبْلُغْ أَمَلَهُ .

وَقَدْ رَوَى : « تَأَوَّلُوا عَلَى اللَّهِ » أَيْ حَرَّفُوا الْحُكْمَ عَنْ مَوَاصِفِهِ ، وَتَعَلَّقُوا بِشِبْهِةٍ
فِي تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ انْتِصَاراً لِمَذَاهِبِهِمْ وَأَرَائِهِمْ ، فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ بِأَنَّهُ أَطَهَرَ لِلْعُقُلَاءِ فَسَادَ تَأْوِيلَاتِهِمْ .
وَالأَوَّلُ أَصَحُّ .

وَيَغْتَبِطُ فِيهِ : يَفْرَحُ وَيُسِرُّ ، وَبِصَّةٌ : اسرور ، دوى « يَغْبِطُ فِيهِ » أَيْ يَتَمَنَّى
مِثْلُ حَالِهِ هَذِهِ .

قوله : « وَبَدِمَ مِنْ أَمْكِنِ الشَّيْطَانِ مِنْ قِيَادِهِ فَلَمْ يَحَادِثْهُ » الْيَاءُ الَّتِي هِيَ حَرْفُ
الْمَصَارَعَةِ عَائِدَةٌ عَلَى الْمَكَلِّفِ الَّذِي أَسْكَنَ الشَّيْطَانُ مِنْ قِيَادِهِ . يَقُولُ : إِذَا لَمْ يَحَادِثْ
الشَّيْطَانُ مِنْ قِيَادِهِ فَإِنَّهُ يَنْتَدِمُ ؛ فَأَمَّا مَنْ حَادَثَهُ قِيَادَهُ فَقَدْ قَامَ عِنْدَهُ عَلَيْهِ .

ومثله قوله : « وَلَسَا بِإِيَّاكَ أَحْسَا » قوله : « وَاقَهُ مَا حَكَمْتَ مَخْلُوقًا وَإِنَّمَا حَكَمْتَ
الْقُرْآنَ » وَمَعْنَى « مَخْلُوقًا » : بَشَرًا لَا مَخْدُودًا .

(٤٩)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضا :

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَشْعَمَةٌ عَنْ غَيْرِهَا ، وَلَمْ يُصَبْ صَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا فَتَحَتْ
لَهُ جِرْمًا عَلَيْهَا ، وَهَجَا بِهَا ، وَلَنْ يَسْتَمِيَ صَاحِبُهَا بِمَا نَالَ فِيهَا عَمَّا لَمْ يَشْعُمُ مِنْهَا ،
وَمِنْ وَرَاءَ ذَلِكَ فِرَاقُ مَا جَمَعَ ، وَنَقْصُ مَا كَثُرَ ، وَلَوْ اعْتَرَتْ بِهَا مَعِي ، حَقِطَتْ
مَا بَقِيَ ؟ وَالسَّلَامُ .

الْبَيْتُ :

هذا كما قيل في الثعل : صاحب الدني كشارب ماء البحر ؛ كلما ازداد شرباً
ازداد عطشاً ، والأصل في هذا قول الله تعالى : « لَوْ كُنَّ لَابْنِ آدَمَ وَادِبَارٍ مِنْ دَهْرٍ
لَابْتَنَى لَهَا تَالِثًا ، وَلَا يَمْلَأُ عَيْنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ » ، وهذا من القرآن الذي رُفِعَ
ونسخت تلاته .

وقد ذكر نصر بن مزاحم هذا الكتاب وقال :

بْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَتَبَهُ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، وَرَادَ فِيهِ زِيَادَةٌ لَمْ يَذْكُرْهَا
الرَّصِي : أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَشْغَلَةٌ عَنِ الْآخِرَةِ ، وَصَاحِبُهَا مِنْهُومٌ ^(١) عَلَيْهَا ، لَمْ يُصَبْ
شَيْئًا مِنْهَا قَطُّ إِلَّا فَتَحَتْ عَلَيْهِ حَرَصًا ، وَأَدْحَتْ عَلَيْهِ مَوْتَةً ^(٢) تَرِيدُهُ رَغْبَةً فِيهَا ؛

(١) صديق : « مشغول فيها » . (٢) صديق : « موتة » .

ولن يستغنى صاحبها بما نال مما لم يدرك ، ومن وراء ذلك فراق ما جمَعَ ؛ والسعيد مَنْ
وَعِظَ بِمِيره ، فلا تُخْطِطْ أَحركَ أبا عبد الله ^(١) ولا تشرك معاوية في باطله ^(٢) ؛ فإن معاوية
غصَّ الناس ، وسفَّه الحق ^(٣) . والسلام ^(٤) .

قال نصر : وهذا أوَّل كتاب كتبه على عليه السلام إلى عمرو بن العاص ، فكتب
إليه عمرو جوابه :

أما بعد ، فإن الذي فيه صلاحا ، وألفة ذات بيننا ، أن نُجِيبَ إلى الحق ^(٥) ،
وأن نُجِيبَ إلى ^(٦) ما تدعوكم إليه من اشورى ^(٧) ؛ فصرَّ الرجلُ ما نَفَّهَ على الحق ،
وعدَّه النَّاسُ بالمحاجة ، والسلام ^(٨) .

قال نصر : فكتب على عليه السلام إلى عمرو بن العاص بعد ذلك كتاباً عريضاً .
وهو الذي صرَّب مثله فيه السَّكْبِي بِبيع الرجل ، وهو المذكور في " نهج البلاغة " ،
واللهج : الحرص .

ومعنى قوله عليه السلام : « لو اعتبرت بما مضى حِطَّتْ ما بَقِيَ » ، أى لو اعتبرت
بما مضى من عمرك لحطت ما بقيه أن تنفقه في الصَّلال وطلب الدنيا ونصيحه .

(١-١) صعب : « ولا تجارين معاوية في باطله » .

(٢) غصَّ الناس : احتقرهم ؛ وسفَّه الحق ، أى جهله .

(٣) صعب ١٢٤ . (٤) تدب إلى الحق : ترجع .

(٥ - ٦) صعب : « أن نجيب إلى ما تدعون إليه من اشورى » .

(٦) صعب ١٢٣ .

(٥٠)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى أمرائه على الجيوش :

من عند الله على بن أبي طالب أمير المؤمنين راحة إلى أصحاب السالحي :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ حَقًّا عَلَى الْوَالِي أَلَّا يُنْفِرَهُ عَلَى رَعِيَّتِهِ فَسَلُّ نَالَهُ ، وَلَا طَوْلَ
حُصْنٍ بِهِ ، وَأَنْ يَرِيدَهُ مَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ مِنْ نِعْمِهِ دُونَاً مِنْ عِدِّهِ ، وَعَظَمًا
عَلَى إِخْوَانِهِ .

أَلَّا وَإِنْ لَكُمْ عِنْدِي أَلَّا أُخْتَبِرَ دُونَكُمْ سِرًّا إِلَّا فِي حَرْبٍ ، وَلَا أُطَوَّرَ
دُونَكُمْ أَمْرًا إِلَّا فِي حُكْمٍ ، وَلَا أُؤَخَّرَ لَكُمْ حَقٌّ عَنْ بَعْدِهِ ، وَلَا أُؤَيَّرَ دُونَ
مَقْعَدِهِ ، وَأَنْ تَكُونُوا عِنْدِي فِي الْحَقِّ سَوَاءً ، هَذَا فَمَنْتُ ذَلِكَ وَجَعْتُ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ
الذِّمَّةَ وَلِيَّ عَلَيْكُمْ الطَّاعَةَ ، وَأَلَّا تَنْكِصُوا عَنْ دَعْوَةٍ ، وَلَا تَفْرُطُوا فِي مَلَايحٍ ،
وَأَنْ تَحْضُوا الْعِمَرَاتِ إِلَى الْحَقِّ ، فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا لِي عَلَى ذَلِكَ ، لَمْ يَكُنْ
أَحَدٌ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إغْوَاخِ مِنْكُمْ ، ثُمَّ أُعْطِمُ لَهُ الْمُتُوبَةَ ، وَلَا يَحْدُ عِنْدِي
فِيهَا رُحْصَةٌ .

فَحَذُّوا هَذَا مِنْ أَمْرَائِكُمْ ، وَأَعْظُوهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مَا يُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ أَمْرَكُمْ ،
وَالسَّلَامُ .

البَيْعُ :

أصحابُ السَّالْحِ : جماعات تكون بالشَّرع يحْمون البَيْعَةَ ، والسَّلَاحَ هِيَ الثَّغَرُ ، كالرَّعْبَةِ ،
وفى الحديث : « كُنْ أَدْنَى مَسَاحِرِ فَرَسٍ إِلَى الْقَرْبِ الْمُذْيِبِ » ^(١) ؛ قال : يجب على الوالى
أَلَّا يَتَطَاوَلَ عَلَى الرِّعْيَةِ بَوْلَايَتَهُ ، وَمَا خُصَّ بِهِ عَلَيْهِمُ مِنَ الطُّوْلِ وَهُوَ الْفَصْلُ ؛ وَأَنْ تَكُونَ
تِلْكَ الزِّيَادَةُ الَّتِي أُعْطِيَهَا سَبَباً لَزِيَادَةِ دَنَوِهِ مِنَ الرِّعْيَةِ وَحَنَوِهِ عَلَيْهِمْ .

ثُمَّ قَالَ : « لَكُمْ عِنْدِي أَلَّا أُحْنِيزَ دُونَكُمْ بَسْرًا » ، أَيْ لَا أُسْتَر . قال : « إِلَّا لِي
حَرْبٌ » ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْحَرْبَ يَحْمَدُ فِيهَا عَلَى الْأَسْرَارِ ، وَالْحَرْبُ حُدُودٌ .

ثُمَّ قَالَ : « وَلَا أَطْوِي دُونَكُمْ أَمْرًا إِلَّا لِي حُكْمٌ » ، أَيْ أَظْهَرَكُمْ عَلَى كُلِّ مَا نَفْسِي
مِمَّا يَحْسُنُ أَنْ أَظْهَرَكُمْ عَلَيْهِ ؛ فَأَمَّا أَحْكَامُ الشَّرِيعَةِ وَالْقَضَاءِ عَلَى أَحَدِ الْخَصْمَيْنِ فَإِنِّي
لَا أَعْلَمُكُمْ بِهِ قَوْلَ وَفَوْقَهُ ، كَيْلَا نَصُدَّ النِّصْبَةَ بِأَنْ يَحْتَالَ ذَلِكَ الشَّخْصُ لِمَعْرِفَةِ
الْحُكْمِ بِهِ

ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ لَا يُوَخَّرُ لَهُمْ حَقٌّ عَنْ مَحَلِّهِ - بِمَعْنَى الْعَطَاءِ - وَأَنَّهُ لَا يَقِفُ دُونَ مَقْطَعِهِ ،
وَالْحَقُّ هَاهُنَا غَيْرُ الْعَطَاءِ ، بَلِ الْحُكْمُ ، قَالَ رُهِير :

فَإِنَّ الْحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ يَعْنِي أَوْ يَبَارِزُ أَوْ حَلَاءً ^(٢)

أَيْ مَتَى تَعَيَّنَ الْحُكْمُ حَكَمْتُ بِهِ وَقَطَعْتُ وَلَا أَهَبُ ، وَلَا أَتَحَسَّسُ .

وَلَمَّا اسْتَوْفَى مَا شَرَطَ لَهُمْ قَالَ : فَإِذَا أَنَا وَقَبْتُ مِمَّا شَرَطْتُ عَلَى نَفْسِي وَجِبَتْ لِي عَلَيْهِمُ
الْقَعْمَةُ وَلِي عَلَيْهِمُ ^(٣) الطَّاعَةُ .

ثُمَّ أَحَدٌ فِي الْأَشْرَاطِ عَلَيْهِمْ كَمَا شَرَطَ لَهُمْ ، فَهَالِكٌ : وَلِي عَلَيْهِمْ أَلَّا تَكْصُوا عَنِّي

(١) العَدَبُ : فَالْتَصِيرُ : يَصْنُقُ عَلَى مَوَاصِعَ ؛ مِمَّا دَعَا مِنَ الْقَادِسِيَةِ وَالنَّبِيَّةِ ؛ يَبْهَ وَيَبِي الْقَادِسِيَةِ

أَرْضُهُ أَمِيَالٌ . (٢) دِيَوَانُهُ ٢٥ . الْغَارُ : الْمَدْرَةُ بِمَعْنَى الْحَاكِمِ ؛ أَوْ رَجُلٌ مُحْكَمٌ مِنْهُمْ . الْجَلَاءُ :

أَنْ يَنْكَشِفَ الْأَمْرُ وَيَنْجَلِ . (٣) ١ : « نَحْوَكُمْ » .

دمرة ، أى لا تتفاعدوا عن الجهاد إذا دعوتكم إليه ، ولا تفرطوا فى سلاح ؛ أى إذا أمكنتكم فرصة ، أو رأيتم مصلحة فى حرب العدو أو حماية الثغر ، فلا تفرطوا فيها فتفوت . وأن تخوضوا الغمرات إلى الحق ؛ أى تكابدوا المشاق العظيمة ؛ ولا يهولكم خوضها إلى الحق .

ثم توعدهم إن لم يفعلوا ذلك ، ثم قال : فخذوا هذا من أمرائكم ؛ ليس يعنى به أن على هؤلاء أصحاب السلاح أمراء من قسمة عليه السلام كالواسطة بينهم وبينه ، بل من أمرائكم ؛ يعنى متى وضمن يقوم فى الخلافة معادى عدى ، لأنه لو كان القرض هو الأول لما كان محلهم عنده أن يقول : « ألا احتقر دوسكم سرى ولا أطوى دوسكم أمرا » . لأن عمل من كان بتلك الصفة دون هذا ؛

(٥١)

الأصل :

ومن كتب له عليه السلام إلى عماله على الخراج .

من عبد الله على أمير المؤمنين إلى أصحاب الخراج :

أَمَّا تَدُّ الْفَانِ مَنْ لَمْ يَحْدَرْ مَا هُوَ رَزَقَ إِلَيْهِ ، لَمْ يُقَدِّمْ لِنَفْسِهِ مَا يُخْرِجُهَا .
وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا كُفِّتُمْ بِسِرِّهِ ، وَأَنَّ ثَوَابَهُ كَثِيرٌ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيمَا مَعَى اللَّهِ
عَمَهُ مِنَ النَّعْمِ وَالْعُدْوَانِ عَمَتٌ يُخَافُ ، لَكُنْ فِي ثَوَابِ اخْتِيَارِهِ مَا لَا عُدَّةَ فِي تَرْكِهِ
مَلِيهِ ، فَانْصِبُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ، وَاصْبِرُوا بِخَوَارِجِهِمْ ، فَإِنَّكُمْ حُرَّانُ الرِّعْيَةِ ،
وَوَكَلَاءُ الْأُمَّةِ ، وَسُفَرَاءُ الْأُمَّةِ ، وَلَا تُخْشِعُوا أَحَدًا عَنْ حَاجَتِهِ ، وَلَا تَخْسِئُوهُ
عَنْ طَلَبَتِهِ ، وَلَا تَيَمِّمُوا النَّاسَ فِي الْحَرَاحِ كُسُورَةَ شِتَاءٍ وَلَا صَيْفٍ ، وَلَا دَانَةَ يَتَمَلُّونَ
عَلَيْهَا ، وَلَا عَدَا ، وَلَا تُصْرِفُوا أَحَدًا سَوْطًا لِمَكَانٍ دَرَاهِمٍ ، وَلَا تَمْسَسْ مَالَ أَحَدٍ
مِنَ النَّاسِ مُصْلَرًا وَلَا مُعَاهِدًا ، إِلَّا أَنْ تَحْدُوا قَرْمًا أَوْ سِلَاحًا يُمْدَى بِهِ عَلَى أَهْلِ
الْإِسْلَامِ ، فَإِنَّهُ لَا يَدْعَى لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَدْعَ ذَلِكَ فِي أَيْدِي أَغْدَاءِ الْإِسْلَامِ ، فَيَكُونَ
شَوْكَةً عَلَيْهِ .

وَلَا تَدْخِرُوا أَنْفُسَكُمْ لَصِيحَةٍ ، وَلَا اجْنُدْ حُسْنَ سِيرَةٍ ، وَلَا الرِّعْيَةَ مَمُونَةً ،
وَلَا دِينَ اللَّهِ قُوَّةً .

وَأَبْلَوْهُ فِي سَبِيلِ مَا اسْتَوْجَبَ عَيْنُكُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدِ امْطَمَعَ عِنْدَنَا

وَعِنْدَكُمْ أَنْ تَشْكُرُوا بِجُهِدِنَا ، وَأَنْ تَنْصُرَهُ بِمَا بَدَعَتْ قُوَّتُنَا ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ
الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

الْبَرْخُ :

يقول : لو قدرنا أن القبايح المقيئة كالصم وإبهي لاعتاب على فعلها بل في تركها ثواب
فقط ؛ لم يكن الإنسان معدوداً إذا فرط في ذلك وترك ؛ لأنه يكون قد حرّم نفسه نفعا هو
قادر على إيصاله إليها .

قوله : « وَلَا نُحْشَمُوا أَحَدًا » ؛ أي لا تنصبوا طال حاجة فتقطعوه عن طلبها ،
أحشمت زيدا ، وجاء « حَشَمَهُ » ، وهو أن يحبس إليك فتقصه وتؤديه . وهال
ابن الأعرابي : حشمته : أحشنته ، وأحشمته : أعصبته ، والاسم الحشمة ، وهي
الاستحياء والفض .

ثم نهام أن يبيعوا لأرباب الخراج ما هو من ضرورياتهم كثياب أبدانهم وكذا آية
يعتَمِلُون عليها ، نحو قتر العلاحة ، وكسند لابتدئ الإنسان منه بخدمة ، ويسعى
بين يديه .

ثم نهام عن ضرب الأبخار لاستيفاء الخراج

وكتب عدي بن أرطاة إلى عمر بن عبد العزيز يستأذنه في عذاب العمال ، فكتب إليه :
كأن لك جنة من عذاب الله ، وكان رصاي يحبك من سخط الله ! من قامت عليه يقة ،
أو أقر بما لم يكن مسطهدا مضطرا إلا الإقرار به ، فحذوه ثدائه ؛ فإن كان قادرا عليه فاستأذ ،
وإن أبى فعليه ، وإن لم يقدر على سبيله ؛ فمد أن تحذفه بالله أنه لا يقدر على شيء ، فلأن
يلقوا الله بجناياتهم أحب إلى من أن القاء بدمائهم .

ثم نهاهم أن يعرضوا لمال أحد من المسلمين أو من المعاهدين ؛ المعاهد هاهنا : هو الذي
أو من يدخل دار الإسلام من بلاد الشرك على عهد ، إما لأداء رسالة ، أو لتجارة : ونحو
ذلك ، ثم يعود إلى بلاده .

ثم نهاهم عن الظلم وأخذ أموال الناس على طريق المصادرة والتأويل الباطل ؛ قال :
إلا أن تخافوا عائلة المعاهدين ، فإن تمدوا عنهم حيولا أو سلاحا ، وتعتقوا منهم وثبة على بلد
من بلاد المسلمين ، فإنه لا يجوز الإغصاء من ذلك حيث .

قوله : « وأولوا في سبيل الله » ، أي اسطنعوا من المروء في سبيل الله ما استوجب
عليكم ، يقال : هو يملؤه مروه ، أي يصبه فيه ، قال رهير :

حَزَى اللهُ بِالْإِحْسَابِ مَا قَلَّ بِكُمْ وَأَبْلَاهَا حَيْرَ الْبَلَاءِ الَّذِي يَنْلُو^(١)

قوله عليه السلام : « قد اسطعنا عندنا وعمدكم أن نشكركم » ، أي لأن نشكركم ، بلام
التعجيل وحدهما ، أي أحسن السا لشكركم ، وحدهما أكثر نحو قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ مَا
قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ ﴾^(٢) .

(٥٢)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى أمراء البلاد في معنى الصلاة .

أَمَّا بَعْدُ فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الطُّهْرَ حَتَّى تَعِيَ الشَّمْسُ مِثْلَ مَرِيضِ الْمَعْرِ ، وَصَلُّوا بِهِمُ
الْمَعْرِ وَالشَّمْسُ تَبْيَضُ حِينَ فِي عَصْرِ مِنْ أَشَارِ حِينَ يُسَارُ فِيهَا فَرَسَحَانِ ، وَصَلُّوا
بِهِمُ الْمَغْرِبَ حِينَ يُغِطِرُ الْعَائِمُ ، وَيَنْدَفِعُ الْحَاحُ إِلَى مِيٍّ ، وَصَلُّوا بِهِمُ انْشَاءً حِينَ
يَتَوَادَى الشَّقَقُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ ، وَصَلُّوا بِهِمُ انْعِدَاةَ وَالْخُلُ يُغْرِبُ وَحَةَ صَاحِبِهِ ،
وَصَلُّوا بِهِمُ صَلَاةَ أَسْمَعِيهِمْ ، وَلَا تَكُونُوا أَفْقَانِ

الْبَرْجُ

[بيان اختلاف الفقهاء في أوقات الصلاة]

قد اختلف الفقهاء في أوقات الصلاة ، قال أبو حنيفة : أول وقت الفجر إذا طلع الفجر
الثاني : وهو العرص في الأفق ، وآخر وقتها ما لم تظلم الشمس . وأول وقت الظهر إذا
زالت الشمس ، وآخر وقتها إذا صار ظل كل شيء مثليه سوى الزوال . وقال أبو يوسف
ومحمد : آخر وقتها إذا صار الظل مثله .

قال أبو حنيفة : وأول وقت العصر إذا خرج وقت الظهر ؛ وهذا على القولين ،
وآخر وقتها ما لم تغرب الشمس ، وأول وقت المغرب إذا غربت الشمس ، وآخر وقتها

ما لم ينب الشفق ؛ وهو البياض الذي في الأفق بعد الحرة . وقال أبو يوسف ومحمد : هو الحرة .

قال أبو حنيفة : وأول وقت المشاء ، ما غاب الشفق ، وهذا ^(١) على القولين ، وآخر وقتها ما لم يطلع الفجر .

وقال الشافعي : أول وقت الفجر إذا طلع الفجر الثاني ، ولا يزال وقتها المختار ما بقي إلى أن يسفر ، ثم يبقى وقت الحوار إلى طلوع الشمس .

وقال أبو سعيد الإسطخري من الشافعية : لا يبقى وقت الحوار ، بل يخرج وقتها بعد الإسفار ويصلي قضاء ؛ ولم يتابعه على هذا القول أحد . قال الشافعي : وأول وقت الظهر إذا زالت الشمس . وحكى أبو الطيب الطبري من الشافعية أن من الناس من قال : لا تحوز الصلاة حتى يصير النسيء بعد الزوال مثل الشراك .

وقال مالك : أحسن أن يؤخر الظهر بعد الزوال بقدر ما يصير الظل ذراعاً ؛ وهذا مطابق لما قال أمير المؤمنين عليه السلام حين تقى الشمس كربص النمر ، أي كوضع كربص النمر ، وذلك نحو ذراع أو أكثر زيادة يسيرة .

قال الشافعي : وآخر وقت الظهر إذا صار ظل كل شيء مثله ، ويعتبر المثل من حد الزيادة على الظل الذي كان عند الزوال ، وهذا لقول قال أبو يوسف ومحمد ؛ وقد حكينا من قبل ، وبه أيضاً قال الثوري وأحمد ، وهو رواية الحسن بن زياد اللؤلؤي عن أبي حنيفة ، فاما الرواية المشهورة عنه - وهي التي رواها أبو يوسف - فهو أن آخر وقت الظهر صيرورة الظل مثليه ، وقد حكينا عنه فيما تقدم .

وقال ابن المنذر : تفرد أبو حنيفة بهذا القول ؛ وعن أبي حنيفة رواية ثالثة أنه إذا صار ظل كل شيء مثله خرج وقت الظهر ؛ ولم يدخل وقت العصر إلى أن يصير ظل كل شيء مثليه .

وقال أبو ثور ومحمد بن جرير الطبري : فقد أُرِيعَ رَكَمَاتُ بَيْنِ الْمُثُلِ وَالثَّلَاثِينَ ، يَكُونُ
مُشْتَرَكًا بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْمَعْرِ .

وحكى عن مالك أنه قال : إِذَا صَارَ طُلُوعُ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ ، فَهُوَ آخِرُ وَقْتِ الظُّهْرِ وَأَوَّلُ
وَقْتِ الْمَعْرِ ، فَإِذَا زَادَ عَلَى الْمُثُلِ زِيَادَةُ بَيِّنَةٍ حَرَجَ وَقْتُ الظُّهْرِ وَاحْتَصَنَ الْوَقْتُ بِالْمَعْرِ .

وحكى ابن الصَّبَّاحِ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ ، عَنْ مَالِكٍ ، أَنَّ وَقْتُ الظُّهْرِ إِلَى أَنْ يَصِيرَ طُلُوعُ كُلِّ
شَيْءٍ مِثْلَهُ وَقْتًا مُخْتَارًا ، فَأَمَّا وَقْتُ الْخَوَارِ وَآدَاءُ فَآخِرِهِ إِلَى أَنْ يَبْقَى إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ قَدَرُ
أَرْبَعِ رَكَمَاتٍ ؛ وَهَذَا الْقَوْلُ مُطَابِقٌ لِلذَّهَبِ لِلإِسْمَاعِيلِيَّةِ .

وقال ابن خُرَيْجٍ وَعِطَاءٌ : لَا يَكُونُ مَعْرُوطٌ تَأْخِيرُهَا حَتَّى تَكُونَ فِي الشَّمْسِ سُرَّةٌ .
وَعَنْ طَاوُسٍ : لَا يَلُوتُ حَتَّى اللَّيْلِ .

فَأَمَّا الْمَعْرِ : فَإِنَّ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ : إِذَا زَادَ عَلَى الْمُثُلِ أَدْنَى رِيَادَةٍ ، فَقَدْ دَخَلَ وَقْتُ الْمَعْرِ ؛
وَالْخَلَّافُ فِي ذَلِكَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي حَنِيفَةَ ؛ لِأَنَّهُ يَقُولُ : أَوَّلُ وَقْتِ الْمَعْرِ إِذَا صَارَ طُلُوعُ كُلِّ
شَيْءٍ مِثْلِهِ ، وَرَادَ عَلَيْهِ أَدْنَى رِيَادَةٍ . وَقَدْ حَكِيَهُ عَنْهُ مَا تَقَدَّمَ .

وكَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَعْرِ مُطَابِقٌ لِلذَّهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ ، لِأَنَّهُ مَدَّ صَيْرُورَةَ
الْقُلُوبِ مِثْلِيَّةً ، هُوَ الْوَقْتُ الَّذِي تَكُونُ فِيهِ الشَّمْسُ حَيَّةً بَيَّضَاءَ فِي عِصْوٍ مِنَ الْهَارِ ، حِينَ
يُسَارُ فِيهِ فَرَسُحَانٌ ، وَأَمَّا قَبْلَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ فَوْقَ ذَلِكَ يُسَارُ مِنَ الْفَرَسِ أَسْحَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ،
وَلَا يَرَالُ وَقْتُ الْإِحْتِيَارِ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ لِلْمَعْرِ ، قِيًّا حَتَّى يَصِيرَ طُلُوعُ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلِهِ ؛ ثُمَّ يَبْقَى
وَقْتُ الْخَوَارِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ .

وقال أبو سعيد الإصطخري من أصحابه : يَصِيرُ قِصَاءٌ مُجَاوِرَةٌ الثَّلَاثِينَ ؛ فَأَمَّا وَقْتُ الْمَغْرِبِ
فَإِذَا عَرَمَتِ الشَّمْسُ وَعُرُوسُهَا سَقُوطُ الْقُرْصِ .

وقال أبو الحسن علي بن حبيب الدوردي من الشافعية : لَا بَدَأَ أَنْ يَسْقُطَ الْقُرْصُ وَيَعِيبَ

حاجب الشمس ، وهو الصياء المستعل عليها كاستصل بها ، ولم يذكر ذلك من الشافعية أحد غيره .

وذكر الشافعي في كتاب " حية السماء " أن الشيعة قالت : أول وقت المغرب إذا اشتبكت النجوم . قال قد حكى هذا عنهم . ولا يساوى الحكاية ، ولم تذهب الشيعة إلى هذا ، وسند ذكر قولهم فيها مد .

وكلام أمير المؤمنين عليه السلام في المغرب لا ينص على وقت معين لأنه عرف ذلك بكونه وقت الإفطار ، ووقت ما يدفع الحاج ، وكلاً الأمرين يحتاج إلى تعريب كما يحتاج وقت الصلاة ، اللهم لا أن يكون قد عرفت أمراء الملاد الذين يصليون بالناس من قبل هذا الكتاب متى هذا الوقت الذي يُنظر فيه الصائم ، ثم يدفع فيه الحاج إليه ، ثم يحيلهم في هذا الكتاب على ذلك التعريف المجهول .

قال الشافعي : وللمغرب وقت واحد ، وهو قول مالك .

وحكى أبو ثور عن الشافعي أن لها وقتاً ، وآخر وقتها إذا غاب الشفق . وليس بمشهور عنه ، واشتهور اصول الأول ، وقد ذكرنا قول أبي حنيفة فيما تقدم ، وهو امتداد وقتها إلى أن يغيب الشفق ، وبه قال أحمد وداود .

واختلف أصحاب الشافعي في مقدار نوقت الواحد ، منهم من قال : هو مقدار بقدر الطهارة وستر العورة والأذان والإقامة ومن ثلاث ركعات ، ومنهم من قدره بغير ذلك . وقال أبو إسحاق الشيرازي منهم : التصديق إنما هو في الشروع ، فأما الاستدانة فتجوز إلى غيب الشفق .

فأما وقت المساء ، فقال الشافعي : هو أن يغيب الشفق وهو الحرة ، وهو قول مالك وأحمد وداود وأبي يوسف ومحمد ، وقد حكينا مذهب أبي حنيفة فيما تقدم ، وهو أن يغيب الشفق الذي هو البياض ، وبه قال زعفران وزني .

قال الشافعي : وآخر وقتها المختار إلى نصف الليل ، هذا هو قوله القديم ، وهو مذهب أبي حنيفة ، وقال في الحديد : إلى ثلث الليل . ويجب أن يحتمل قول أمير المؤمنين عليه السلام في العشاء أنها إلى ثلث الليل على وقت الاختيار ، ليكون مطابقاً لهذا القول ، وبه قال مالك ، وإحدى الروابطين عن أحمد . ثم يذهب وقت الاختيار ؛ ويبقى وقت الجواز إلى طلوع الفجر الثاني .

وقال أبو سعيد الإصطخري : لا يبقى وقت الجواز بعد نصف الليل ، بل يصير قضاء .

فقد ذكرنا مذهب أبي حنيفة والشافعي في الأوقات ، وهما الإمامان المعبران في الفقه ، ودخل في ضمن حكاية مذهب الشافعي ما نقوه مالك وأحمد وعمرهما من النقصاء .

فأما مذهب الإمامية من الشيعة ، فنحن نذكره نقلاً عن كتاب أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان رحمه الله المروى بالمعبد ^١ "بالرسالة المقتضية" قال : وقت الظهر من بعد زوال الشمس إلى أن يرجع إلى سُبُحِ الشمس ، وعلامة الزوال رجوع إلى بعد انبساطه إلى النقصان ، وطريق معرفة ذلك بالإسطرلاب أو ميزان الشمس ، وهو معروف عند كثير من الناس ، أو بالعمود المنصوب في الدائرة لمدينة أيضاً ، فمن لم يعرف حقيقة العمل بذلك ، أو لم يجد آتته فليصب عموداً من حطب أو غيره في أرض مستوية السطح ، ويكون أصل العمود عتيقاً ورأسه دقيقاً شبه اندي الذي يسهح به التسكك أو المسلة التي تُخاط بها الأحمال ، فإن ظل هذا العمود يكون بلا شك في أول النهار أطول من العمود ، وكلما ارتفعت الشمس نقص من طوله حتى يقف القرص في وسط السماء ، فيقف الظل حيثئذ ، فإذا زال القرص عن الوسط إلى جهة المغرب رجع الظل إلى الزيادة . فليعتبر من أراد الوقوف على وقت الزوال ذلك بحطط وعلامات يجعلها على رأس ظل العمود عند وضعه

في صدر النهار ، وكلما نقص في الظل شيء علم عليه ، فإذا رجع إلى الزيادة على موضع العلامة عرف حينئذ برحوعه أن الشمس قد زالت .

وبذلك تعرف أيضا القبلة ، فإن قرص الشمس يقف فيها وسط النهار ، ويصير عن يسارها وعن المتوجه إليها بعد وقوفها ورواها عن القطب ، فإذا صارت مما يلي حاجبه الأيمن من بين عيني علم أنها قد زالت ، وعرف أن القبلة تلقاه وحده ؛ ومن سبقت معرفته بحجة القبلة فهو يعرف روال الشمس إذا توجه إليها ، فرأى عين الشمس مما يلي حاجبه الأيمن ؛ إلا أن ذلك لا يبين إلا بعد روالها زمن ، ويثبت الزوال من أول وقته بما ذكرناه من الإسطرلاب وميران الشمس والدائرة الهندية والعمود الذي وصفتناه ، ومن لم يحصل له معرفة ذلك ، أو فقد الآلة توجه إلى القبلة معتبراً بصيرة الشمس على طرف حاجبه الأيمن وقت العصر من بعد الفراغ من الظهر ، وإذا صلب الظهر في أول أوقاتها - أعني بعد رال الشمس بلا فصل - ويعتد إلى أن يتغير لون الشمس باسمرارها للغروب ، وللمصطر والناسي إلى معيها بسقوط القرص عما تلمعه أبصارنا من السماء ، وأول وقت المغرب مغيب الشمس ، وعلامة مغيبها عدم الحمرة في الشرق القابل للمغرب في السماء ؛ وذلك أن الشرق في السماء مظهر على المغرب ، فإذا دامت الشمس ظاهرة فوق أرضنا فهي تنقي ضوءها على الشرق في السماء ، فيرى حمرة فيها ، وإذا ذهبت الحمرة منه علم أن القرص قد سقط وطاب . وآخره أول وقت العشاء الآخرة ، وأول وقتها مغيب الشمس وهو الحمرة في المغرب ، وآخره مضي الثلث الأول من الليل ، وأول وقت مدة اعتراض الفجر ، وهو اسياض في الشرق يعقبه الحمرة في مكانه ؛ ويكون مقدمة لطوع الشمس على الأرض من السماء ؛ وذلك أن الفجر الأول ، وهو البياض الطاهر في الشرق يطلع طولاً ثم يتمكس بعد مدة عرضاً ثم يحمر الأيمن بعده للشمس .

ولا ينبغي للإنسان أن يصلي فريضة المداة حتى يعترض البياض ، وينتشر صُداً في السماء كما ذكرنا ، وآخر وقت الغداة طلوع الشمس .
هذا ما تقوله الفقهاء في مواقيت الصلاة .

فأما قوله عليه السلام : « والرجل يعرف وجه صاحبه » ؛ فمعناه الإسفار ، وقد ذكرناه .

وقوله عليه السلام : « وصلُّوا بهم صلاة أسمعهم » ؛ أي لا تعطيلوا بالفراة الكثيرة والدعوات الطويلة .

ثم قال : « ولا تكونوا فتانين » ، أي لا تفتنوا الناس بأنعمائهم وإدخال المشقة عليهم بإطالة الصلاة وإفساد صلاة المأمومين بما يفرضونه من أعمال مخصوصة ، نحو أن يتحدث الإمام فيستحلف فيصلي الناس خلف حقيقته ، فإن ذلك لا يجوز على أحد فولي الشامي ، ونحو أن يُطيل الإمام الركوع والسجود ، فيطعن المأمومون أنه قد دفع فيهم من أو سبوه نة ناركان كثره ، ونحو ذلك من مسائل يذكرها الفقهاء في كتبهم .

واعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام إنما بدأ صلاة الظهر ، لأنها أول فريضة افترضت على المكلفين من الصلاة على ما كان يدعى بيه عليه السلام ؛ وإلى ذلك ذهب الإمامية ، ويصر قائلهم تسميتها بالأولى ؛ وهذا بدأ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بذكرها قبل غيرها ؛ فأما مَنْ عدا هؤلاء فأول الصلاة المروضة عندهم الصبح ؛ وهي أول النهار .

وأبصار يتفرع على هذا البحث القول في الصلاة الوسطى ، ما هي ؟ فذهب جمهور

الناس إلى أنها العصر ، لأنها بين صلاتي نهار وصلاتي ليل ؛ وقد رووا أيضا في ذلك روايات بعضها في الصباح ، وقياس مذهب الإمامية أنها المغرب ؛ لأن الطهر إذا كانت الأولى كانت المغرب الوسطى ؛ إلا أنهم يروون عن أئمتهم عليهم السلام أنها الطهر ، ويصرون الوسطى بمعنى الفُصلى ؛ لأن لَوَسَطَ في اللغة هو خيار كل شيء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ ^(١) ، وقد ذهب إلى أنها المغرب قوم من الفقهاء أيضا . وقال كثير من الناس : إنها الصبح ، لأنها أيضا بين صلاتي ليل وصلاتي نهار ، ورووا أيضا فيها روايات وهو مذهب الثماني ، ومن أساس من قال : إنها الطهر كقول الإمامية ولم يسمع عن أحد معتبرا أنها العشاء إلا فولا شادا ذكره بعضهم .

وقال : لأنها بين صلاتين لا تُقصر الصلاة .

(٥٣)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي رحمه الله لما ولاه على مصر
وأعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر وهو أطول عهد كتبه
وأجمعه للمحاسن :

بسم الله الرحمن الرحيم

هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ قَبْدُ اللَّهِ عَلَى الْخَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكُ بْنُ النُّعْمَانِ الْأَشْجَرِ
فِي عَهْدِهِ إِلَهِي حِينَ وَلَّاهُ مِصْرَ حَبَابَةَ حَرَّاجِهَا ، وَجَهَادَ عَدُوَّهَا ، وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا ،
وَمِجَارَةَ بِلَادِهَا .

أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَإِثَارِ طَاعَتِهِ ، وَاتِّسَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِصِهِ
وَسُنَنِهِ الَّتِي لَا يُسْقُذُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّسَاعِهَا ، وَلَا يَشْفَى إِلَّا مَعَ حُجُودِهَا وَإِصَاعَتِهَا ،
وَأَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِيَدِهِ وَقَتْلِهِ وَلِسَانِهِ ؛ فَإِنَّهُ جَلَّ اسْمُهُ فَذَنْ تَكْمَلُ بِنَصْرِ
مَنْ نَصَرَهُ ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَكْسِرَ مِنْ نَفْسِهِ عِنْدَ الشَّهَوَاتِ ، وَيَبْرَعَهَا عِنْدَ الْجَمْعَاتِ ، فَإِنَّ
النَّفْسَ أَمَارَةٌ بِالشُّوْءِ ، إِلَّا مَا رَحِمَ اللَّهُ .

ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ ، أَنَّ قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ حَرَّتْ عَلَيْهَا دَوْلُ فَتْلِكَ مِنْ عَدْلٍ
وَجَوْرِ ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ بِهِ مِنْ أُمُورٍ

الْوَلَاةِ قَبْلَكَ ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيهِمْ ، وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللَّهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ . فَنِيكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ . فَأَمَّا هَؤُلَاءِ ، وَشِعْ سَعْيِكَ مِمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ ، فَإِنَّ الشَّعْ بِالنَّفْسِ الْإِنْسَانِ مِنْهَا فِيمَا أُحِبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ .

الْبَرْخُ :

نصرة الله باليد : الجهاد بالسيف ، وبالقلب الاعتقاد للحق ، وباللسان قول الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد تكفل الله بنصرة من نصره ، لأنه تعالى قال : ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ 》^(١) .

والحمات : مبارعة النفس إلى شهواتها ومآربها ، وزعها بكفها .

ثم قال له : قد كنت تسمع أخبار الولاة ، وتصيب قوماً وتمدح قوماً ، وسيقول الناس في إمارتك الآن نحو ما كنت تقول في الأمراء ؛ فاحذر أن تعاب وتدم كما كنت تعيب وتذم من يستحق الذم .

ثم قال : إنما يستدل على الصالحين بما يكثر ممحاه من السنة الناس بمدحهم والثناء عليهم ؛ وكذلك يستدل على الفاسقين بمثل ذلك .

وكان يقال : السنة الرعية أقلام الحق سبحانه إلى الملوك .

ثم أمره أن يشع نفسه ، وفسر له الشع ما هو ؟ فقال : أن تنتصف منها فيما أُحِبَّتْ

وكرهت ، أى لا تمكنها من الاسترسال فى الشهوات ، وكن أميراً عليها ، ومسيطرأ
وفاعلاً لها من التهور والانهماك .

فإن قلت : هذا معنى قوله : « بما أحنت » ، فامعنى قوله : « وكرهت » ؟
قلت : لأنها تكره الصلاة والصوم وغيرها من العبادات الشرعية ومن الواحات
العقلية ، وكما يجب أن يكون الإنسان مهيماً عليها فى طرف الفعل يجب أن يكون مهيماً
عليها فى طرف الترك .

الأفضل :

وَأَشِيرُ بِمِلَّةِ الرَّحْمَةِ لِلرَّعِيَّةِ ، وَاصْحَحْ لَهُمْ ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ ؛ وَلَا تَكُونْ
عَلَيْهِمْ سَبَبًا حَارِيًّا تَقْسِمُ أَكْلَهُمْ ، فَوَيْلٌ لِمَنْ صَبَّحَ : إِمَّا أَحْ لَكَ فِي الدِّينِ ؛
وَإِمَّا تَطْرُدُ لَكَ فِي الْخَلْقِ ، يَغْرُطُ مِنْهُمْ الرُّكْلُ ، وَتَرْسُ لَهُمُ الْبَيْلُ ، وَيُؤْتَى عَلَى
أَيْدِيهِمْ فِي الْمَعَدِ وَالْحَطَا ، فَأَغْطِيهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ ، مِثْلَ الْإِدَى تُحِبُّ وَتَرْضَى
أَنْ يُعْطِيكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ ، وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ ،
وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلاَكَ ، وَفَدِ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ ، وَابْتَلاكَ بِهِمْ .

وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَدَى لَكَ يَنْقَمَتِهِ ، وَلَا غِنَى بِكَ
عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ .

وَلَا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوِهِ ، وَلَا تَصْحَحَنَّ يُقْبَلُهُ ، وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ
عَنْهَا مَدْوَحَةً .

وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ أَمْرُ فَاطَاعُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْعَالٌ فِي الْقَلْبِ ، وَمَتَمَكَّةٌ لِلدِّينِ ،
وَتَقَرُّبٌ مِنَ النَّبِيِّ .

وَإِذَا أَحَدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُوءٍ أَوْ حِيلَةٍ ، فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ
مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ
يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِعَانِكَ ، وَيَكُفُّ عَنْكَ مِنْ عَرَبِكَ ، وَيَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ
عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ .

إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللَّهِ فِي عَظَمَتِهِ ، وَتَشَبُّهَهُ فِي حَبْرُوتِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ
جَبَّارٍ ، وَيُهَيِّنُ كُلَّ مُعْتَالٍ !

الْبَيْخُ :

أَشِيرَ قُلُوبُكَ الرَّحْمَةَ ، أَيْ أَحْمِلْهَا كَانْشَعَارُهَا ، وَهُوَ التَّوْبُ الْمَلَامُ لِلْحَسَدِ ؛ قَالَ :
لَا أَلَّا الرَّحْمَةَ ؛ إِمَّا أَحْوَكُ فِي الدِّينِ ، أَوْ إِسْ مِنْكَ نَقْضُ رِفْعَةِ الْحَسِيَةِ وَطَمَعِ الشَّرِيَةِ
الرَّحْمَةَ لَهُ .

قوله : « وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ » ، مَثَلُ قَوْلِكَ : « وَيُؤْخَذُ عَلَى أَيْدِيهِمْ » ؛ أَيْ
يَهْدَبُونَ وَيَشْقَوْنَ ، يُقَالُ : خَذَ عَلَى يَدِهِ السَّمِيَةَ ، وَقَدْ حَضَرَ الْحَاكِمُ عَلَى فُلَانٍ ،
وَأَخَذَ عَلَى يَدِهِ .

ثُمَّ قَالَ : فَتَسْبِطُهُمْ إِلَيْكَ كَسَبْتِكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَكَأَنَّكَ أَنْ يَصْنَعَ اللَّهُ عَنْكَ
يَلْبَنِي أَنْ تَصْلَحَ أَنْتَ عَنْهُمْ .

قوله : « لَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ » ، أَيْ لَا تَبَرَّرْهُ بِالْمَعَامِي . فَإِنَّهُ لَا يَدِي لَكَ
بِنَفْسِهِ ؛ الْإِلَامُ مُقْحَمَةٌ ، وَالْمَرَادُ الْإِصَافَةُ ، وَنَحْوُهُ قَوْلُهُمْ : لَا أَبَا لَكَ .

قوله : « وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ » ؛ أَيْ لَا تَقُلْ : إِنِّي أَمِيرٌ وَوَالِي أَمْرٍ بِالشَّيْءِ فَاطَّاعَ .

والإدغال : الإفساد ، ومنهكة للدين : صنف وسقم .

ثم أمره عند حدوث الآبهة والمطمة عبده لأجل الرئاسة والإمرة أن يذكر عظمة الله تعالى وقدرته على إعدامه وإيجاده ، وإماتته وإحيائه ؛ فإن تذكر ذلك يطامن من علوانه ، أى يفيض من تعظمه وتكبره ، ويغاطىء منه .

والعرب : حد السيف ، ويستمر للبطوة والسرعة في العطن والفتك .

قوله : « وثيق » ، أى يرجع إليك بما بعدك من عقلك ، وحرف المصارعة مصوم لأنه من « أضاء » .

ومساماة الله تعالى : مباراته في السموات وهو الملو .



الأصل :

أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ، ومن خاصة أهلِكَ ، ومن لك هوى فيه من دعيتك ، فإنك إلا تفعل تطم ، ومن ظلم عباد الله كان الله حصته دون عبادِهِ ، ومن خاصة الله أذحض حصته ، وكان لله حرباً حتى ينزع أو يتوب .

وليس منى : أدعى إلى تعبير نعمة الله وتعميل بغيره من إقامة على ظلمه ؛ فإن الله يسمع دعوة المضطهدين ، وهو ليعطى ليلين بالمرصاد .

وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق ، وأعمها في المدل ، وأجمعها لرضا الرعية ، فإن سخط العامة ينجب برصاً الخاصة ، وإن سخط الخاصة يمتفر مع رضا العامة .

وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَثْوًى فِي الرَّحَاءِ ، وَأَقْلَرُ مَعُونَةً لَهُ فِي
السَّلَاحِ ، وَأَكْرَهُ لِلْإِنصَافِ ، وَأَسْأَلُ بِالْإِنصَافِ ، وَأَقْلَرُ شُكْرًا عِنْدَ الْإِعْطَاءِ ، وَأَبْطَأُ
عُدْرًا عِنْدَ الْمَعْرِ ، وَأَصْعَبُ مَبْرَأً عِنْدَ مُبَيَّاتِ الدَّهْرِ ، مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ ؛ وَإِنَّمَا عُمُودُ
الدِّينِ ، وَجَمَاعُ السُّيُومِ ، وَالْعِدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ أَمَامَةً مِنَ الْأُمَمِ ، فَدَيْكُنْ سِعْوَكَ
لَهُمْ ، وَمَيْلَكَ مَعَهُمْ .

الْبَزَجُ

قال له : أوصي الله ، أي قم له بما فرض عليك من العبادات والواجبات
المقتضية والسمعية .

ثم قال : وأوصي الناس من نفسك ومن ولدك وحاجة أهلك ومن تحته وقيل إليه
من وعيتك ، فتي لم تفعل ذلك كنت ظالماً .

ثم نهى عن الظلم ، وأكد الرعاية عليه في ذلك .

ثم عرّفه أن قانون الإمارة الاحتشاد في رعايا عامة ، فإنه لا مبالاة بسخط خاصة
الأمير مع رعايا العامة ، فإما إذا سخطت اأامة لم ينفعه رعايا الخاصة ، وذلك مثل أن يكون
في البلد عشرة أو عشرون من أعيانه ، وذوي الثروة من أهله ، يلازمون الوالي ويخدمونه
ويسامرونه ، وقد صار كالصديق لهم ، فإن هؤلاء ومن صار عنهم من حواشي الوالي وأرباب
الشفاعات والقرابات عنده لا يُعتنُون عنه شيئاً عند تنسكّر العامة له ، وكذلك لا يضرّ سخط
هؤلاء إذا رضيت العامة ، وذلك لأن هؤلاء عنهم عني ، ولهم بدل ، والعامة لا عني عنهم
ولا بدل منهم ، ولأنهم إذا شغبوا عليه كانوا كالبحر إذا هاج واضطرب ، فلا يقاومه أحد ،
وليس الخاصة كذلك .

ثم قال عليه السلام - ويستم ما قال : ليس مني ، اقل نفعاً ، ولا أكثر ضرراً على الوالي من حوامته أيام الولاية ، لأنهم يثقلون عليه بالحاجات ، والمسائل والشكايات ، فإذا عُرِل هَجَرُوهُ وَرَفَضُوهُ حَتَّى لَوْ لَقُوهُ فِي الطَّرِيقِ لَمْ يَسْتَوْا عَلَيْهِ .
والصَّغْوُ^(١) بالكسر والفتح والصَّما مقصور : التَّيْل .

الأسئل :

وَلَيْسَ كُنْ أَتَدَّ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ ، وَأَشْتَهُمْ مِنْكَ ، أَطْلَهُمْ لِمَعَارِبِ النَّاسِ ،
فَإِنْ فِي النَّاسِ عِيُونًا نَوَالِي أَحَدٍ مِنْ سَرَّهَا ، فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا عَابَ عَنْكَ مِنْهَا ،
فَأَمَّا عَنْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا عَابَ عَنْكَ ، فَاشْتَرِ أَمْوَرَهُ
مَا اسْتَطَعْتَ ، يَشْتَرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ شَرُّهُ مِنْ^(٢) رَعِيَّتِكَ .

أُطْلِقَ عَنِ اسْمِ عُقْدَةٍ كُلُّ حَقْدٍ ، وَاقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وَتَرٍ ، وَتَغَابَ
عَنْ كُلِّ مَا لَا يَصِحُّ لَكَ ، وَلَا تَمُحِّلْ إِلَى تَصَدِيقِ سَاعٍ ، فَإِنَّ السَّاعِيَ عَاشٍ^٣
وَإِنْ نَشَبَهُ بِالْمَاصِحِينَ .

وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بِحِيلًا تَعْدِلُ بِكَ عَنْ الْفَصْلِ ، وَبِمِدِّكَ الْفَقْرَ ، وَلَا جَبَانًا
يُصْعَقُكَ عَنِ الْأُمُورِ ، وَلَا حَرِيصًا يُرِيئُ لَكَ الشَّرَّ بِالْجَوْرِ ، فَإِنَّ الْخُلَّ وَالْعُجْبَ
وَالْحِرْصَ عَرَائِرُ شَيْءٍ يَحْتَمِلُهَا سُوءُ الْظَّنِّ بِاللَّهِ .

(١) ب : « الصغو » ، تحريف . (٢) في د : « ع » .

التَّبَرُّخُ :

أَشْنَأُهمَّ عِندَكَ ، أَبْفَضَهُمَّ إِلَيْكَ :

وَتَمَابَ : تَعَاوَلُ ، يُقَالُ : تَمَابَى فُلَانٌ عَنْ كَذَا .

وَيَصِيحُ : يَظْهَرُ ، وَالْمَامِى وَصَح .

[فصل فى النهى عن ذكر عيوب الناس وما ورد فى ذلك من الآثار]

طاب رجلٌ ودخل عند بعض الأشراف فقال له : لقد أُستدلتُّ على كثرة عيوبك بما تُكثِرُ فيه من عُيوب الناس ، لأنَّ طالعَ عيوبٍ إنما يطلبها بقدر ما فيه منها .

وقال الشاعر :

وأحرأ من رأيتَ تظهر عيوبِ على عيب الرجال أولو العيوبِ

وقال آخر :

يا مَنْ يَعيبُ وِعيه مُنْشَمَّتٌ كَمْ فيكَ من عيبٍ وأنتَ نَعيبُ !

وفى الخبر المرفوع : « دَعُوا النَّاسَ بِمَعْلَمَتِهِمْ يَعيشُ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ » .

وقال الوليد بن عتبة بن أبى سفيان : كُنتَ أُسَيرُ أبى ورجلٌ معنا يَقعُ فى رَجُلٍ ، فَأَلْتَفَتُ إِلَى إِيَّاهُ فَقَالَ : يَا بُنَى ، رَأَيْتَ سَمْعَكَ عَنْ أَسْتِمَاعِ أَحَدٍ كَمَا تَرَاهُ لِسَانَكَ عَنِ الْكَلَامِ ، فَإِنَّ الْمُسْتَمَعَ شَرِيكَ الْقَائِلِ ، إِنَّمَا نَظَرُ إِلَى أَحَدٍ مَا فى وَعَايِهِ فَأَقْرَأَهُ فى وَعَائِكَ ، وَلَوْ رَدَّتْ كَلِمَةٌ جَاهِلٌ فى فِيهِ لَسَعِدَ رَأْيُهَا كَمَا شَقِيَ قَائِلُهَا .

وقال ابن عسس ، أَخْبَذْتُ حَدَثٌ : حَدَّثْتُ مِنْ فَيْكَ ، وَحَدَّثْتُ مِنْ قَرْجِكَ .

وطاب رجلٌ وحلا عبد قتيبة بن مسلم ، فقال له قتيبة : أمسك ويحك ! فقد تلمظت
بعضة طالما لفظها الكرام .

ومر رجلٌ بجارين له ومعه دية ، فقال أحدهما لصاحبه : أهبت مامعه من الريبة ؟
قال : ومامعه ؟ قال : كذا ، قال : عدى حرّ لوجه الله شكراً له تعالى إذ لم يمرّنى من
الشرّ ما عرفتك .

وقال الفصّيل بن عيَّاص : إنّ اساحشة نقشيع في كثير من المسلمين حتّى إذا صارت
إلى الصالحين كانوا لها خزّاناً .

وقيل لبزرجيمر : هل من أحد لا عيب فيه ؟ فقال : الذي لا عيب فيه لا يموت .
وقال الشاعر :

| | |
|-------------------------------------|--|
| ولست بذى نَرَبٍ في الإِجَالِ | لَمَسَاعٍ خَيْرٌ وَسَيِّئاً ^(١) |
| ولا مَنْ إِذَا كَانَ فِي الْحَيَاةِ | أَضَاعَ الْعَشِيرَةَ وَأَعْتَانَهَا |
| ولكن أطاوعُ سَعْدَائِهَا | وَلَا تَعْلَمُ الْقَابِهَا |

وقال آخر :

| | |
|---|---|
| لا تَلْتَمِسْ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ مَا سَتَرُوا | فِيكشِفُ اللهُ سِتْرًا مِنْ مَسَاوِيكََا |
| وأذكر محاسنَ ما فيهم إذا دُكِرُوا | ولا تَعِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكََا |

وقال آخر :

| | |
|------------------------------|--|
| أبدأ بنفسك فأنتهما عن عيِّها | فإذا انتهت عنه ، فأنت حَكِيمٌ ^(٢) |
| فهنالك تُعذر إن وعظت ويقتدى | بالقول منك ، ويُقَسِّلُ التَّعْلِيمُ |

(١) انيرب : انشر وحل العداوة .

(٢) لأبي الأسود الدؤلي : خزانة الأدب ٣ : ٦١٧ ؛ والرواية هناك : « عن غيرها » .

فأما قوله عليه السلام : « أطلق عن أس عفة كل حقد » ، فقد استوفى هذا المعنى زياداً في خطبته البثراء فقال : وقد كانت بيني وبين أقوام إحن^(١) ، وقد حملت ذلك دبر أذني وتحت قدمي ، فمن كل منكم عسنا فببردد إحسانا ، ومن كل منكم سيئا فليبرع عن إساءته ، إني لو علمت أن أحداكم قد قته اسلال^(٢) من أنفي لم أكشف عنه قماما ، ولم أهتك له سيرا ، حتى يدي لي صمخته ، وإذا فعل لم أناطره ، ألا فليشمل كل امرئ منكم على ما في صدره ، ولا يكون لسانه شعرة تحرى على ودرجه .



[فصل في المعنى عن سماع السماعية وما ورد في ذلك من الآثار]

فأما قوله عليه السلام : « ولا تمحلن^(٣) إلى قهدين ساع » ، فقد ورد في هذا المعنى كلام حسى ، قال ذو الربastic : قبول السماعية شر من سماعية لأن السماعية دلالة ، والاصول إجارة ، وليس من دل على شيء كمن قله وأحاره ، فمقت الساعى على سماعيته ، فإنه لو كان صادقا كان ليها ؛ إذ هتك المورة ، وأضاح الحرممة .

وعاتب مصعب بن الزبير الأحف على أمره بعه عنه فأكره ، فقال مصعب : أحررتي به الثقة ، قال : كلاً أيها الأمير ، إن الثقة لا يسع وكان يقال : لو لم يكن من عيب الساعى إلا أنه أصدق ما يكون أضر ما يكون على الناس ، لكان كافيا .

كانت الأكسرة لا تأذن لأحد أن يضح السكباح^(٤) ، وكان ذلك مما يحتص به الملك ، فرفع ساع إلى أبو شروان : إن فلانا دعانا ونحن جماعة إلى طعام له وفيه

(١) الإحس : جمع إحنة ، وهي المداوة . (٢) اللال واللى بمعنى .

(٣) السكباح : مرق يصل من اللحم والصل ؛ مرب .

سِكْبَاج ، فَوَقَّعَ أَبُو شُرَوَانَ عَلَى رَقْعَتِهِ : قَدْ سَمَدْنَا مَصِيحَتَكَ ، وَدَمَمْنَا صَدِيقَكَ عَلَى سُوءِ
اِخْتِيَارِهِ لِلْإِخْوَانِ .

جاء رجلٌ إلى الوليد بن عبد الملك وهو حبيبة عبد الملك على دِمَشْق ، فقال : أَيُّهَا
الْأَمِيرُ ، إِنِّي عِنْدِي نَصِيحَةٌ ، قَالَ : اذْكُرْهَا ، قَالَ : حَارٌّ لِي رَجْعٌ مِنْ بَعَثَةِ سَرًّا ، فَقَالَ :
أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ أَخَذْتَ بِنَا أَمَّا جَارُ سُوءٍ ، فَإِنْ شِئْتَ أَرْسَلْنَا مَعَكَ ، فَإِنْ كُنْتَ كَادِمًا عَاقِبًا ،
وَأَنْ كُنْتَ صَادِقًا مَقْبَلًا ، وَإِنْ تَرَكْتَ تَرْكَكَ ، قَالَ : بَلْ أَتْرَكَكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ .
قَالَ : فَانْصَرِفْ .

ومثلُ هذا يُحكى عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنَّ ابْنَ نَاسِئَةَ الْخَلْوَةَ ، فَقَالَ لِحَلَسَانَةَ : إِذَا شِئْتُمْ !
فَانْصَرِفُوا ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ الرَّجُلُ لِلْكَلَامِ قَالَ لَهُ : اصْبِرْ مَا أَقُولُ ، إِنِّي أَتَاكَ أَنْ تَمْدَحَنِي فَأَنَا
أَعْرِفُ بِنَفْسِي مَكَ ، أَوْ تَكْذِيبُنِي فَإِنَّهُ لَا رَأْيَ لِمُكْذِوبٍ ، أَوْ تَسْمِيَّ بِأَحَدٍ إِلَى قَائِنٍ
لَا أَحَبَّ السَّمَايَةِ ، قَالَ : أَهْبِئْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْأَنْصَارِ ! قَالَ : إِذَا شِئْتَ .

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

لَعَمْرُكَ مَا سَبَّ الْأَمِيرَ عَدُوٌّ وَلَكِنَّمَا سَبَّ الْأَمِيرَ الْبَلْعُ

وَقَالَ آخَرُ :

حُرِّمَتْ مُنَافِي مَكَ إِنْ كَانَ دَا الْبَلْعِ (١) أَنَا لَكِنْ هُوَ الْوَائِسُونَ عَمِّي كَمَا قَالُوا

وَلَكِنَّمَا لَمَّا رَأَوْكَ شَرِيعَةً (٢) إِلَى تَوَاصُوا بِالْبَيْعَةِ وَاجْتَنَبُوا (٣)

فَقَدْ رِصَرَتْ أَدْنَى لِلْوُشَاةِ سَمِيعَةً يَنْتَالُونَ مِنْ عِرْصِي وَلَوْ شِئْتَ مَا بَالُوا

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ الْجَمْعِيُّ وَقَدْ حَرَجَ بِوَدَّعِهِ لَمَّا شَحَصَ إِلَى خُرَاسَانَ :

أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، أَحِبِّ أَنْ تَكُونَ لِي كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

(١) فِي دَا لَمْ يَكُنْ الْبَلْعُ ، وَهُوَ مَسْجَمُ الْوَرْدِ وَالْمَعْنَى أَيْمَانًا .

(٢) الشَّرِيعَةُ : مَوْرِدُ الشَّارِبَةِ .

مكوني على الواشي لذاء شعبة كما أنا للواشي الذ شئوب^(١)
قال : بل أكون كما قال القائل :

وإذا الواشي وشي يوماً بها مع الواشي عما جاء يصير
وقال العباس بن الأحنف :

ما حطك الواشوان من رنية عندي ولا حرك مغتاب
كأنهم أثوا ولم يملوا عليك حدى بالذى عابوا

قوله عليه السلام : « ولا تدخل في منورتك بحيلة يبدل بك عن الفصل ، ويمدك
الفقر » ، مأخوذ من قول الله تعالى . ﴿ الشيطان يمدكم الفقر و يأمركم بما تحشاه والله
يمدكم مفرقة منه وفصلاً ﴾^(٢) ، ول المسرون . الفحشاء ها هنا ابخل ؛ ومعنى « يمدكم
الفقر » ، يجعل إبيكم أكم إن يحجم ثماصكم أصغر فيجوزكم فتحتلون فتحتلون .
قوله عليه السلام : « وإن البخل والخب والحرص عرار شتى يحجمها سوء الظن بالله » ،
كلام شريف على كلام الحكماء ، يقولون : يسها قدرا مشتركا وإن كانت غرائر وطوائع
مختلفة ، وذلك التقدير المشترك هو سوء الظن بالله ، لأن الحمار يقول في نفسه : إن أقدمت
قُتِلت ، ولخيل يقول : إن سمحت وأنفقت أصغر ، والحرص يقول : إن
لم أجده وأحتد وأدأب فاني ما أروم ، وكل هذه الأمور ترجع إلى سوء الظن
بالله ، ولو أحسن الظن بالإنسان والله وكان يقينه صادقا لعلم أن الأحل مقدّر ،
وأن الرق معدّر ، وأن امسى والفقر مقدّر ، وأنه لا يكون من ذلك إلا ما قصي
الله تعالى كونه .

الأصل :

شَرُّ وَرَدَائِكَ مَنْ كَانَ قَسْلَكَ لِلْأَشْرَارِ وَزِيْرًا ، وَمَنْ شَرَكَهُمْ فِي الْآثَامِ ،
فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بَطَانَةً ، فَإِنَّهُمْ أَغْوَانُ الْأَثَمَةِ ، وَإِخْوَانُ الظُّلْمَةِ ؛ وَأَنْتَ وَاحِدٌ
مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلَفِ يَمْنُ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَتَقْدِيرِهِمْ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ أَسَارِهِمْ
وَأُوزَارِهِمْ وَأَثَامِهِمْ ، يَمْنُ لَمْ تَعَاوَرَ طَلِيقًا عَلَى طَلِيقٍ وَلَا آثَمًا عَلَى إِثْمِهِ ، أُولَئِكَ
أَحَفُّ عَلَيْكَ مَوَدَّةً ، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً ، وَأَخْسَى عَلَيْكَ عَطْمًا ، وَأَقْلُّ لِمَعِيرِكَ إِفْقًا .
فَاتَّحِدْ أُولَئِكَ حَاصَّةً لِحَلَوَاتِكَ وَحَقْلَانِكَ ، ثُمَّ لِيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلُهُمْ
عَمْرُ الْحَقِّ لَكَ ، وَأَقْلَهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ بِمَا كَرِهَ اللَّهُ لِأَوْلَادِهِ ، وَأَوَمَّا
ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ .



الشرح :

نهاه عليه السلام ألا يتحد بطانة قد كانوا من قبل بطانة للظلمة ، وذلك لأن الظلم
وتحسبه قد صار منكبة ثالثة في أنفسهم ، فبعد أن يحكمهم الخوفا منها إذ قد صارت
كالخلق المربري اللارم لتكرارها وحيرونها عدة ، فصدحات المسوح في الكتاب
والسنة بتحريم معاونة الظلمة ومساعدتهم ، وتحريم الاستعانة بهم ، فإن من استعان بهم
كل مميأ لهم ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتُ مُتَّحِدًا بِمُصِيبٍ عَصِدًا ﴾ ^(١) ، وقال : ﴿ لَا تَحْدُ
قَوْمًا يَوْمِسُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ ^(٢) .
وجاء في الخبر المرفوع : « يُبَادَى يَوْمَ الْقِيَمَةِ : ابْنُ مَنْ رَرَى ^(٣) لهم - أي الظالمين - قَدَمًا » .

(١) سورة الكهف ٥١ . (٢) سورة المائدة ٢٢ .

(٣) ب : « يرى » ، تحريف ، صوابه في ١ ، د .

أبي الوليد بن عبد الملك وحل من الخوارج ، فقال له : ما تقول في الحجاج ؟ قال : وما عسيت أن أقول فيه ! هل هو إلا حطيئة من خطاياك ، ومترّر من نارك ؟ فلمنك الله ولعن الحجاج معك ! وأقل يشتها ، قالت الوليد إلى عمر بن عبد العزيز فقال : ما تقول في هذا ؟ قال : ما أقول فيه ! هذا رجل يشتكم ، فإمّا أن تشتموه كما شتمكم ، وإمّا أن تصفوا عنه . فغضب الوليد وقال لعمر : ما أظنك إلا خرحيا ! فقال عمر : وما أظنك إلا محبونا ؟ وقام فخرج مغصبا ، ولحقه خالد بن الريان صاحب شرطة الوليد ، فقال له ما دماك إلى ما كلمت به أمير المؤمنين ! لقد صرت يدي إلى قائم سني أنظر متى بأمرني نصرب عنك ؟ قال : أو كنت فاعلا لو أمرك ؟ قال : نعم . فمّا استخلف عمر حاء خالد بن الريان فوقف على رأسه متقلدا سيعه ، فنظر إليه وقال : يا خالد ، معّ سيفك فإني مطيعنا في كلّ أمرٍ بأمرك به . وكان بين يديه كاتب للولد ، فقال له : ضع أنت قلبك ، فإني كنت نصرّ به ونسمع ، اللهم إني قد وضعتهما فلا ترفعهما ، قال : فوالله ما ذلّالا وشتمين مهينين حتى ماتا .

وروى ابن أبي شيبة في كتاب " إحياء علوم الدين " ، قال لما خالط الزهري الشيطان كتب أحّ له في الدين إليه : عاها الله وإياك أبا بكر من العن ، فقد أصبحت محال يبينى لمن عرفك أن يدعو الله لك ويرحمك ، فقد أصبحت شيحا كبيرا ، وقد اتقنتك نعم الله عليك بما فهمك من كتابه ، وعلمك من سنة نبيه ، وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء ، فإنه تعالى قال : ﴿ لَتَنِيَّهٌ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُوهُ ﴾ ^(١) . واعلم أن أيسر ما لركبت ، وأخف ما احتملت ، أنك آتت وحشة الطالم ، وسهلت سبيل النى بدوئك إلى من لم يؤدّ حقّا ، ولم يترك ماعلا حين أدراك ، اتحدوك أبا بكر قطعا تدور

عليه رَحْمًا ظَلَمَهُمْ ، وَحَسْرًا يَمْرُونَ عَلَيْهِ إِلَى بِلَاسِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ ، وَسُلْطًا يَصْعَدُونَ فِيهِ إِلَى ضَلَالَتِهِمْ ، يُدْخِلُونَ بِكَ الشَّكَّ عَلَى الْعُلَمَاءِ ، وَيَقْتَدُونَ بِكَ قُلُوبَ الْجُهْلَاءِ ، فَمَا أَيْسَرُ مَا عَمَرُوا لَكَ فِي جَنِّ مَا حَرَّوْا عَلَيْكَ ، وَمَا أَكْثَرَ مَا أَحْذَوْا مِنْكَ فِي جَنِّ مَا أَمْسَدُوا مِنْ خَالِكَ وَدِينِكَ ! وَمَا يُؤْمِنُكَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ ﴿ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا ﴾^(١) يَا أُمَّا بَكْرُ ، إِنَّكَ تُعَامِلُ مَنْ لَا يَحْمِلُ ، وَيَحْفَظُ عَلَيْكَ مَنْ لَا يَعْمَلُ ، فِدَاؤِ دِينِكَ فَقَدْ دَحَلَهُ سَقَمٌ ، وَهَيْئُ رَادِّكَ فَقَدْ حَصَرَ سَفَرُ بَعِيدٍ ؟ ﴿ وَمَا يَحْقِقُ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾^(٢) ، وَالسَّلَامُ .

الأصل

وَأَنْصَقُ أَهْلَ الْوَرَعِ وَالْمَدَنِيِّ ثُمَّ رَضِيَهُمْ عَلَى أَلَا تُطْرُقُوكَ وَلَا تُحَاجُّوكَ بِسَاطِلِهِ
لَمْ يَفْعَلْهُ ، فَإِنْ كَثُرَ الْإِطْرَاءُ نُحْدِثُ الرَّهْوً ، وَتَذَرِي مِنْ أَنْبَرَةٍ .
وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ مَعْرِفَةً سَوَاءً ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَرْهِيدًا لِأَهْلِ
الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ ، وَتَذَرِيَةً لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ ، وَالتَّزِمُ كُلًّا مِنْهُمْ مَا أَلَزَمَ
نَفْسَهُ .

(٢) سورة إبراهيم ٣٨ .

(١) سورة مريم ١٢٥ .

البُزْج :

قوله : « والصق بأهل الورع » ، كلمةٌ صحيحةٌ ، يقول : اجعلهم خاصيتك وخلصاءك .

قال : ثم رَضُّهم على ألا يُطْرُوكَ ، أى عودهم ألا يمدحوك فى وجهك . ولا يبتجحوك بما طل : لا يحملوك ممن يبتجع أى يمتخر ما طل لم يفعله كما يبتجح أصحابُ الأمراء الأمراء بأن يقولوا لهم : ما رأينا أعدل منكم ولا أسمع ، ولا حتى هذا الثمرَ أميرَ أشدَّ ناساً منكم وبحو ذلك ، وقد جاء فى الخبر : « اختروا فى وحوه المذاحين اتراب » .

وقال عبد الملك لمن قام بسارته : ما تريد ! أتريد أن تمدحنى وتصفى ، أنا أعلم بنفسى منك .

وقام خالد بن عبد الله القسرى إلى عمر بن عبد العزيز يوم بيئته فقال : يا أمير المؤمنين ، من كانت الخلافة رائيته فقد ربيتها ، ومن كانت شرته فقد شرفتها ، فأبأك لكما قال القائل :

وإذا الدرُّ رانَ حُسنَ وُحوهِ كان للدرِّ حُسنٌ وُحوهِك رَيناً

فقال عمر بن عبد العزيز : لقد أعطى صاحبكم هذا مقولاً ، وحُرِّمَ مقولاً . وأمره أن يجلس .

ولما عقد معاوية السيمة لأنه يريد قام الناس بخطبون ، فقال معاوية لعمر بن سعيد الأشدق : قم فأخطب يا أبا أمية ، فعام فقال : أما بعد ، فإن يريد ابنَ أمير المؤمنين أمله تأملونه ، وأحل تأملونه ، إن افتقرتم إلى جميعه وسيعكم ، وإن احتجتم إلى رأيه أرشدكم ، وإن اجتديتم ذات يده أعساكم وتكيلكم ، حذع قارح ، سوين قسبى ، ومؤجد فمجد ،

وقورع قَرَم ، وهو خَلَف أمير المؤمنين ، ولا حَتَفَ منه . فقال معاوية : أوسعت يا أما
أمية فاحلس ، فإِنما أردنا بعضَ هذا .

وأثنى رجلٌ على عليٍّ عليه السلام في وجهه ثاءً أوسعَ فيه - وكان عنده مَتَمَّها - فقال
له : أنا دونَ ما تقول ، وفوقَ ما في نفسك .

وقال ابن عباس لعُثْمَةَ بن أبي سُفْيَانَ وقد ثَنَّى عليه فأكثر : رويداً فقد أمهيتُ
يا أبا الوليد - يعني مالت ، يقال أمهى حمارُ البئر ، إذا استقصى حِمْرَها .

فأما قوله عليه السلام : « ولا تكوننَّ المحس والمسيء عندك عنزة سواء » ، فقد أخذه
الصَّانِي فقال : « وإدا لم يكن للمُحْسِن ما يرفعه ، وبمسيء ما يَصُمه ، رَهْدُ المحسن في الإحسان ،
واستمرَّ المسيء على الطغيان » ، وقال أبو العيث :

شرُّ البلاد بلادُ لا صديقَ بها ونشر ما سكب الإنسان ما دم^(١)
وشرُّ ما قمضته راحتي قمص^٢ شهبُ البراة سواء فيه والرحم^٣
وكان يقال : قضاء حق المحسن أدبٌ لمسيء ، وعقوبة المسيء حرًا للمحسِن .

• • •

الأصل :

وَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يَأْذِي إِلَى حُسْنِ ظَنِّ وَالٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ ،
وَتَحْمِيلِهِ الثَّوَابَ عَلَيْهِمْ ، وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ . فَلْيَكُنْ
مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَحْتَمِيعُ لَكَ بِهِ أَحْسَنُ ظَنٍّ بِرَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ
عَنْكَ تَصَبُّاً طَوِيلًا ، وَإِنْ أَحَقَّ مَنْ حَسَنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسَنَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ ، وَإِنْ أَحَقَّ
مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ .

وَلَا تَقْضُ سُنَّةَ صَالِحَةٍ عَمِلَ بِهَا مُدْرُغٌ هَدِيهِ الْأُمَّةُ ، وَأَخْتَمَتْ بِهَا الْأَلْفَةُ ،
وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ .

وَلَا تُخْذِلَنَّ سُنَّةَ تَصَرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَأْصِي نَذَرِ الشَّيْءِ ، فَيَكُونُ الْأَجْرُ لِمَنْ سَبَّهَا ،
وَالْوَرْدُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَصْتَ مِنْهَا .

وَأَكْثَرُ مُدَارَسَةِ الْعُلَمَاءِ ، وَمُتَابَعَةِ الْحُكَمَاءِ ، وَتَثْبِيتِ مَصَالِحَ عَلَيْهِ أَمْرٌ
بِلَادِكَ ، وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ فَتَلُكَ .

الْبُخْرُ :

حلاصة صدر هذا الفصل ، أن مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ حَسُنَ طَعْمُ فَيْكِ ، وَمَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ
أَسْتَوْحَشَ مِنْكَ ، وَذَلِكَ لِأَنَّكَ إِذَا أَحْبَبْتَ إِلَى إِنْسَانٍ وَتَكَرَّرَ مِنْكَ ذَلِكَ الْإِحْسَانُ مَعَ
ذَلِكَ أَعْتَقَاذُكَ أَنَّهُ قَدْ أَحَبَّكَ ، ثُمَّ يَنْسَحُ ذَلِكَ الْاعْتِقَادَ أَمْرٌ آخَرُ ، وَهُوَ أَنَّكَ نَحَبْتَهُ ؛ لِأَنَّ
الْإِنْسَانَ مَجْبُولٌ عَلَى أَنْ يَحِبَّ مَنْ يَحِبُّهُ ، وَإِذَا أَحْبَبْتَهُ سَكَتَ إِلَيْهِ وَحَسُنَ طَعْمُ فَيْكِ فِيهِ ،
وَبِالْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ إِذَا أَسَاءْتَ إِلَى رِيْدٍ ، لِأَنَّكَ إِذَا أَسَاءْتَ إِلَيْهِ وَتَكَرَّرَتْ الْإِسَاءَةُ تَبَحُّ
ذَلِكَ أَعْتَقَاذُكَ أَنَّهُ قَدْ أَبْغَضَكَ ، ثُمَّ يَنْسَحُ ذَلِكَ الْاعْتِقَادَ أَمْرٌ آخَرُ ، وَهُوَ أَنْ تُبْغِضَهُ أُنْتِ ،
وَإِذَا أَبْغَضْتَهُ انْقَبَضَتْ مِنْهُ وَأَسْتَوْحَشْتَ ، وَسَاءَ طَعْمُ فَيْكِ بِهِ .

قال المنصور للرَّيِّعِ : سَلِّني لنفسك ! قال . يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَلَأَتْ يَدِي قَلَمٌ يَبْقَى
عِنْدِي مَوْصِعٌ لِلْمَسْأَلَةِ ؛ قَالَ : فَسَلِّني لَوَدِدْتُكَ ، قَالَ : أَسْأَلُكَ أَنْ تَحْبِبَّنِي ، فَقَالَ الْمَنْصُورُ :
يَارَبِّيعُ ، إِنَّ الْحُبَّ لَا يُسْأَلُ ، وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ يَقْتَضِيهِ الْأَسْبَابُ ، قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّمَا
أَسْأَلُكَ أَنْ تَزِيدَ مِنْ إِحْسَانِكَ ، هَذَا تَكَرَّرَ أَحْبَبْتُكَ ، وَإِذَا أَحْبَبْتُكَ أَحْبَبْتَهُ . فَاسْتَحْسَنَ

المنصور ذلك ، ثم نهى عن نقض استن الصالحة التي قد عمل بها من قبله من صالحى الأمة ،
 فيكون الوزر عليه بما نقض ، والأحر لأولئك بما أمسوا ، ثم أمره بمطارحة العلماء
 والحكام في مصالح عمله ، فإن المشورة بركة ، ومن استنر فقد أضى عقلا إلى عقله .
 ومما جاء في معنى الأول :

قال رجل لـ إياس بن معاوية : من أحب الناس إليك ؟ قال : الذين يطؤونى ، قال :
 ثم من ؟ قال : الذين أعطيهم .

وقال رجل لهشام بن عبد الملك . إن قد حمل المطاء حبة ، والمع مسممة ،
 فأعنى على حثك ، ولا تعنى في إقصاك



الأصل :

واعلم أن الرعيّة طقات ، لا يصنع نعمتها إلا بتعريض ، ولا رعى بيمتها
 عن تعريض ، فمنها خنود الله ، ومنها كذب النعمة وأحاسنة ، ومنها قصاة العدل ،
 ومنها عمال الإنصاف والرفق ، ومنها أهل الحرنة والخراج من أهل الذمة
 ومسلمة الناس ، ومنها التجار وأهل الصناعات ، ومنها الطبقة السفلى من
 دوى الأحاسات والمسكنة ، وكل قد سمي الله له سهمه ، ووصح على حده وفريصته
 في كتابه أو سنة نبيه صلى الله عليه وآله عهدا منه عندنا محفوظا .

فالجنود يادى الله حصون الرعيّة ، ورين أولاده ، وعير الدين ، وسر الأمن ،
 وليس قوم الرعيّة إلا بهم ، ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج
 الذى يفوزون به على جهاد عدوهم ، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ، ويكون من
 وراء حاجتهم ، ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والممال

وَالْكِتَابِ ، لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ الْمَعَادِ ، وَيَجْتَمِعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ ، وَيُؤْتَمُونَ عَلَيْهِ
مِنْ خَوَاصِّ الْأُمُورِ وَعَوَاصِّهَا ؛ وَلَا قَوَامَ لَهُمْ جَمِيعًا إِلَّا بِالشُّجَارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ ،
فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ ، وَيُقِيمُونَ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ ، وَيَكْفُوهُمْ مِنْ
التَّرَفِّقِ بِأَيْدِيهِمْ ، بِمَا لَا يَتَلَمَّهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ .

ثُمَّ الطَّلَقَةُ الشَّقَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَنُكْبَةِ الدِّينِ بِحَقِّ رِفْدِهِمْ وَمَمُونَتِهِمْ .
وَفِي اللَّهِ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَلِكُلِّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ .
وَلَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلَزَمَهُ اللَّهُ سَائِلَ مِنْ ذَلِكَ ، إِلَّا بِالِاهْتِمَامِ
وَالِاسْتِيعَانَةِ بِاللَّهِ ؛ وَتَوَطُّبِ نَفْسِهِ عَلَى رُؤُوسِ الْحَقِّ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا حَبَّ عَلَيْهِ
أَوْ قُفِّلَ .



الْبَسْرُخُ :

قَالَ الْحَكَمَاءُ : الْإِنْسَانُ مَدَنِيٌّ بِنَظَرٍ ؛ وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ خُلِقَ حِفْظًا لَابِدًا مَعَهَا مِنْ أَنْ
يَكُونَ مَصْنُوعًا إِلَى أَشْخَاصٍ مِنْ بَنِي حِمْلِهِ ، وَمَتَمِّدًا فِي مَكَانٍ نَعِيمَةٍ ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالْمَدَنِيِّ
سَاكِنَ الْمَدِينَةِ ذَاتِ السُّورِ وَالسُّوْقِ ، بَلْ لَابِدًا أَنْ يَقِيمَ فِي مَوْضِعٍ مَا مَعَ قَوْمٍ مِنَ الْبَشَرِ ؛
وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ مَصْطَرَفًا إِلَى مَا يَأْكُلُهُ وَشَرُّهُ لِيَقِيمَ صُورَتَهُ ، وَمَصْطَرَفًا إِلَى مَا يَلْبَسُهُ ،
لِيُدْفَعَ عَنْهُ أَذَى الْحَرِّ وَالْبَرْدِ ، وَإِلَى مَسْكَنٍ يَسْكُنُهُ لِيَرُدَّ عَنْهُ طَائِفَةٌ غَيْرُهُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ ،
وَلِيَكُونَ مَنَرًا لَهُ لِيَتِمَكَّنَ مِنَ التَّصَرُّفِ وَالْحَرَكَةِ عَلَيْهِ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْإِنْسَانَ وَحْدَهُ
لَا يَسْتَقِلُّ بِالْأُمُورِ الَّتِي عُدِدَتْهَا ، بَلْ لَابِدًا مِنْ جَمْعَةِ يَحْرُثُ بَعْضُهُمْ لِمِيزَةِ الْحَرْثِ ، وَذَلِكَ
الْمِيزَ يَحْوِلُ لِلْحَرَاثِ الثَّوْبِ ، وَذَلِكَ الْخَائِثُ يَسِي لَهُ غَيْرُهُ الْمَسْكَنَ ، وَذَلِكَ الْبَسَاءُ يَحْمِلُ لَهُ

غيره^(١) الماء ، وذلك التقاء يكفيه غيره أمرٌ بتحصيل الآلة التي يطحن بها الحب ويصحن بها الدقيق ، ويحجر بها العجين ، وذلك المحصل لهذه الأشياء يكفيه غيره الاهتمام بتحصيل الزوجة التي تدعو إليها داعية الشئ ، فيحصل مساعدة بعض الناس لبعض ، لولا ذلك لما قامت الدنيا ، فلماذا معنى قوله عليه السلام : « إنيهم طبقات لا يصح بعضها إلا ببعض ، ولا فناء ببعضها عن بعض » .

ثم فصلهم وقسمهم فقال : منهم الجند ،^(٢) ومنهم الكتاب ، ومنهم القضاة ، ومنهم العمال^(٣) ، ومنهم أرباب الحرية من أهل الذمة ، ومنهم أرباب الجراح من المسلمين ، ومنهم التجار ، ومنهم أرباب الصناعات . ومنهم دوا الحاميات والمكة ، وهم أدون الطبقات .

ثم ذكر أعمال هذه الطبقات فقال : الجند للحماية ، والجراح تُصرف إلى الجند والقضاة والعمال والكتاب لما يحكمونه من المعاهد ، ويحمونه من المانع ، ولابد لمسؤوليهم جميعاً من التجار لأجل البيع والشراء الذي لا غناء عنه ، ولابد لكلٍّ من أرباب الصناعات كالحداد والتجار والنساء وأمثالهم . ثم نبى هؤلاء الطبقة السلي ، وهم أهل الفقر والحاجة الذين تحب معونتهم والإحسان إليهم .

وإنما قسمهم في هذا الفصل هذا التقسيم تمهيداً لما يذكره فيما بعد ، فإنه قد شرع بعد هذا الفصل ، فذكر طبقة طبقة وصفاً جيناً ، وأوصاه في كل طبقة وفي كل صنف منهم بما يليق بحاله ، وكأنه^(٤) مهّد هذا التمهيد ، كالتمهيد لما يأتي بعده من التفصيل .

(١) ب : « غير تصرف » . (٢-٢) ساقط من ب ، وأثبتته من د .

(٣) ١ : « فكله » .

الأصل :

قَوْلٌ مِنْ جُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِلَيْمِكَ ، وَأَطَهَرَهُمْ جَنَابًا ،
وَأَفْصَلَهُمْ حِلْمًا ، وَمَنْ يُدْطِئُ عَنِ الْعَصَبِ ؛ وَيَسْتَرْجِعُ إِلَى الْعُذْرِ ، وَيَرَأُفُ بِالضُّعْفَاءِ ،
وَيَسْتَوْ عَلَى الْأَقْوِيَاءِ ؛ وَمَنْ لَا يُبِيرُهُ الْعُفَى ، وَلَا يَقْدُرُ بِهِ الضَّعْفُ .

ثُمَّ الصَّقُ يَذَوِي الْمَرْوَاتِ وَالْأَحْسَابِ ؛ وَأَهْلُ النُّيُونَاتِ الصَّالِحَةِ ، وَالسَّوَابِقِ
الْحَسَنَةِ ، ثُمَّ أَهْلُ الْبُخْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ ، وَالسَّحَاءِ وَالسَّامَةِ ؛ فَإِنَّهُمْ رِجَافٌ مِنَ الْكَرَمِ ؛
وَشُعْبٌ مِنَ الْعُرْفِ .

ثُمَّ يَقْدُرُ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَقْدُرُ الْوَايِدَانِ مِنْ وَلَدَيْهِمَا ؛ وَلَا يَتَعَاوَنُ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ
قَوِيَّتَهُمْ بِهِ ، وَلَا تُحَقِّقُونَ لَطْفًا نَعْدَتَهُمْ بِهِ وَهَبَ قَلْبُ ، فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى تَدْلٍ
الْمُصِيحَةِ لَكَ ، وَحُسْنِ الطَّرِيقِ .

وَلَا تَدْعُ تَقْدُّرَ لَطِيفِ أُمُورِهِمْ أَنْكَلاَ عَلَى حَسِيمٍ ؛ فَإِنَّ لِلْبَيْسِ مِنْ لَطْفِكَ
مَوْصِيًا يَتَمَعُّونَ بِهِ ؛ وَلِلْحَسِيمِ مَوْفِيًا لَا يَسْتَمُونُ عَنْهُ ؛ وَلَيْكُنْ آثَرُ رُحْمٍ
جُودِكَ عِنْدَكَ مِنْ وَاسَاغِهِ فِي مَوَاتِيهِ ، وَفُصِّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ حَدِيثِهِ ، بِمَا يَسْمَعُهُمْ
وَيَسْمَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ حُلُوبِ أَهْلِيهِمْ ، حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمًّا وَاحِدًا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ ،
فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَمُظِفُ قُلُوبَهُمْ عَيْنِكَ . وَلَا تَصِحْ نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِمَحِيطَتِهِمْ^(١)
عَلَى وَلَاذِ أُمُورِهِمْ ، وَقَلْبِ اسْتِنْقَالِ دَوْلَتِهِمْ ، وَتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ اسْطِغَارِ مَدَنِيَّتِهِمْ .

فَافْسَحْ فِي أَمَالِهِمْ ، وَوَاصِلْ مِنْ حُسْنِ التَّنَاسُلِ عَلَيْهِمْ ، وَتَمْدِيدِ مَا أُنْزِلَ ذَوُو الْبَلَاءِ

(١) محطمة النهج * * محيطتهم * * الباء المنددة للكسرة .

مِنْهُمْ ، فَإِنْ كَثُرَتْ الدُّكُرُ لِحُسْنِ فَعَالِهِمْ تَهَرُّزُ الشَّعَاعِ ، وَتَحَرُّصُ السَّكَلِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .
ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا نَلَى ، وَلَا تَبْصُرْ نَلَاءَ امْرِئٍ إِلَى غَيْرِهِ ،
وَلَا تُقْصِرَنَّ بِهِ دُونَ عَابَةِ بَلَائِهِ .

وَلَا يَدْهُوَنَّكَ شَرَفُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تُعْطَمَ مِنْ تَلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيرًا ، وَلَا صَعَةُ
امْرِئٍ إِلَى أَنْ تَسْتَمِيرَ مِنْ تَلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيمًا ، وَارْجُدْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُصِدمُكَ
مِنَ الْخُطُوبِ ، وَبَشْتِهِ عَلَيْكَ مِنَ الْأُسُورِ ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِقَوْمٍ أَحَبَّ
إِلَيْهِمْ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ
فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ (١) ، فَارْجُدْ إِلَى اللَّهِ الْأَحَدِ بِحُكْمِهِ
كِتَابِهِ ، وَارْجُدْ إِلَى الرَّسُولِ الْأَحَدِ بِسُنَنِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمَرْقُوقَةِ .

البَنْزَجُ :

هذا الفصل مختصٌّ بالوصاية فيما يتعلق بأمراء الحبش ، أمره أن يولي أمر الحبش
من جنوده من كل أصحَّهم لله في طاعة ، وأظهرهم حياءً ، أي عفيفا أميناً ، ويكسب
عن العفة والأمانة بطهارة الجلب ، لأنَّ أذى سرق يحمل السروق في حقيقته .

فإن قلت : وأيّ تعلُّق لهذا بولاية الحبش ؟ إنَّما ينبغي أن تكون هذه الوصية
في ولاية الخراج !

قلت : لا بدَّ منها في أمراء الحبش لأجل العنائم .

ثمَّ وصف ذلك الأمير فقال : « مَنْ يَطْلُءُ عَنِ الصَّبِّ ، وَيَسْتَرْجِعُ إِلَى الْعَدْرِ » ، أي يقل

أَذَى عِزِّهِ ، وَيَسْتَرْجِعُ إِلَيْهِ ، وَيَسْكُنُ عِنْدَهُ . وَيَرْؤُفُ^(١) عَلَى الصَّغَاءِ ، يَرْفُقُ بِهِمْ وَيَرْحُمُهُمْ ، وَالرَّأْفَةُ : الرَّحْمَةُ . وَيَنْبُو عَنْ الْأَقْوِيَاءِ : يَتَجَانِبُ عَنْهُمْ وَيَعْدُ ، أَيْ لَا يُعْكُتُهُمْ مِنْ الظُّلْمِ وَالْتِمَادِي عَلَى الضَّعَفَاءِ . وَلَا يَشْرِبُ الْعُتْفَ : لَا يَهْبِيعُ عَضْنَهُ عُتْفَ وَقَسْوَةٍ . وَلَا يَقْعُدُ بِهِ الصَّعْفَ ، أَيْ لَيْسَ طَاحِرًا .

ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يَلْصُقَ بِدَوَى الْأَحْبَابِ وَأَهْلِ الْبَيْتَاتِ ، أَيْ يَكْرِمَهُمْ وَيَجْعَلُ مَعْوَلَهُ فِي ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَلَا يَتَعَدَّاهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ ، وَكَانَ يَقُولُ : عَلَيْكُمْ بِدَوَى الْأَحْسَابِ ؛ فَإِنْ هُمْ لَمْ يَتَكْرَمُوا اسْتَحْيُوا^(٢) .

ثُمَّ ذَكَرَ نَعْدَمَ أَهْلِ الشُّجَاعَةِ وَالسَّجَاءِ ، ثُمَّ قَالَ : « إِيَّاهَا جَمَاعُ مِنَ الْكِرْمِ ، وَشُعْبُ مِنْ السَّرَفِ ؛ مِنْ هَاهُنَا رَائِدَةٌ ؛ وَإِنْ كَانَتْ فِي الْإِيْحَابِ عَلَى مَذْهَبِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَحْمَشِ ، أَيْ جَمَاعُ الْكِرْمِ ، أَيْ يَجْمَعُهُ كَقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « انْظُرْ جَمَاعَ الْإِثْمِ » . وَالْمَرْؤُفُ : الْمَعْرُوفُ .

وَكُنْذَكَ « مَسْ » فِي قَوْلِهِ : « وَشُعْبُ مِنَ الْمَرْؤُفِ » أَيْ وَشُعْبُ الْمَرْؤُفِ ، أَيْ هِيَ أَصْلُهَا وَأَحْرَاؤُهُ ، وَيَحْوُرُ أَنْ تَكُونَ « مَسْ » عَلَى حَقِيقَتِهَا لِلتَّبْعِيصِ ، أَيْ هَذِهِ الْحَالُ حَالَةٌ مِنَ الْكِرْمِ وَأَقْسَامِ الْمَرْؤُفِ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ غَيْرُهَا يُصَابُ مِنَ الْكِرْمِ وَالْمَرْؤُفِ ، وَنَحْوِ الْمَدْلِ وَالْمَقَّةِ .

قَوْلُهُ : « ثُمَّ تَقَعَّدَ مِنْ أُمُورِهِمُ » الصَّغِيرُ هَاهُنَا يَرْجِعُ إِلَى الْأَخْفَادِ لَا إِلَى الْأَمْرَاءِ لِمَا سَدَّكَرَهُ ، مِمَّا يَدُلُّ الْكَلَامُ عَلَيْهِ .

فَإِنْ قُلْتَ : إِنَّهُ لَمْ يَخْتَرْ لِلْأَخْفَادِ ذِكْرًا فِيمَا سَقَى ؛ وَإِنَّا الْمَذْكُورُ الْأَمْرَاءُ ! فَبَلَّ : كَلَّا بَلَّ سَقَى ذِكْرَ الْأَجْدَادِ ، وَهِيَ قَوْلُهُ : « اصْغَمَاءُ وَالْأَقْوِيَاءُ » .

(١) د : « رَأْفَ » ، تَحْرُفُ .

(٢) د : « اسْتَحْيُوا » ، ب : « اسْتَعْبُوا » ، وَأَثْبَتَ مَا فِي أ .

وأمره عليه السلام أن يتفقد من أمور الحبس ما يتفقد الوالدان من حال الوالد ؛ وأمره ألا يعظم عنده ما يقوهم به وإن عظم ، وألا يستحق شيئاً تعهد بهم به وإن قل ، وألا يعلنه تفقد جسم أمورهم عن تفقد صغيرها . وأمره أن يكون آثراً وسجنوده عنده وأحطاهم عنده وأقربهم إليه من أساهم في معونه ؛ هذا هو الصير الدال على أن الصير المذكور أولاً للحنن لا لأمراء الحنف ؛ لولا ذلك لما تنظم الكلام .

قوله : « من حُوف أهليهم » ، أى ممن يحملونه من أولادهم وأهليهم .
ثم قال : لا يصح نصيحة الحنف لك إلا بحيطتهم على ولايتهم ؛ أى بشغفهم عليهم وتحسُّهم . وهى الحيلة على درر الشيعة ، مصدر حاطه يحوطه حوطاً وحياطاً ، وحيلة ، أى كلاء ورعاء ، وأكثر الناس يروونها « لا يحيطتهم » نشديد آباء وكرها ، والصحيح ما ذكرناه .

قوله : « وقلة استنقال دُولهم » ؛ أى لا تصح نصيحة الحنف لك إلا إذا احتوا أمراءهم ثم لم يستنقلوا دُولهم ؛ ولم يتمنوا زوالها .
ثم أمره أن يذكر في المجالس والمجال بلاء دوى البلاء منهم ؛ فإن ذلك مما يرفع عزم الشجعان ويحرك الجبان .

قوله : « ولا نصنَّ بلاء امرئ إلى غيره » ، أى اذكر كل من أئلى منهم مفرداً غير مصموم ذكر بلائه إلى غيره ، كي لا يكون معموراً في حب ذكر غيره .

ثم قال له : لا تعظم بلاء دوى الشرف لأهل شرهم ، ولا تحقر بلاء دوى الصفة لصفة أسابهم ، بل اذكر الأمور على حقائقها .

ثم أمره أن يرد إلى الله ورسوله ما يصلحه من المطلوب ؛ أى ما يشوده ويميله

ثقله ، وهذه الرواية أصح من رواية من رواها بالطاء ؛ وإن كان لتلك وجه .

[رسالة الإسكندر إلى أرسطو ورد أرسطو عليه]

ويبين أن يذكر في هذا الموضع رسالة أرسطو إلى الإسكندر في معنى المحافظة على أهل البيوتات ودوى الأحباب ، وأن يحصتهم بالرياسة والإمرة ؛ ولا يعدل عنهم إلى العامة والسفلة ، فإن في ذلك تشييداً لكلام أمير المؤمنين عليه السلام ، ووصيته .

لما ملك الإسكندر إيران شهر - وهو العراق مملكة الأكاسرة - وقتل دارا بن دارا كتب إلى أرسطو وهو يولد اليونان :

عليك أيها الحكيم منا السلام ، أما بعد فإن الأملاك الدائرة ، والعمل السائية ؛ وإن كانت أسعدتنا بالأمور التي أصبح أساس لها دائمين ، فإنما حدث واحد من ليس الاضطراب إلى حكمتك ، غير واحد من فصلك والإقرار بمرئيتك ، والاستعانة^(١) إلى مشورتك والافتداء رأيك ؛ والاعتماد لأمرك ونهيتك ، إنما يكون من حدا ذلك علينا ، ودعا من حدا منعمته ، حتى صار ذلك بهجوعه في أدهاننا وعقولنا كالعداء لنا ، فما نملك نعوّل عليه ، ونستمد منه استمدّة الحداول من التحور ، وتعويل الفروع على الأصول ، وقوة الأشكال بالأشكال . وقد كان مما سبق إلينا من النصر والفتح ، وأتيح لنا من الطائر ، وبلغنا في العدو من التكاية والمنطق ما يحجر القول عن وصفه ، ويقصر شكر اسم عن موقع الإعظام به ، وكان من ذلك أن حاورنا أرض سورية والجزيرة إلى بابل وأرض فارس ، فلما حللنا بعقوة^(٢) أهلها وساحة بلادهم ، لم يكن إلّا دينا تلقانا نفر منهم برأس ملكهم هدية إلينا ، وطمعاً للخطوة عددا ، فأمرنا بصلب من

(١) كذا في ١ ، واستقام إلى الأمر : سقى إليه ؛ وفي ب : « الاستعانة » .

(٢) العقوة : ماحول الدار .

جاء به وشهرته لسوء ثلاثة ، وقلة أروعته ووفاته ؛ ثم أمرنا بجمع من كان هناك من أولاد ملوكهم وأحرارهم ودوى الشرف منهم ؛ فرأينا رجالاً^(١) عظيمة أجسامهم وأحلامهم ، حاصره الناسم وأدهانهم ، رائحة منطرحهم ومناطقهم ، دليلاً على أن ما يظهر من رؤائهم ومسطحهم أن وراءه من قوة أيديهم ، وشدة نخبتهم وبأسهم ما لم يكن ليكون لنا سبيل إلى غلبتهم وإعطائهم بأيديهم ، لولا أن انقضاء أداثنا منهم ، وأظفرنا بهم ، وأظهرنا عليهم ، ولم تر بعيداً من الرأي في أمرهم أن نستأصل شفتهم ، ونحت أصلهم ، ونلحقهم بمن مضى من أسلافهم ، لتكن القلوب بذلك الأمن إلى حرائرهم وبوائسهم ؛ فرأينا ألا نحمل بأسعاب يادى الرأي في قتلهم دون الاستطهار عليهم عشورنك فيهم . فرفع إليا رأيك فيما استشرناك فيه بعد صحتك عندك ، وتقديسك إياه بحلى نظرك ، وسلام أهل السلام ، فليكن علينا وعليك :

فكتب إليه أرسطو :

لملك الملوك ، وعظيم المطاه ، الإسكندر المؤيد بالصر على الأعداء ، المهدي له الظفر بالملك ، من أسمر عبده وأقل حوله ؛ أرسطو طاليس السخوع بالسجود والتدلل في السلام ، والإذعان في الطاعة :

أما بعد ، فإنه لا قوة بالمطلق وإن احتشد المطلق فيه ، واحتهد في تشيف معايه ، وتأليف حروفه ومسانيه على الإحاطة بأقر منائله القدرة من بسطة علو الملك وسمو ارتفاعه عن كل قول ، وإبراره على كل وصف ، واعترافه بكل إطماب . وقد كان تقرر عمدي من مقدمات إعلام فصل الملك في صهنة سمته ، وبرور شأوه ، وبمن نقيته ، صدأت إلى حاسة نصري صورة شخصه ، واضطرب في حس ممضى صوت لفظه ، ووقع وهمي

(١) ب : رجاله .

على تعقيب محاربه رأيه ، أيام كنت أؤدي إليه من تكلف تعليمي إياه ما أصبحت قاضيا على
نفسى بالحاجة إلى تعلمه منه . ومهما يكن متى إليه في ذلك ، فإنما هو عقل مردود إلى
عقله ، مسسطة أواليه وتواليه من علمه وحكمته . وقد حلا إلى كتاب الملك ومحاطبته إياي
ومسأله لي عما لا يتحلى الشك في نفاذ تلك وإتاحة من عنده ، فعنه صدر وعليه ورد ؛
وأنا فيما أشير به على الملك - وإن احتجبت فيه واحتشدت له ، وتجاوزت حد الوسع والطاقه
متى في استنطافه واستقصائه - كالعدم مع وجود ، بل كما لا يتجرأ في جب معظم الأشياء ،
ولكنني غير ممتنع من إحالة الملك إلى ما سأل ، مع على وبقيى تعظيم غناه عنى ، وشدة
عاقبي إليه ، وأنا راد إلى الملك ما اكتسبه منه ، ومشير عليه عما أحدثه ،
منه ففائله :

إن لكل زمة لا محالة فنا من امصائل ، وإن لعارس قسمها من لتجدة والقوة ،
وإنك إن نزل أشراهم تحف الوضوء على أسقامهم ، وورث سقمهم على مائل عديتهم ،
وتعذب أدياءهم على حراب دوى أحظارهم ؛ ولم تقتل الملوك قط سلاء هو أعظم عليهم
وأشد توهيبا لسلطانهم من علة السفة ، ودر الوحوه ، فحدر الحدر كله أن تمكى تلك
الطليقة من العنة والحركة ، فإنه إن يحم منهم بعد اليوم إلى حيدك وأهل بلادك ناهم
دهمهم منه ما لا روية فيه ، ولا نقيّة معه ؛ ونصرف عن هذا الرأى إلى غيره ، واعمد إلى
من قبلك من أولئك العطاء والأحرار ، موزع بينهم مملكتهم ، وألزم اسم الملك
كل من وليته منهم ناحيته ، واعقد التاج على رأسه وإن صغر ملكه ، فإن التسمي
بالمك لازم لاسمه ، والمعقود التاج على رأسه لا يحصع لميره ، فليس ينشب (١) ذلك أن
يوقع كل ملك منهم يسه وبين صاحبه تد رأ وتقاطعا وتناد على الملك ، وتاخرا بالمال
والخند ؛ حتى ينموا بذلك أصنامهم عبيك وأوتارهم فيك ، ويمود حربهم لك حربا

بينهم ، وحقهم عليك حقا منهم على أنفسهم ، ثم لا يزدادون في ذلك نصرة إلا أحدثوا لك بها استقامة ؛ إن دنوت منهم دانوا لك ، وإن تأيت عنهم تعزّزوا بك ، حتى يثب من ملك منهم على جاره باسمك ، ويسترهته محمدك ، وفي ذلك شاعل لهم عليك ، وأمان لإحداهم بعدك ، وإن كان لا أمن للدهر ، ولا ثقة بالأيام .

قد أدبت إلى الملك ما رأيت في خطأ ، وعي حقا ، من بحانت إياه إلى ما سألني عنه ، ومحضته الصيحة فيه ، والملك أعلى حياء ، وأقدر روية ، وأفضل رأيا ، وأمد همه فيما استعان بي عليه ؛ وكفى نسيته والشورة عليه فيه . لا زال الملك متمزعا من عوائد النعم وعواقب الصنع ، وتوسيد الملك ، وتفسر الأحول ، ودرك الأمل ، ما تاتي به قدرته على غاية قصوى ما تناله قدرة البشر !

والسلام الذي لا انتصاء له ، ولا انتهاء ولا غاية ولا ماء ، فسكن على الملك .
قالوا . فعيل الملك رأيه ، واستحلف على إبراهيم شهر أسماء ابوك واسطفا من أهل فارس ، فهم ملوك الطوائف الذين عوا دمه ؛ والملكة مودعة يسهم إلى أن جاء أردشير ابن بابك فاتزع الملك منهم .

الأفضل :

ثُمَّ أَحْتَرِ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ وَنَفْسِكَ ، يَمْنُ لَا تَصِيقُ بِهِ الْأُمُورُ ، وَلَا تَمَحْكُهُ الْخُصُومُ ، وَلَا يَتَأَدَّى فِي الرِّقَّةِ ، وَلَا يَخْصَرُ مِنْ أَنْفِي إِلَى الْخَلْقِ إِذَا عَرَفَهُ ، وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ ، وَلَا يَكْتَفِي بِأَذَى صَهِرٍ دُونَ أَنْصَاةٍ . وَأَوْقِفْهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ ، وَآخِذْهُمْ بِالْحُجَجِ ، وَأَمْلَهُمْ تَرْتَمَا عَمْرَأَتَهُ الْخُصْمِ ، وَأَصْبِرْهُمْ

عَلَى تَكْشِفِ الْأُمُورِ ، وَأَضْرَمَهُمْ عِنْدَ تَصَاحِرِ الْحُكْمِ ، رَمْنٌ لَا يَزِدُّهُ إِلَّا ظُرًّا ، وَلَا يَسْتَعْمِلُهُ إِلَّا غُرًّا ، وَأُولَئِكَ قَلِيلٌ .

ثُمَّ أَكْثَرُ تَعَاهُدِ قَصَائِرِهِ ، وَأَفْسَحُ لَهُ فِي انْتِدَالِ مَا يُرِيحُ عِلَّتَهُ ، وَتَقِلُّ مَمَّهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ ، وَأَعْطَاهُ مِنَ الْمَرْثَةِ نَدِيكَ مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ حَاصَّتِكَ ، لِيَأْمَنَ بِدَلِّكَ اعْتِيَالَ الرَّحَالِ لَهُ عِنْدَكَ . فَانْظُرْ فِي ذَلِكَ نَظْرًا بَاطِنًا ، فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيرًا فِي أَيْدِي الْأَثَرَارِ ، يُدْمَلُ فِيهِ بِالنَّهْوِ ، وَتُطَلَّبُ بِهِ الدُّنْيَا .



الْبَزْخُ :

تَمْحُكُهُ الْحَصُومُ : تَجْمَلُهُ مَاحِكًا ، أَيْ لَجُوجًا ، مَحَكُ الرَّحْلِ ، أَيْ لَحْ ، وَمَلَحَكَ رِيدَ حُمْرًا ، أَيْ لَاجَةً .

قوله : « وَلَا يَتِمَادَى فِي الزَّوْءَةِ » ، أَيْ إِنْ رَلَّ رَجَعَ وَأَنَابَ ، وَالرَّجُوعُ إِلَى الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادَى فِي الْبَاطِلِ .

قوله : « وَلَا يَحْصَرُ مِنَ الْوَاءِ » هُوَ الْمَعْنَى الْأَوَّلُ لِمَعْنَاهُ ، وَالْوَاءُ : الرَّجُوعُ ، إِلَّا أَنَّ هَاهُنَا زِيَادَةٌ ، وَهُوَ أَنَّهُ لَا يَحْصَرُ ، أَيْ لَا يَمْلَأُ فِي الْمَطْلُوقِ ، لِأَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ إِذَا زُلَّ حَصِرَ عَنْ أَنْ يَرْجِعَ وَأَسَابَهُ كَالْمَهَامَةِ وَالْمَيَّ خَجَلًا .

قوله : « وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ » ، أَيْ لَا تَشْفِقُ . وَالْإِشْرَافُ : الْإِشْفَاقُ وَالْخُوفُ ، وَأَنْشَدَ اللَّيْثُ :

وَمِنْ مُضَرِّ الْحُرَاءِ إِسْرَافًا نَفْسِهِ عَلَيْنَا وَحَيَاهَا عَلَيْنَا تَمْضَرًا

وقال عروة بن أدبئة :

لقد علمتُ وما الإشرافُ من خُلُقٍ أن الذي هو رزقٌ سوف يأتي (١)

والمنى : ولا شفق نفسه ، ونحاف من فوت المانع والمراقى .

ثم قال : « ولا يكتفى بأدنى فهم » ، أى لا يكون قاعاً بما يحظر له بآدى الرأى من أمر الخصوم ، بل يستقصى ويبحث أشد البحث .

قوله : « وأقلهم نكرًا مراحمة الخصم » ، أى نصجراً ، وهذه الحصلة من محاسن ما شرطه عليه السلام ، فإن القلق والنصحر والتدبر فبيع ، وأصح ما يكون من القاصى .

قوله : « وأصرمهم » ، أى أنطمهم وأمضهم . واردة كذا ، أى استحقته . والإطراء : المدح . والإعراء : التحريض .

ثم امره أن يتطمع على أحكامه وأفضته ، وأن يعرض له عطاء واسما يملأ عينه ، ويتعفف به عن المراقى والرشوات ، وأن يكون قريب المكان منه ، كثير الاختصاص به ليمنع قربه من سعاية الرجال به وتقبيحهم ذكره عنده .

ثم قال : « إن هذا الدين قد كان أسيراً » ، هذه إشارة إلى قصة عثمان وحكامه ، وأنهم لم يكونوا يقصون بالحق عنده ، بل بالهوى لطلب الدنيا .

وأما أصحابنا فيقولون : رحم الله عثمان ! بربه كان صميماً ، واستولى عليه أهله ، قطعوا الأمور دونه ، فأنعمهم عليهم وعثمان يرى منهم .

[فصل في القضاة وما يلزمهم وذ كر بعض نواذرهم]

قد جاء في الحديث الرفوع : « لا يقضى انقامي وهو غصبان » . وجاء في الحديث الرفوع أيضا : « من انتاب القضاة بين المسلمين فليعدل بينهم في خطه وإشارته ومحاسنه ومقصدته » .

دخل ابن شهاب على الوليد - أو سليمان - فقال له : يا ابن شهاب ، ما حديث يرويه أهل الشام ؟ قال : ما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : إني يروون أن الله تعالى إذا استرعى عدا رعية كتب له الحسنات ، ولم يكتب عليه السيئات ، فمن كذبوا يا أمير المؤمنين ، أئنا أقرب إلى الله ، سي أم خليفة ! قال : بل سي ؛ قال : فإنه سأل يقول لبيه داود : ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الْأَئِيدِينَ يَنتُصِرُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ . فقال سليمان : إن الناس ليُمرؤنا عن ديما .

وقال بكر بن عبد الله العدوي لابن أرمطة - وأراد أن يستقصيه : والله ما أحسن القضاء ، فإن كنت صادقاً لم يحمل لك أن تستغفر من لا يحسن ، وإن كنت كاذباً فقد فسدت ، والله لا يحمل أن تستغفر الفاسق .

وقال الزهري : ثلاث إذا كن في الناصي فليس بفاصل ، أن يكره اللائمة ، ويحب المحمدة ، ويخاف العزل .

وقال محارب بن زياد للأعمش : ولئت انقصا فسكى أهل ، فلما عزلت بكى أهلي ، فما أدى من ذلك ؟ قال : لأبك ولئت القضاء وأت تكبره ونحرم منه ،

فبكى أهلك لجزعك ، وعزت عنه فكرهت العزل وحررت فكي أهلك لجزعك . قال : صدقت .

أُتِيَ ابنُ سُرمَةَ يقومُ يشهدون على قَراح^(١) محل ، فشهدوا - وكانوا عدولا - فمتحنهم فقال : كم في القَراح^(٢) من محلة ؟ قالوا : لا علم ، مردُّ شهادتهم ، فقال له أحدهم : أنت أيتها القاضي تنقض في هذا المسجد مئة ثلاثين سنة ، فاعْلَمَا كم فيه من أسطوانة ؟ فسكت وأبازهم .

خرج شريك وهو على قضاء الكوفة يتنقى الخيران ، وقد أبليت تريد الملح ، وقد كل استنقى وهو كاره ، فأتى شامي^(٣) ، فقام بها ثلاثا ، فلم تواف ، فخف رادُّه وما كان معه ، فحمل بيته بالماء ومأكله بالملح ، فقل العلاء بن المهthal القسوى .

فإن كان الذي قد قلبَ حَقَّ فإن مدأ كرهوك على الفساء^(٤)
فما لك موصيا في كل يوم تلقى من يبحج من النساء
مقبيا في قرى شامي ثلاثا فلا راد سوى كثر وماء

وتقدمت كلثم بنت سريع مولى عمرو بن حريث - وكانت جميلة - وأحوها الوليد ابن سريع إلى عبد الملك بن عُمر ؛ وهو ماض بالكوفة ، فقصى لها على أحبها ، فقال هُذَيْل الأشجعي :

أنا وليدٌ بالشهود يسوقهم على ما ادعى من صامت المال والحول
وحاءت إليه كلثم وكلامها شماء من الداء الخامر والجبل
فأدلى وليدٌ عند ذاك بحقه وكان وليدٌ ذا وراء وذا حدل
فدَّهت القبطى حتى قصى لها نعيم قضاء الله في محكم الطول

(١) القراح هنا : البطان ، واسطر يافوت (قرح) . (٢) شامي : موضع قرب القادسية .

(٣) الجعر والأبيات في معجم البلدان ٢ : ٢٢٤

فلو كان من في القصر يعلم عنه لما أستمع القبطي فينا على عمل
له حين يقضي للنساء تحاورن وكان وما فيه التناؤن والحوار
إدابات دلي كلفته الحاجة فهم بأن يقصّي تفتح أو سئل
وبرق عيبه ولألك لسانه يرى كل شيء ما حلا وسليها حلل

وكان عبد الملك بن هير يقول: لعن الله لأشعري، والله لئنما جاءتني السعة والسخنة
وأنا في الترشا فأردتها لما شاع من شعره.

كتب عمر بن الخطاب إلى معاوية: أما بعد، فقد كتبت إليك في القضاء بكتاب لم
آلت وعسى فيه حيراً؛ الزم غنى حصل يسم لك دينك، وتأخذ بأفضل حطك: إذا تقدم
إليك الخصمان فليكن بالسنة العادلة أو باليمين القاطعة، وأدب الضعيف حتى يشتد قلبه ويبسط
لسانه، ونهه القريب فإتاك إن لم تعهده ترك حقه ورجع إلى أهله؛ وإتأ صيغ حقه من لم
يرفق به، وآس بين الخصوم في لحظك ونفقتك، وعليك بالصلح بين الناس ما لم يستبين
لك فصل القضاء.

وكتب عمر إلى شريح: لا تسارر ولا تصارر، ولا تسع ولا تنتع في مجلس القضاء،
ولا تقض وأنت عصا، ولا شديد الجوع، ولا مشغول القلب.

شهد رجل عند سوار القاضي، فقال: ما صاعتك؟ فقال: مؤدب، قال: أما لا أجر
شهادتك؟ قال: ولم؟ قال: لأنك تأخذ على تعميم القرآن أحراً، قال: وأنت أيضاً تأخذ على
القضاء بين المسلمين أحراً، قال: إنهم أكرهوني؛ قال: نعم أكرهوك على القضاء، فهل
أكرهوك على أخذ الأجر؟ قال: هلم شهادتك.

ودخل أبو ذؤلمة ليشهد عند أبي ليلى، فصر حين جلس بن يديه:

إذا الناس عطوني تغطيت عنهم وإن بحثوا عني قضيت مباحث^(١)

(١) الأغاني ١٠ : ٧٣٤ ، وفيه « إن الناس » .

وإن حَمَرُوا بَثْرَى حَمَرَتْ بَثْرَهُمْ ليعلم ما تُخفيه تلك السَّائِثُ
فقال : بل تعطيك يا أُمّ دُلَامَة ولا سَحْثَكَ ، ومَرَفَه رَصِياء ، وأعطى المشهود عليه من
عنده قيمة ذلك الشيء .

كان عامرُ بنُ الطَّارِبِ أَمَدَوَانِيَّ حَكَمَ العرب وفاصِيَهَا ، فَنَزَلَ به قوم يسميَونه في الخنثى
وميراثه ؛ فلم يَدِرْ ما يَقْصِي به ، وكان له حارية اسمُها حَصِيلَة ، رَتَمَ لامِها في الإبطاء عن
الرَّعْيِ وفي الشيء يَحْدُهُ عليها ، فقال لها : يا حُصِيلَة ، لِمَ أُسْرَخَ هؤلاء الموم في عَمِي ،
وأَطالُوا المَكْثَ ، قالت : وما يَكْثُرُ عَيْثُ من ذلك ؟ اتَّعَمَ مَسَالَهُ وحَلَاكُ حَمَ ، فقال لها :
« مَسِيٌّ ^(١) حُصِيلُ بَعْدَهَا أو رُوْحِي » .

وقال أعرابيُّ لقوم يَسَارِعُونَ : هل بكم في الحقِّ أو ما هو خبر من الحقِّ ؟ قيل :
وما أَدَى هو خبرٌ من الحقِّ ؟ قال : الحِطَاءُ والْتِهَامُ ؛ فإنَّ أحدَ الحقِّ كلُّهُ صَرٌّ .
وعمرُ صَمْرُ بنُ عبدِ العزِزِ بعضَ قَصَائِدِهِ ، فقال : لم عَرَنْتَنِي ؟ فقال : نِلَسِي أنْ كَلَامَكَ
أَكْثَرُ من كَلَامِ الحُصَيْنِ إذا تَحَاكَمَا إِلَيْكَ

ودخلَ إِيَّاسُ بنُ معاويةَ الشَّامِ وهو عَلامٌ ، فَتَدَخَّلَ حَصْنًا إلى بابِ القَاضِي في أَيَّامِ عبدِ الملكِ ،
فقال القَاضِي : أَمَا تَسْتَحْيِي ! تُجَاوِزُ وَأَنْتَ عَلامٌ شَيْخًا كَبِيرًا ؟ فقال : الحقُّ أَكْبَرُ مِنْهُ ،
فقال : اسْكُتْ وَتَيْمَحْكَ ا قال : من يَبْطِقُ بِحَقِّي بِذَا ا قال : ما أَطَلَّكَ بِقَوْلِ اليَوْمِ حَقًّا حَقِّي
تَقُومُ ؛ فقال : لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ . فَتَدَخَّلَ القَاضِي ودخلَ على عبدِ الملكِ وأخبرَهُ ، فقال : اقضِ
حَاجَتَهُ وأُخْرِجْهُ مِنَ الشَّامِ كي لا يُعْسِدَ عَلَيْنَا النَّاسَ .

وَأُخْتَصِمَ أَعْرَابِيٌّ وَحَصَرِيٌّ إِلَى قَاضٍ ، فقال لأعرابيُّ : آتَيْتُ القَاضِي ، يَهْوِيَانِ كَهَنَجٍ ^(٢)
إلى الباطلِ ، فإنه عن الحقِّ لَمَطُوفٌ .

ورَدَّ رَجُلٌ حَارِيَةً عَلَى رَجُلٍ اشْتَرَاهَا مِنْهُ «الْحُمُقُ» ، فَرَفَعَهَا إِلَى إِيَّاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ ،

(١) في بعض الأمثال ٢٩٥.٢ «مَسِيٌّ سَخِيلٌ بَعْدَهَا أَوْصَحِيٌّ» . (٢) هَمِجٌ : أَسْرَعُ .

فقال لها إياس : أى رَحْلِيكِ أطول ؟ فقالت : هذه ، فقال : أتذكرين ليلة ولدتك أمك ؟ قالت : نعم ، فقال إياس : ردّ ردّ !

وجاء في الخبر الرفوع من رواية عبد الله بن عمر : « لا قدستُ أمةً لا يُقضى فيها بالحق » ؛ ومن الحديث الرفوع من رواية أنس بن مالك : « ليس أحدٌ يحكم بين الناس إلا جئ به يوم القيامة مغلولاً يده إلى عُقْبِهِ ، فكفه العدل ، وأسلمه الخور » .

وأستمدى رجلٌ على عليّ بن أبي طالب عليه السلام عمرَ بن الخطّاب رضي الله عنه وعلىّ حلس ، فالتفت عمرُ إليه ، فقال : هم يا أبا الحسن ! فأجلس مع حَصْمِكَ ، فقام فيجلس معه وتناظرا ؛ ثم أنصرف الرجل ورجع علىّ عليه السلام إلى محله ، فتبين عمر التبر في وجهه ، فقال : يا أبا الحسن ، مالي أراك متغيراً ! أكرهت ما كان ؟ قال : نعم ، قال : وما ذلك ؟ قال : كنتني محصرة حَصْمِي ، هَلَا قَلْتُ : قم يا عليّ ! فأجلس مع حَصْمِكَ ! فاعسق عمرُ عليّاً ، وحمل بقتل وجهه ، وقال يا بني أتم ! رِيسكم هذا ما الله ، وبكم أحرصاً من الطلّمة إلى النور .

أما بن عبد الحميد اللاحق في سوار بن عبد الله القاضي :

لا تَقْدَحِ الطُّنَّةُ في حُكْمِهِ شيعتهُ عدلٌ وإصافُ
يَمْحِي إِذَا لم تَلْقَهُ شُهْبَةٌ وفي أعراس الشكِّ وقافُ

كان ينفذ رجلٌ يدكر بالصّلاح والزهد بقل له رؤيم ، فوُلّي القضاء ، فقال الجليد : مَنْ أراد أن يستودع سرّاً من لا يفتيه فليبه برؤيم ، فإنه كتم حبّ الدنيا أربعين سنة إلى أن قنر عليها .

الأشهب الكوفي :

يا أهلَ بغداد قد قامت قِيامتُكم مد صار قاضيكم نوح بن دراح
لو كان حياً له الحجاجُ ما سِلِمَتْ صحبتهُ بده من وشم حجاج

وكان الحجاج يسم أيدى السبط بالشرائط والنيل .

لما وقعت فتنة أبي الزبير أعتزل شريح القضاء وقال : لا أقصي في الفتنة ؛ فسقى لا يقضي تسع سنين ، ثم عاد إلى القضاء وقد كبرت سنه ، فاعترضه رجل وقد أنصرف من مجلس القضاء ، فقال له : أما حق لك أن تحصى الله ! كرت ستك ، وفقد زهرك ، وصارت الأمور تحور عليك ، فقال : والله لا يموتها بعدك لي أحد . فلم يمت حتى مات .

قيل لأبي قلابه وقد هرب من القضاء : لو أحت ؟ قال : أخاف الهلاك ، قيل : لو أجهدت لم يكن عليك بأس ؟ قال : ويحكم ! إذا وقع الساع في البحر كم عسى أن يسبح !

دعا رجل لسليمان الشاذ كوفي ، مد : أرايك الله يا أبا أتوب على قضاء إسمهان ! قال : ويحك ! إن كان ولا بد فملى حراجه ، فإن أحد أموال الأعياء أسهل من أحد أموال الأيتام .

ارتفعت حميلة بنت عيسى بن حراد - وكانت حميلة كاسمها - مع حصم لها إلى الشعي - وهو قاضي عبد الملك - فقضى لها ، فقال هديل الأشجعي :

فَتِنَ الشَّعْبُ لَمَّا رَفَعَ الطُّرُقَ إِلَيْهَا
فَتَنَتْهُ بَنَاتُهَا وَهَوْنَتِ حَاجِبَتُهَا
وَمَشَتْ مَشْيًا رُوَيْدًا ثُمَّ هَزَّتْ مَكْبَتَهَا
فَقَصَى جَوْرًا عَلَى الْحَقِّ هَمٌّ وَلَمْ يَقْصُرْ عَلَيْهَا

فقبض الشعي عليه وضربه ثلاثين سوطا .

قال ابن أبي ليلى : ثم أنصرف الشعي يوما من مجلس القضاء وقد شاعت الأبيات

وتناشدنا الناس ، ونحن معه ، فررنا بحادم نَعْسَل الثياب ، ونقول :

• فُتِنَ الشَّيْءُ لَنَا •

ولا تَحْفَظ تَمَّةَ الْبَيْت ، فَوَقَّعَ عَلَيْهَا وَنَقَبَهَا ، وَقَالَ :

• رَفَعَ الطَّرْفَ إِلَيْهَا •

ثُمَّ صَحَّكَ وَقَالَ : أَمَدَّ اللَّهُ ! وَاللَّهِ مَا قَصِيصًا ^(١) لَهَا إِلَّا مَا لَحِقَ .

جاءت امرأة إلى قاصٍ فقالت : مات تَمْلَى وَرَكَ أَبُوَيْنِ وَأَبَا وَبَنَى عَمَّ ، فقال القاصي :

لأَبَوَيْهِ التَّكْلُ ، ولأَبِيهِ الْيَتَمُ ، وَلَكَ الْمَلَايِمَةُ ، وَلِسَى عَمَّةُ الدَّلَّةُ ، وَأَجَلِي الْمَالُ إِلَيْنَا إِلَى أَنْ تَرْتَمِعَ الْحَصُومُ !

لَقِيَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ شَرِيكَاً بَعْدَ مَا أُسْتَقْبِلَ بِهِ ، فَقَالَ لَهُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، بَعْدَ الْإِسْلَامِ وَالْمِنَةِ

وَالصَّلَاحِ بَلَى أَمْعَاءُ ! قَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، فَهَلْ لِلنَّاسِ بَدٌّ مِنْ قَاصٍ ! قَالَ : وَلَا بَدَّ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لِلنَّاسِ مِنْ شَرِّ طَلِيٍّ .

وَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ صَالِحٍ بْنُ حَمَّانٍ يَقُولُ لَمَّا وَلَّى شَرِيكَهُ الْقَصَاءَ : أَيُّ شَيْخٍ أَفْسَدُوا !

قَالَ أَبُو دَرْدَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : يَا أَمَّا دَرُّ ، اعْقِلْ ^(٢)

مَا أَقُولُ لَكَ ؛ جَعَلَ يَرُدُّهَا عَلَى سِتَّةِ أَيَّامٍ ، ثُمَّ قَالَ لِي فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ : أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي سِرِّكَ وَبِعَلَانِيَتِكَ ، وَإِذَا أَسَأْتَ فَاحْشِنْ ، وَلَا تَسْأَلَنَّ أَحَدًا شَيْئًا وَلَوْ سَقَطَ سَوْطُكَ ، وَلَا تَتَقَلَّدَنَّ أَمَانَةً ، وَلَا تَلْبِسَ وَلَايَةً ، وَلَا تَكْفُشَ يَتِيمًا ، وَلَا تَنْصِبَ بَيْنَ أَثْنَيْنِ .

أَرَادَ عُمَارُ بْنُ عَفَّانَ أَنْ يَسْمَعِيَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو ، فَقَالَ لَهُ : أَلَسْتَ قَدْ مَحَمَّتَ النَّبِيَّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : « مَنْ أَسْتَعَادَ بِاللَّهِ فَقَدْ عَادَ بِعَمَادٍ » ، قَالَ : بَلَى ، قَالَ : فَإِنِّي أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ أَنْ تَسْتَقْصِيَنِي .

(١) ١ ، د : « قضيت » ، وأثبت ما في د . (٢) في د : « افعل » .

وقد ذكر الفقهاء في آداب القاضي ^(١) أموراً، قالوا: لا يجوز أن يقبل هدية في أيام القضاء إلا ممن كانت له عادة يهدي إليه قبل أيام القضاء، ولا يجوز قبولها في أيام القضاء ممن له حكومة وخصومة، وإن كان ممن له عادة قديمة، وكذلك إن كانت الهدية أقدس وأرفع ممن كانت قبل أيام القضاء لا يجوز قبولها. ويجوز أن يحضر القاضي الولايم، ولا يحضر عند قوم دون قوم؛ لأن التخصيص يشير بالمثل، ويجوز أن يعود الرضى، ويشهد الحاضر، ويأتي مقدم النائب، ويكره له مباشرة البيع والشراء. ولا يجوز أن يقضى وهو غضبان ولا حائط ولا عطشان، ولا في حال الحرب الشديد، ولا الفرج الشديد، ولا نقى ودماس ينفله، والرص يلقفه، ولا وهو يدافع الأعداء، ولا في حرّ مزيج، ولا في برد مرعج. وينبغي أن يجلس للحكم في موضع نادر يصر إليه كل أحد، ولا يحتجب إلا بعدد. ويسحب أن يكون محله فيجاء لا يتدنى بذلك هو أصلاً. ويكره الجلوس في المساحد للقضاء، فإن احتاج إلى وكلاء، حرّ أن يتخذهم ويوصيهم بالرفق بالخصوم. ويسحب أن يكون له حش، وأن يتحد كلاً من احتاج إليه؛ ومن شرط كونه أن يكون عارفاً بما يكتب به عن القضاء.

وأختلف في حوار كونه دميّاً، ولأظهر أنه لا يجوز. ولا يجوز أن يكون كونه هاسقاً، ولا يجوز أن يكون أشهود عهده قوماً معينين، بل شهادة عامة فيما استكمل شروطها.

الأفضل :

ثم انظر في أمور عمالك، فستعلمهم اختياراً، ولا تولهم محابة وأثرة، فإنهما يجامع من شعب الحور والحياة. وتوخ منهم أهل التجربة والحياة من أهل البيوتات الصالحة والتقدم في الإسلام المتقدم، فإنهم أكرم أخلاقاً، وأصح أعراضاً، وأقرب المطامع إشرافاً، وأجمع في عواقب الأمور نظراً.

(١) كما في ١، وهو الصواب وفي ب : « نعم » .

ثُمَّ أَسْبَغْ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ ، وَرَغْنَى لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا نَحْتَ أَيْدِيهِمْ ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ ، أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ .
ثُمَّ تَقَدَّرْ أَعْمَالَهُمْ ، وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ صِدْقٍ وَاتِّقَاءٍ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي اسْرٍّ لِأُمُورِهِمْ حَدُودٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْأُمَانَةِ ، وَالرَّقْفِ بِالرَّعِيَّةِ . وَتَحَفُّظُ مِنَ الْأَعْوَانِ ، فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ نَسَطَ يَدَهُ إِلَى حَيَاتِهِ اخْتَمَمَتْ بِهَا عَلَيْهِ بِمَذَكِ أَجْبَارِ عُيُوبِكَ ، اِكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِدًا ، فَسَطَطْتَ عَلَيْهِ الْمُؤْمِنَةَ فِي نَدْبِهِ ، وَأَحْدَثْتَ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ عِزَّامِ الْمَدِينَةِ ، وَوَسَّيْتَهُ بِالْخِيَانَةِ ، وَقَدَّرْتَهُ عَرَّ التَّهْمَةِ .

البِنْجُ :

لَمَّا مَرَعَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَمْرِ الْعِصْيَةِ ، شَرَعَ فِي أَمْرِ الْقِتَالِ ، وَهُوَ مَقَالُ السَّوَادِ وَالصَّدَقَاتِ وَالْوُقُوفِ وَالْمَصَالِحِ وَغَيْرِهَا ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَسْتَعْمِلَهُمْ بِمَدِّ احْتِسَارِهِمْ وَتَحْرِيقِهِمْ ، وَلَا يُولِيَهُمْ مَحَانَةَ لَهُمْ ، وَلَمْ يَشْعَعْ فِيهِمْ ، وَلَا آثَرَةً وَلَا إِنَامًا عَلَيْهِمْ .
كَانَ أَبُو الْحَسَنِ مِنَ الْفَرَاتِ يَقُولُ : الْأَعْمَالُ لِلْكَفَاةِ مِنْ أَصْحَابِهَا ، وَقَصَادَةُ الْحَقُوقِ عَلَى خَوَاصِّ أَمْوَالِهَا .

وَكَانَ يَحْيَى بْنُ حَالِدٍ يَقُولُ : مَنْ نَسَبَ يَمِينَهُ لَشُعَاعَةٍ فِي عَمَلٍ ، صَدَّ حُلَّ عَمَلِهِ مَحَلٍّ مَنْ يَنْهَضُ لَمِيرِهِ ، وَمَنْ لَمْ يَبْهَضْ بِمَعْنِهِ لَمْ يَكُنْ لِلْعَمَلِ أَهْلًا .

وَوَقَعَ حَمْرُ بْنُ يَحْيَى فِي رُقْعَةٍ مَتَحَرِّمَةٍ : هَذَا قَتْلِي لَهُ حُرْمَةُ الْأَمْرِ ، فَامْتَحَنَهُ بِالْعَمَلِ ؛ فَإِنْ كَانَ كَافِيًا فَالْسلطانُ لَهُ دُونَا ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ كَافِيًا فَحُجَّتُ لَهُ دُونِ السُّلْطَانِ .

ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « فَايَهُمَا » - يَعْنِي اسْتَعْمَلَهُمْ لِمَحَابَةِ وَالْآثَرَةِ - جَمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْحَوَرِ وَالْحَيَانَةِ . وَقد تَقَدَّمَ شَرْحٌ مِثْلُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ ، وَالْمَعْنَى أَنَّ ذَلِكَ يَجْمَعُ ضَرْبًا مِنَ الْحَوَرِ وَالْحَيَانَةِ .
أَمَّا الْحَوَرُ فَإِنَّهُ يَكُونُ قَدْ عُدِلَ عَنِ الْمُسْتَحَقِّ إِلَى غَيْرِ الْمُسْتَحَقِّ فَوِي ذَلِكَ حَوَرٌ عَلَى الْمُسْتَحَقِّ ،

وأما الخيانة فلأن الأمانة تقتضى تقبيل الأعمال الأكفاء ؛ فمن لم يعتمد ذلك فقد حن من ولأه .

ثم أمره بتحرر من قد جرب ؛ ومن هو من أهل البيوتات والأشراى لشدة الحرص على الشيء والخوف من فواته .

ثم أمره بإسباغ الأوراق عليهم ؛ فإن الخائف لا أمانة له ، ولأن الحجة تكون لازمة لهم إن خانوا ، لأنهم قد كفوا مؤنة أنفسهم وأهلهم بما فرض لهم من الأوراق^(١) . ثم أمره بالتطلع عليهم وإدراك^(٢) ، يعبرون والأرضاء على حركاتهم .

وحدوة ناعث ، يقال : حداني هذا لأمر حدوة على كذا ، وأمه سوق الإبل ، ويقال للشمال حدواء ؛ لأنها تسوق السحاب .

ثم أمره بمواخذة من تثبت حياته واستعادة ابل منه ؛ وقد صبح عمر كثيرا من ذلك ، وذكرناه فيها تقدم .

قال بمص الأكامرة لعامل من عماله : كيف بومك بالليل ؟ قال : أممه كله ، قال : أحسنت ! لو سرفت ما نعت هذا النوم .

الأفضل :

وَنَقَدْ أَمَرَ الْحَرَاحَ بِمَا يُصِيحُ أَهْلُهُ ؛ فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحًا لِمَنْ سِوَاهُمْ ، وَلَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ ، لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْحَرَاحِ وَأَهْلِهِ .

وَلَيْسَ كُنْ تَطْرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ نَسْعَ مِنْ نَظْرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْحَرَاحِ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِالْمِرَّةِ ؛ وَمَنْ طَبَّ الْحَرَاحَ بَعِيرَ عِمَارَةِ أُخْرَبَ الْبِلَادَ ، وَأَهْلَكَ

(٢) في ١ ، د د وبت .

(١) في د د الرزق .

أَيَّامَهُ ، وَلَمْ يَسْتَمِمْ أَمْرَهُ إِلَّا قَلِيلًا ؛ فَبِنْ شَكْرًا يَمْلَأُ أَوْ عِلَّةً ، أَوْ انْقِطَاعَ شَرِبٍ ،
أَوْ بَالَةً ، أَوْ إِحَالَةً أَرْضٍ اغْتَمَرَهَا عَرَقٌ ، أَوْ أَحْجَفَ بِهَا عَطَشٌ ؛ خَفَّتْ عَنْهُمْ
بِمَا تَرَجُّو أَنْ يَصْلَحَ بِهِ أَمْرُهُمْ .

وَلَا يَنْفُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ لَا خَفَّتْ بِهِ الْمَوْتُ عَنْهُمْ ؛ فَإِنَّهُ دُحْرٌ يَمُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ
فِي عِمَارَةِ بِلَادِكَ ، وَتَرْيِيں وَلَابَتِكَ ؛ مَعَ اسْتِحْلَالِكَ حُسْنِ ثَنَائِهِمْ ، وَتَسْجِيحِكَ
بِاسْتِفَاضَةِ الْمَدْلِ فِيهِمْ ؛ مُتَمِّدًا فَضْلَ قُوَّائِهِمْ ، بِمَا دَحَرْتَ عَنْهُمْ مِنْ إِجْمَاعِكَ لَهُمْ ؛
وَالثَّقَةِ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ وَرِفْقِكَ بِهِمْ ؛ فَرُتْنَا حَدَثَ مِنْ الْأُمُورِ
مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ تَعَدُّ احْتِمَاؤِهِ ، طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ بِهِ ، فَإِنَّ الْعُمَرَاءَ مُحْتَمِلُ
مَا سَخَّطَتْهُ ؛ وَإِنَّمَا بُوَّتْ خَرَابُ الْأَرْضِ مِنْ إِغْوَارِ أَهْلِهَا ، وَإِنَّمَا يُعْمِزُ أَهْلُهَا لِإِشْرَافِ
أَنْفُسِ الْوَلَاةِ عَلَى التَّحَمُّعِ ؛ وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِإِبْقَاءِ ، وَهَلِ اسْمَاعِهِمْ بِالْعَبْرِ .

البَنْزُجُ :

انتقل عليه السلام من ذكر العمال إلى ذكر أرباب الحراج ودَهَافِين السَّوَادِ ، فقال :
تَفَقَّدَ أَمْرَهُمْ ، فَإِنَّ أَنْفُسَ عِيَالِ عَلَيْهِمْ ؛ وَكَانَ يَقَالُ : اسْتَوْسُوا بِأَهْلِ الْحَرَاجِ ؛ فَإِنَّكُمْ
لَا تَرَالُونَ سَمَانًا مَا سَمَّيُوا .

وَرُدُّهُ إِلَى أَنْوَشِيرْوَانَ أَنَّ عَامِلَ الْأَهْوَازِ قَدْ هَلَكَ مِنْ مَالِ الْحَرَاجِ مَا يَرِيدُ عَلَى الْمَادَةِ ؛
وَرُبَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ قَدْ أَجْجَفَ بِالرَّعِيَّةِ ، فَوَقَعَ : يُرَدُّ هَذَا الْمَالُ عَلَى مَنْ قَدْ اسْتَوَى مِنْهُ ؛
فَإِنَّ تَكْثِيرَ الْمَلِكِ مَالَهُ بِأَمْوَالِ رَعِيَّتِهِ بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَحْصَنُ سَطُوحَهُ بِمَا يَقْتُلُهُ مِنْ قَوَاعِدِ
بَيْتِهِ .

وكان على حاتم أنوثيروان : لا يكون عُمران ، حيث يحور السلطان .

وروى : « استحلاب الحراج » بالخاء .

ثم قال : « فإن شكوا ثِقْلًا » ، أى تفر طَسَق^(١) الحراج المضروب عليهم ، أو ثقل وطأة المامل .

قال : « أو علة » ، نحو أن يصيب العلة آفة كالجراد والبرق أو الرد .

قال : « أو انقطاع شرب »^(٢) ، بأن يَنْقُصَ ماء فى الهر ، أو تتملق أرض الشرب عنه لفقد الحفر .

قال : « أو بآلة » ، يعنى المطر .

قال : « أو إحالة أرض اعمرها عرق » ، يعنى أو كون الأرض قد جالت ، ولم يحصل منها ارتفاع ؛ لأن العرق عمرها وأفسد رزقها

قال : « أو أختف بها عطش » ، أى سبها .

فإن قلت : فهذا هو انقطاع الشرب ؟

قلت : لا ، قد يكون الشرب غير منقطع ، ومع ذلك يُخْفِى بها العطش ، بأن لا يكفيها الماء الموجود فى الشرب .

ثم أمره أن يخفف عنهم متى لحقهم شيء من ذلك ؛ فإن التحفيف يصلح أمورهم ، وهو وإن كان يُدْخِل على المال نقصاً فى الساحل إلا أنه يعصى^(٣) توفير ريادة فى الآحل ؛ فهو عندة التجارة التى لا تدفع فيها من إخراج رأس المال وانتظار عوده وعود ربحه .

(١) فى اللسان عن التهذيب : « الطسق شيء جراح له مقدار معلوم ؛ وليس يعرف حاتم » .

(٢) الشرب بالكسر : النصب من الماء .

(٣) أى د « يعصى إلى » .

قال : « ومع ذلك فإنه يفضى إلى تزيين بلادك بمارتها ، وإلى أنك تَنْجَح بين
الولاة بِإِقْصَاة العدل في رِعْيَتِكَ معتمداً فَصْلَ قُوَّتِهِمْ » ؛ و « معتمداً » ، منصوب على الحال
من الصمير في « حَقَّتْ » الأولى ، أى حَقَّتْ عنهم معتمداً بالتخفيف فَصْلَ قُوَّتِهِمْ .
والإجماع : الترفيه .

ثم قال له : وربما احتججتَ فيما بعد إلى سَكَفِهِمْ بِحَادِثٍ يَحْدُثُ عِنْدَكَ الْمُسَاعَدَةُ
بِمَالٍ يَقْطَعُونَهُ عَلَيْهِمْ قَرَصاً أو مَعُونَةً مَحْصَةً ؛ فإذا كَانَتْ لَهُمْ ثَرْوَةٌ مَهْصُوءَةٌ بِمِثْلِ ذَلِكَ ، طَيِّبَةُ
قُلُوبِهِمْ ^(١) به .

ثم قال عليه السلام : فإن العمران محتمل ما حَكَتَهُ .
سمعت أبا محمد بن حُيَيدٍ . وكل صاحب ديار الخراج في أيام الساسر لدين الله —
يقول لى قال له : قد قيل عنك : إِنَّ وَاسِطَ وَالنَّصْرَةَ قد حُرِّتْ لَشِدَّةِ السُّبِّ بِأَهْلِهَا في
تَحْصِيلِ الْأَمْوَالِ ! فقال أبو محمد . ما دام هذا شَطَطَ مَحَبَّةٍ ، وَاسْتَخْلَ بِنَا في مَسَامَةِ مَحَالِهِ ،
ما تخرب واسط والنصرة أبداً .

ثم قال عليه السلام . « بِمَا تُؤَوِّى الْأَرْضُ » ، أى إِنَّمَا تُذْهِى مِنْ إِعْوَارِ أَهْلِهَا ،
أى مِنْ غَرَمِ .

قال : والمؤجِبُ لإِعْوَارِهِمْ طَمَعٌ وَلَا يَهْمُ في الْحَيَاةِ وَجَمْعُ الْأَمْوَالِ لِأَنْفُسِهِمْ وَسُلْطَانُهُمْ
وَسُوءُ طَبْعِهِمْ بِالْبَقَاءِ بِحَتْمٍ أَنْ يَرِيدَ بِهِ أَنْفُسُهُمْ يَعْطُونَ طَوِيلَ الْبَقَاءِ وَيَسْرُونَ الْمَوْتَ وَالزَّوَالَ .
ويحتمل أَنْ يَرِيدَ بِهِ أَنْفُسُهُمْ يَتَحَيَّلُونَ الْعَرْلَ وَحَرْفَ ، فَيَنْهَرُونَ أَغْرَصَ ، وَيَقْتَطِعُونَ الْأَمْوَالَ ،
وَلَا يَسْطَرُونَ في عِبَادَةِ الْمَلَادِ .

(١) في د « قلوبهم » .

[عهد سابور بن أردشير لابنه]

وقد وجدت في عهد سابور بن أردشير إلى ابنه كلاماً يشابه كلام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا العهد ؛ وهو قوله :

واعلم أن قوام أمرك بدور الحراج ، ودور الحراج نعمة البلاد ، وبلوغ العاية في ذلك استصلاح أهله بالعدل عليهم ، والمونة لهم ، فإن نصح الأمور لمعصر سبب ، وعوام الناس لخواصهم عدّة ، وكلّ صنف منهم إلى الآخر حاجة ، فاحتر لملك أفضل من تمدر عليه من كتمانك ، وليكونوا من أهل النصح والعاف والكفاية ، واسترسل إلى كلّ امرئ منهم شخصاً^(١) يصطلع به ويملكه تمجيد العراج منه ؛ فإن اطلعت على أن أحداً منهم خان أو تعدّى منكّه ، وباع في عفته ، واحذر أن تستعمل على الأرض الكثير حراجها إلا سعيد الصوت ، اعطيم شرف منزلة ولا تولين أحداً من فواد حديدك الدين هم غداة للحرب ، وحنة من الأعداء ، شيئاً من أمر الحراج ، فملكهم من مصهم على خيانة في المال ، أو تصيب للعمل ؛ فإن سوتته المال ، وأعصيت له صي التصيب ، كان ذلك هلاكاً وإصراراً بك ورعيّتك ، وداعية إلى فساد غيره ؛ وإن أت كفايته فقد استفسدته ، وأصقت^(٢) صدره ، وهذا أمر توفيه حرم ، والإقدام عليه حرق ، والتقصير فيه قبحر .

واعلم أن من أهل الحراج من يدعي نصح أرسه وصياحه إلى حاسة الملك ويطاقتة ، لأحد أمرين ؛ أت جرى نكراهنهما : إما لامتناع من حوز العمال وظلم الولاية ؛ وتلك منزلة يظهر بها سوء أثر العمال وضعف الملك ويحلّله عما تحت يده ، وإما للدفع عما يرمهم

(١) في د د شخصاً . (٢) في د د وأصقت .

من الحق والتيسر له ، وهذه حنة تقُد بها آداب الرعية ، وتُنقص بها أموال الملك ،
فاحذر ذلك ، وعاقب المتجشئين والملجأ إليهم .

ركب زياد يوما بالسوس يطوف بالضياع والروع ، فرأى عمارة حسنة ، فتعجب منها ،
تخاف أهلها أن يريد في حراحهم ، فلما نزل دعا وحوه البلد ، وقال : بارك الله عليكم ،
فقد أحسنتم العمارة ، وقد وضعت عنكم مائة ألف درهم . ثم قال : ما توفروا على من تهالك
عمرهم على العمارة وأمسهم خورى أصناف ما وصفت عن هؤلاء الآن ؛ والذي وصفته بقدر
ما يحمل من ذلك ، وثواب عموم العمارة وأمن الرعية أفصل ربح .

الأصل :

ثم انظر في حال كتابك ؛ فوال على أمورك خيرهم ، واحص من رسل تلك التي
تدخل فيها مكائيدك وأسرارك ، يا ختمهم يوحد صالح الأخلق بمن لا تُطِرُهُ
الكرامة ، فيجترى بها عنيت في خلاف لك بحصرة ملا . ولا تُقصر يد العنة
عن إيراد مكاتبات عمالك عنيت ، وإصدار حوائجها على الصواب عنك ، وفيما
يأخذ لك ويُعطى منك ، ولا يصيب عدا انتقده لك ، ولا يعجز عن إطلاق ما
عقد عليك ، ولا يجهل منعه قدر نفسه في الأمور ، فإن الجاهل بقدر نفسه
يكون بقدر غيره أجهل .

ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراسيتك واستينامتك وحسن الظن منك ،

فَإِنَّ الرِّجَالَ يَتَمَرَّضُونَ لِغِرَاسَاتِ الْوُلاَدِ يَتَصَنَّمُهُمْ وَحُسْنَ حَدِيثِهِمْ ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْأَمَانَةِ شَيْءٌ ؛ وَلَكِنْ احْتَبَرْتُهُمْ بِمَا وَلُّوا لِلصَّالِحِينَ قَمَلَكَ ، فَأَعْيِدْ لِأَخْسِيهِمْ كَأَنَّ فِي الْعَامَّةِ أَثَرًا ، وَاعْرِضْهُمْ بِالْأَمَانَةِ وَجْهًا ، فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلَّهِ ، وَلَيْعَنَ وَلَّيْتَ أَمْرًا .

وَاجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْسًا مِنْهُمْ ؛ لَا يَفْهَرُهُ كِبَرُهَا ، وَلَا يَتَشَتُّ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا ؛ وَمَهْمَا كَانَ فِي كِتَابِكَ مِنْ غَيْبٍ فَتَمَایِتْ عَنْهُ أَرِيقَتُهُ .

[فصل فيما يجب على صاحب الملك]

البُزْجُ :

لما خرج من أمر الخراج ، شرع في أمر^(١) الكتب التي يكون أمر الحصة ، ويرسلون عنه إلى عماله وأمرائه ، وإلهم تعاقد التدبير وأمر الديوان ، فأمره أن يتخير الصالح منهم ، ومن يوثق على الاطلاع على لأسرار والمكايد والخليل والتسديرات ، ومن لا يبطره الإكرام والتقريب ، فيقطع فيجترى على مخالفته في ملأ من الناس والرد عليه ، في ذلك من الوهن للأمر وسوء الأدب الذي اكتشف الكاتب عنه ما لا حماء به .

قال الرشيد للكسائي : يا علي بن حمزة ، قد أحطت بحمل الذي لم تكن تعلمه همتك ، مروا من الأشعار أعظمها ، ومن الأحاديث أحقها بحسن الأخلاق ، وداكرنا مآداب الرُّس والهند ، ولا تسرع علينا الرد في ملأ ، ولا تترك تنقيصا في حلاء .

وفي آداب ابن النعمان : لا تكون محبتك للسلطان إلا بعد رياضة منك لنفسك على

(١) و د د ذكر .

طاعتهم في المكروه عندك وموافقهم فيما حالك ، وتقدير الأمور على أهوائهم دون هواك ، فإن كنت حافطاً إذا ولوك . حذراً إذا فربوك ، أمياً إذا اتصوك ، تعلمهم وكأنتك تتعلم منهم ، وتأذبهم وكأنتك تتأذب بهم ، وتشكرهم ولا تكلفهم الشكر ؛ دليلاً إن صرّموك ، راصياً إن أسخطوك ، ولا فالمد منهم كل اسعد ، والحدّر منهم كل الحدّر . وإن وجدت عن السلطان وصحته عني فاستمع عنه ، فإنه من يحدّم السلطان حقّ خدمته يحلّي بينه وبين لذة الدنيا وسمل الأخرى ، ومن يخدمه غير حقّ الخدمة فقد احتمل ورر الآخرة ، وعرض نفسه للهلكة والفصيحة في الدار . فإذا صحّت السلطان فعليك بطول الملاممة من غير إملا ، وإذا رتّ منه عملة اشقة فعزل عنه كلام المنق ، ولا تُكثّر له من الدّعاء ، ولا تردّنّ عليه كلاماً في حفل وإن أحمّ ، فإذا حلوت به فصّره في رفق ، ولا يكوننّ طلبك ما عنده بالسائة ، ولا تستدظّنه وإن أبظّ ، ولا تحبرنه أن لك عليه حقاً ، وأنتك تعتمد عليه يلاء ، وإن استطعت ألا تنسى حقك وبلائك بتجديد الصبح والاحتياط فافعل ، ولا تعطيه المجهود كلّ من نفسك في أوّل صحبتك له ، وأعدّ موصفاً للمريد . وإذا سأل غيرك عن شيء فلا تكن الجيب .

واعلم أن استلامك الكلام حفة فيك واستحقاق منك بالسائل والسئول ، فما أنت فائل إن قال لك السائل : ما بآيك سألت ؛ أو قال السئول : أحب بمجالسته ومخاطبته أيها المعص بتنفسه ، والمستخفّ بسلطانه .

وقال عبدُ الملك بن صالح لمؤدّب ولده بعد أن أختصّه بمجالسته ومخاطبته : يا عبد الله ، كنّ على التماس الخطّ فيك بالسكرات أحرص منك على التماسه بالكلام ، فإنهم قالوا : إذا أعجبك الكلام فاصمت ، وإذا أعجبت اصمت فسكرم . وأعلم أن أصعب الملوك معاملة الجبار الفطن المتفقد ، فإن اتلّبت نصيبته فاحترس ، وإن عوفيت فأشكر الله على السلامة ، فإن السلامة أصل كلّ نعمة . لا تساعدني على ما يقصّ بي ، ولا تردّنّ عني

خطأ في مجلس ، ولا تكافئني جواب التسميت والتهنئة ، ودع عنك : كيف أصبح الأمير ، وكيف أمسى ! وكلمني بقدر ما أستطيعك ، واحمل مذل التقريط لي صواب الاستماع متى . واعلم أن صواب الاستماع أحسن من صواب القول ، فإذا سمعتني أنحدث فلا يفوتك منه شيء ، وأرني فهمك إتياء في طرفك ووجهك ، فما طناك بالملك وقد أحلك محل المعجب بما يسمعك إتياء ، وأحلتك محل من لا يسمع منه ! وكل من هذا يُحبط إحسانك ، ويُسقط حق حُرمتك ، ولا تستدع الزيادة من كلامي عما تظهر من استحصان ما يكون متى ، فمن أسرا حالاً متى يستكد الملوك بالدخل ، وذلك يدل على تهاونه قدر ما أوحى الله تعالى من حَقِّهم . واعلم أنني جعلتك مؤدَّ ، بمسداً كَتَ معلماً ، وجمعتك حلماً مقرباً بعد أن كنت مع الصبيان مباعداً ، حتى لم تعرف نقصان ما حرحت منه ، لم تعرف دُخْصان ما دخلت فيه ، وقد ظلوا من لم يعرف سوء ما أُولى ، لم يعرف حُسن ما أُبْلَى .



ثم قال عليه السلام : وليكن كانت غير مقصّر عن عرض مكتوبات عمالك عليك ، والإجابة عنها حسن الوَ كالة واليساية عنك فيما يحتاج به لك عليهم من مكتوباتهم ، وما يُصدره عنك إليهم من الأخوة ، فإن عَقَدَ لك عقداً قواه وأحكمه ، وإن عَقَدَ عليك عقداً احتهد في نقضه وحلّه . قال : وإن يكون عارفاً بنفسه ، فمن لم يعرف قدر نفسه لم يعرف قدر غيره .

ثم مهأ أن يكون مستند اختياره لهُؤلاء مِرَاسِته فيهم ، وغنة طُلّه بأحوالهم ، فإن التدليس يتم في ذلك كثيراً ، وما زال الكتّاب يتصمّمون للأمراء بحُسن الطاهر ، وليس وراء ذلك كثير طائل في الصبيحة والمعرفة ، ولكن ينبغي أن يرجع في ذلك إلى ما حكمت

به التجربة لهم ، وما وثّوه من قبل ، فإن كانت ولايتهم وكتابتهم حسنة مشكورة فهم هم ، وإلا فلا ، ويشترطون لفراسات الولاية ، يحملون أنفسهم بحيث يعرف نظروب من التصنع ، وروى : « يتعمّضون » .

ثم أمره أن يقسم فنون الكتابة وصروفها بينهم نحو أن يكون أحدهم للرسائل إلى الأطراف والأعداء ، والآخر لأخوة عمال السواد ، والآخر محصرة الأمير في خاصته وداره ، وحشيته ومقاته .

ثم ذكر له أنه مأخوذ مع الله تعالى بما ينجاى عنه ، ويتعافى من عيوب كتابه ، فإن الدين لا يبيح الإغضاء والعنة عن الأعوان والحوال ، ويوجب النطع عليهم .



[فصل في الكتاب وما يلزمهم من الآداب]

واعلم أن الكاتب الذي يشير أمير المؤمنين عليه السلام إليه هو الذي يسمى الآن في الاصطلاح المُرْفِيّ وزيراً ، لأنه صاحب تدبير حصرة الأمير ، والنائب عنه في أموره ، وإليه يصل مكتوبات العمال وعنه تصدر الأخوة ، وبه الرّض على الأمير ، وهو المستدرك على العمال ، والمهيمن عليهم ، وهو على الحقيقة كاتب الكتاب ، ولهذا يسمونه : الكاتب المطلق .

وكان يقال : للكاتب على الملك ثلاث : رفع الحجاب عنه ، وإتمام الوشاة عليه ، وإقضاء السرّ إليه .

وكان يقال : صاحب السلطان بصفه ، وكأنه كُفّه . ويبغى لصاحب الشرطة أن يطيل الجلوس ، ويدبم العُيوس ، ويستغنى بالشفاعات .

وكان يقال : إذا كثف الملك ضعيفا ، وانورير^١ شرهأ ، والقاصي جأرا ، فرتقوا الملك شعاعا .

وكان يقال : لا تحف صولة الأمير مع ربحا نكاف ، ولا تثق برضا الأمير مع شخط السكاف ، وأحد هذا المعنى أبو الفضل بن العبيد فقال :

ورعمت أهلك لست تفكر بعد ما علفت يداك بذمة الأمراء

هيهات قد كدبتك فكرتك آتى قد أوهمتك عني عن الوزراء

لم تُسر عن أحد ممتلا لم تحمد أرضا ولا أرض من ممتلاء

وكان يقال : إذا لم يُشرف الملك على أموره ، صار أعشى الناس إليه ويريه .

وكان يقال : ليس الحرب العشوم بأسرع وأحتياح^(١) الملك من تصييع مرات الكتاب حتى يصيبها أهل الدالة ، ويرعد فيها أولو الفضل .

[فصل في ذكر ما نصحت به الأوائل الوزراء]

وكان يقال : لا شيء أذهب بالدول من استكفاء الملك الأمراء .

وكان يقال : من سعادة حدة المرء ألا يكون في الزمان المحتط وديرا للسلطان .

وكان يقال : كما أن أشجع الرجال يحتاج إلى سلاح ، وأسقى الخيل يحتاج إلى

السوط ، وأحد الشمار يحتاج إلى السن ، كذلك أحرم الملوك واعتقلهم يحتاج إلى الوزير الصالح .

وكان يقال : صلاح الدنيا بصلاح ملوك ، وصلاح الملوك بصلاح الوزراء ،

(١) اجتياح الملك : الذهاب به .

وكما لا يتصلح الملك إلا بمن يستحق الملك ، كذلك لا تصلح الوزارة إلا بمن يستحق الوزارة .

وكان يقال : الوزير الصالح لا يرى أن صلاحه في نفسه كائن صلاحاً حتى يتصل بصلاح الملك وصلاح رعيته ، وأن تكون عاقبته فيها عطف الملك على رعيته ، وفيها استمطاف قلوب الرعية والعامّة على الطاعة للملك ، وفيها فيه قوام أمر الملك من التدبير الحسن ، حتى يجمع إلى أخذ الحق تقديم عموم الأمن . وإذا طرقت الحوادث ، كان للملك حدة وعتادا ، وللرعية كاميا محتاطا ، ومن ورائها عاميا دائماً ، يعيه من صلاحها مالا يعيه من صلاح نفسه دونها .

وكان يقال : مثل الملك الصالح إذا كان وزيره حسداً مثل الماء المذب الصافي وفيه التماسح ، لا يستطيع الإنسان - وإن كان ساجداً ، وإلى الماء ظامئاً - دحوله ، حدرا على نفسه .

قال عمر بن عبد العزيز ل محمد بن كعب انفرج عني حين استعيف : لو كنت كاتبي وردياً لي على ما دُفعت إليه ا قال : لا أفعل ، ولكني سارشدك ؛ أسرع الاستماع ، وأبطئ في التصديق حتى يأتيتك واضحُ البرهان ، ولا تسمع ممحتك فيما تكتفي فيه بلسانك ، ولا سوطك فيما تكتفي فيه بتمحتك ، ولا سيمك فيما تكتفي فيه بسوطك .

وكان يقال : التقاط الكاتب للرث وصسطُ الملك لا يحتمعان .

وقال أبو روير لكانه : اكتم السر ، واصدق الحديث ، واحتهد في الصيحة ، وعليك بالحدَر ؛ فإن لك على ألا أعجل عنك حتى أستاذ لك ، ولا أقبل فيك قولاً حتى أستيقن ، ولا أطمعُ فيك أحداً فتصل ؛ واعلم أنك محتاجة^(١) رفة فلا تحطها ، وفي

(١) الحاجة : ما ارتفع من الأرض .

ظلّ مملوكاً فلا تستر يله . قارب الناس مجاملةً من نفسك ، وابعدهم مسافةً عن عدوك ،
واقصِدْ إلى الجيـلِ اِرْءاءاً لِقَدْرِكَ ، ونزلةً بالصفاء صوناً لمروءتك ، وتحسن عندى
بما قدرت عليه . احذر لا تُسرَّعنَ الألسنةَ عليك ، ولا تَقَبَّحنَ الأحداثُ عكسك ، وصُنْ
نفسك صونَ الدُّرَّةِ الصافية ، وأحْلِصْها إحلاصَ الفِصَّةِ البيضاء ، وطابها معاينة الحذر
المُشْفِقِ ، وحصنها تحصينَ المدينة المنيعه . لا ندعُ أن تُرفعَ إلى الصغيرِ فإنه يدلُّ على ^(١)
الكبير ، ولا تكتمنَ عني الكبير فإنه يس بشاعل عن الصغير . هدِّبْ أمورَكَ ثم القى
بها ، وأحكم أَمْرَكَ ثم راحمى فيه ، ولا تَحْتَرِثَنَّ على قائمتي ، ولا تنقصن منى
فأنتهم ، ولا تُمرضن ما تنفاني ، ولا تُحدثن ^(٢) ؛ وإذا أمكرت فلا تمحل ، وإذا
كشيت فلا تُتدِر ، ولا تستمن بالمصول فإنها علاوة على انكفائة ، ولا تقصرن عن
التحقيق فإنها هُخْعة بالمقالة ، ولا تلتس كلاماً بكلام ، ولا تعدن معنى عن معنى .
واكرم لى كتابك عن ثلاث بموضوع يستحقه ، وإنتشار بهجته ، ومعانٍ بقده . واجمع
الكثير مما تريد فى العليل مما تقول وليكن بسطة كلامك على كلام الشوفة كسطة الملك
الذى تحدثه على الملوك . لا يكن ما يُلته عطياً ، وما تكلم به صغيراً ، فإنما كلام الكاتب
على مقدار الملك ، فاحطه عالياً كملوه ، وهنأ كتموته ، فإنما جماع الكلام كله حصال
أربع : سؤالك الشيء ، وسؤالك عن الشيء ، وأمرُك بالشيء ، وحبرُك عن الشيء ؛ فهذه
الحصال دعائمُ المقالات ، إن التمس إليها حامس لم يوجد ، وإن نقص منها واحد لم يتم ؛
فإذا أمرت فأحكم ، وإذا سألت فوضح ، وإذا طلست فأصح ، وإذا أحدثت فحقق ،
فإنك إذا فعلت ذلك بحرائم القول كله ، فلم يشته عليك واردة ، ولم تُعجزك
صاحرة . أشت فى دواويلك ما أحدث ، وأخصر فيها ما أخرحت ، ونيقظ لما تُعطى ،
وتجرد لما تأخذ ، ولا يغلبك النسيان عن الإحصاء ، ولا الأناة عن التقدم ، ولا تخرجن

(١) كذا فى ١ ، وهو الوجه ؛ وفى ب : « عن الكبير » .

(٢) التمرىض : التوهين ، والتخدير : أن تأتى بالشيء ناقصاً .

وزنَ قيراط في غير حق ؛ ولا تعظمن إخراج الأثواب الكثيرة في الحق ؛ وليكن ذلك كله عن مؤامرتي .

الأسئل :

ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتَّجَارِ وَدَوَى الصَّاعَاتِ ، وَأَوْصِ بِهِمْ حَيْرًا ، الْمُقِيمِ مِنْهُمْ وَالْمُضْطَرِبِّ عَالِهِ ، وَالْمُتَرَفِّقِ بِيَدَيْهِ ؛ فَلَهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ ، وَأَسْنَابُ الْمَرَافِقِ ، وَجَلَابُهَا مِنَ الْمَبَاعِدِ وَالْمَطَارِحِ ؛ فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ ، وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ ، وَحَيْثُ لَا يَلْتَقِمُ النَّاسُ لِمَوَاصِيهَا ، وَلَا يَحْتَزِنُونَ عَنْهَا ؛ فَابْتِهِمْ سِلْمٌ لَا نُخَافُ نَتِيقَتَهُ ، وَصُلَحٌ لَا تَخْشَى عَائِدَتَهُ .

وَنَقَدَّ أُمُورَهُمْ بِمَحْضَرَتِكَ ، وَفِي حَوَالِي بِلَادِكَ . وَاعْلَمْ - مَعَ ذَلِكَ - أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضِيقًا فَاحِشًا ، وَشُحًّا قَسِيحًا ، وَاحْتِكَارًا لِلْمَنَافِعِ ، وَتَحَكُّمًا فِي الْبِيعَاتِ ، وَدَلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ ، وَعَيْبٌ عَلَى الْوُلَاةِ ، فَامْنَعْ مِنَ الْإِخْتِكَارِ ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَحَّ مِنْهُ . وَلْيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْنًا صَمَحًا بِمَوَارِي عَدْلٍ ، وَأَسْفَارٍ لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ ؛ فَمَنْ قَرَفَ حُكْرَةً نَعَدَ سَهْمَكَ إِيَّاهُ فَسَكَّلْ بِهِ ، وَعَافِهِ مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ .

الْبَيْعُ :

خرج عليه السلام الآن إلى ذكر التجار ودوى اصصاعات ؛ وأمره^(١) بأن يعمل معهم الخير ، وأن يوصي غيره من أمرائه وعماله أن يعملوا معهم الخير . واستوصى بمعنى «أوص»

(١) ا ، ب ؛ «أمره» ، بسون واو .

نُحَوِّرُ^(١) فِي الْمَكَانِ وَاسْتَقَرَّ ، وَعَلَا قِرْنَهُ وَاسْتَمْلَاهُ .

وقوله : « استَوْصِرِ بِالتَّخَارِ حِيرًا » ، أَي أَوْصِرِ تَقْسِكَ بِدَلِّكَ ، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « اسْتَوْصُوا النِّسَاءَ حِيرًا » ؛ وَمَعْمُولًا « اسْتَوْصِرِ وَأَوْصِرِ » هَاهُنَا مَعْدُوفَانِ لِلْعَمِّ بِهِمَا ، وَيَحْوِزُ أَنْ يَكُونَ « اسْتَوْصِرِ » أَي أَقْبَلَ الْوَصِيَّةَ مَتَى بِهِمْ ، وَأَوْصِرِ بِهِمْ أَنْتَ عَيْرُكَ .

ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْوَصِيَّةَ فِي ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : اثْنَانِ مِنْهَا لِلتَّخَارِ^(٢) ، وَهُمَا الْقِيمُ ، وَالصَّطْرِبُ ، يَعْنِي الْمَاسِرُ . وَالصَّطْرِبُ : السَّرُّ فِي الْأَرْضِ ؛ قَالَ بَعَالِي : ﴿ إِذَا صَرَّعْتُمْ فِي الْأَرْضِ^(٣) ﴾ ، وَوَاحِدُ الْأَرْبَابِ الْمَصْدَعَاتِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ : « وَالْمَرْقُ بِإِيدِهِ » ، وَرُؤْيُ « بِإِيدِهِ » ، ثَنِيَّةٌ يَدٌ .

وَالْمَطَارِجُ : الْأَمَاكِنُ الْبَعِيدَةُ .

وَحَيْثُ لَا يَلْتَمِ الْبَسَ : لَا يَحْتَمُونَ ، وَرُؤْيُ « حَيْثُ لَا يَلْتَمِ » ؛ مَحْدُفُ الْوَاوِ . ثُمَّ قَالَ : « فَلْيَتَمَّ أَوْلُو سِلْمٍ » ، يَعْنِي التَّجَارَ وَالصَّنَاعَ ، اسْتَمْطَنَهُ عَلَيْهِمْ ، وَاسْتَمْلَاهُ إِلَيْهِمْ .

وَقَالَ : لَيْسُوا كَمَا لَ الْخَرَاجِ وَأَمْرَاءُ الْأَحَادِ ، فَجَاءَهُمْ سَنَى أَنْ يَرَايَ ، وَحَالُهُمْ يَجِبُ أَنْ يُحَاطَ وَيُحْمَى ، إِذْ لَا يَتَحَوَّى مِنْهُمْ بَاقِيَةٌ لَا فِي مَالٍ يَحْوُونَ فِيهِ ، وَلَا فِي دَوْلَةٍ يُفْسِدُونَهَا . وَحَوَاشِي الْبِلَادِ : أَطْرَافُهَا .

ثُمَّ قَالَ لَهُ : قَدْ يَكُونُ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ نَوْعٌ مِنَ الشَّحِّ وَالنَّحْلِ فَيَدْعُوهُمْ ذَلِكَ إِلَى الْإِحْتِكَارِ فِي الْأَفْوَآتِ ، وَالْخَيْفِ فِي السِّبَاعَاتِ . وَالْإِحْتِكَارُ^(٤) : انْتِيَاعُ الْعَلَاتِ فِي أَيَّامِ

(١) د : « النصار » . (٢) سورة النساء ١٠١ .

(٣) د : « فالاحتكار » .

رحصها ، واذخارها في المخازن^(١) إلى أيام السلاء والنحط . والحليف : تطفيف في الوزن والكيل ، وريادة في السر^(٢) ، وهو الذي عبر عنه بالتحكم ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن الاحتكار ؛ وأما التطفيف وزيادة التسمير فنهي عنهما في نص الكتاب^(٣) . وقارف حكرة : واقفها ، والحاء مصومة ، وأمره أن يؤدب قاعل ذلك من غير إسراف ، وذلك أنه دون المعاصي التي توجب الحسود ، ضاية أمره من التعرير الإهانة والمنع .

الأصل :

ثُمَّ اللَّهُ اللَّهُ فِي سَطَقَةِ السُّفْلَى مِنْ أُنْدِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ؛ مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ السُّؤْسَى وَالرَّغْمَى ، فَإِنَّ فِي هَذِهِ السَّطَقَةِ قَالِمًا وَمُحَرًّا

واحفظ الله ما استخفطك من خلقه فيهم ، واحمل لهم فيما من ربك مالكا ، وفيما من علل سواي الإسلام في كل بلد ، فإن للأقضى منهم مثل الذي يلاذى ؛ وكل قد استرجمت حقه .

وَلَا يَشْمَلُكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ ، فَإِنَّكَ لَا تُدَرُّ بِصَنِيعِ النَّافِ لِإِحْكَامِكَ الْكَثِيرِ الْمُهْمِّ ، فَلَا تُشْجِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ ، وَلَا تُحَرِّ حَدَّكَ لَهُمْ . وَتَعَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ ، يَمَنْ يَفْتَحِيهِ الْمَيُوسُ ، وَتَحْقِرْهُ الرَّحَالُ ؛ فَرَّغْ لِأَوْلِيكَ تَقَتَّكَ مِنْ أَهْلِ الْحَشِيَّةِ وَالتَّوَاصِعِ ، فَتَبَرَّغْ بِإِيَّتِكَ أُمُورَهُمْ .

ثُمَّ اْعْمَلْ فِيهِمْ بِالْإِعْدَارِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ يَوْمَ نَدَقَاهُ ؛ فَإِنَّهُ هُوَ لَا دِينَ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ أَخَوَاحٍ إِلَى الْإِنْصَابِ مِنْ غَيْرِهِمْ ؛ وَكُلُّ دُعْدُعٍ إِلَى اللَّهِ فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ .

(١) د : « المخازن » . (٢) د : « السر » .

(٣) وهو قوله تعالى ﴿ وَبُذِّلَ لِلْمُطَّغِيينَ ﴾ .

وَتَعْمَدُ أَهْلَ الْيَتِيمِ ، وَذَوِي الرَّقَعِ فِي السَّنِّ ، يَمْنَنُ لَا حِيلَةَ لَهُ ، وَلَا يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ
نَفْسَهُ ، وَذَلِكَ عَلَى الْوَلَاةِ تَقِيلٌ ، وَالْحَقُّ كُلُّهُ تَقِيلٌ ؛ وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللَّهُ عَلَى أَقْوَامٍ
طَلَبُوا الْمَآقَةَ فَصَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَوَقَفُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللَّهِ لَهُمْ .

البَنْجُ :

انتقل من التجار وأرباب الصناعات إلى ذكر فقراء الرعية ومعموريها ، فقال :
وأهل البؤس ، وهي البؤس كالنعمى للنعيم ، والبرمى أولو الرماة .
والقانع : السائل ؛ والمتر : الذي يترص لك ولا يسألك ، وهما من الفاظ الكتاب
العزيز (١) .

وأمره أن يعطيهم من ثمن مال المسلمين لأنهم من الأصناف المذكورين في قوله تعالى :
(وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حِمْلَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) (٢) ، وأن يعطيهم من غلات صواقي الإسلام - وهي الأرضون
التي لم يوحف عليها نخيل ولا ركاب - وكانت صافية لرسول الله صلى الله عليه وآله ،
فلما قصصت لفقراء المسلمين ، ولما يراه الإمام من مصالح الإسلام .

ثم قال له : « فإن لأقصى منهم مثل الذي للأدى » ، أي كل فقراء المسلمين سواء
في مهامهم ، ليس فيها أقصى وأدى ، أي لا تؤثر من هو قريب إليك أو إلى أحد
من حاصتك على من هو بعيد ليس له صب إيتك ، ولا علة يسه وبينك . ويمكن
أن يريد به : لا تصرف غلات ما كل من الصواقي في بعض البلاد إلى مساكين ذلك

(١) وهو قوله تعالى في سورة الحج ٣٦ . (فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَارِعَ وَالْمُعْتَرَّ) .

(٢) سورة الأهل ٤١ .

البلد خمسة ؛ فإن حق البعيد عن ذلك البلد فيها كمثل حق القيم في ذلك البلد .
والثاني : الحقي . وأشخصت زيدا من موضع كذا ؛ أخرجته عنه . وفلان يصغر خذله
للناس ، أى يتكبر عليهم .
وتفتحجه العيون : تزدريه . وتحتقره . والإعداد إلى الله : الاجتهاد والمبالغة في تأدية حقه
والقيام بفرائضه .

كان بعض الأكسرة يجلس للظالم بنفسه ، ولا يثق إلى غيره ، ويقعد بحيث يسمع
الصوت ، فإذا سمعه أدخل التظلم ، فأصيب بصم في سمعه فادى مناديه ، إن الملك يقول :
أيها الرعية ، إني إن أصبت بصم في سمعي فلم تسب في بصري ؛ كل دى طلامة فليئلس ثوبا
أحر ، ثم جلس لهم في مستشرق له .
وكان لأمير المؤمنين عليه السلام بيت ممد . بيت القمص ، يلقى الناس فيه دافعهم ،
وكذلك كان فعل المهدي محمد بن هارون الواثق ، من حماه بنى العباس .

الأصل :

وَاحْتَمِلْ لِدَوَى الْأَحَابِ مِنْكَ فِيمَا تُعَرِّعُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَخْلِسًا
عَامًّا ، فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِدَوَى حَقِّكَ ، وَتُقْعِدُ عَنْهُمْ حُدُوكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَخْرَاسِكَ
وَشُرَطِكَ ؛ حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَمِّعٍ ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ : « لَنْ تَقْدَسَ أُمَّةٌ لَا يُوَحِّدُ لِلصِّمِيمِ فِيهَا حَقَّهُ
مِنَ الْقَوَى ؛ غَيْرَ مُتَتَمِّعٍ » .

ثُمَّ احْتَمِلَ الْحَرْقَ مِنْهُمْ وَالْعِيَّ ، وَبَعَّ عَنْهُمْ الضَّيْقَ وَالْأُفَّ ، يَنْسُطُ اللَّهُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ أَكْثَرَ رَحْمَتِهِ ، وَيُوجِبُ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ . وَأَعْطِيَ مَا أَعْطَيْتَ هَيْبَتًا ، وَامْتَعَ فِي إِحْمَالٍ وَإِعْدَارٍ .

ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لَا بَدَّ لَكَ مِنْ مُشَارَكِهَا ؛ مِنْهَا إِحَابَةُ عَمَّا لَكَ عَمَّا يَفْعَلُ عَنْهُ كِتَابُكَ ، وَمِنْهَا إِهْتِدَارُ حَاحَاتِ الدَّسِ عِنْدَ وُرُودِهَا عَلَيْكَ عَمَّا تَخْرُجُ بِهِ مِنْ صُدُورِ أَعْوَانِكَ . وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ ، فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ .

الْبَسْرُخُ :

هذا الفصل من تنمة ما قبله ، وقد رُوِيَ : « حَتَّى يَكَلِّمَكَ مَكَلِّمُهُمْ » ، فاعل من « كَلَّمَ »
والرواية الأولى أحسن .

وعبر متنتع : عبر مرعج ولا معلق . ومنتقع في البحر السوى : المتردد المصطرب
في كلامه عيبًا من خوف لحقه ، وهو راجع إلى المسمى الأول .

والحرق : الحهل . ورُوِيَ : « ثُمَّ احْتَمِلَ الْحَرْقَ مِنْهُمْ وَانْتَى » . والنتى وهو الحهل
أيضًا ، والرواية الأولى أحسن .

ثم يقرن له عليه السلام أنه لا بدَّ له من هذا المجلس لأمر آخر غير ما قدمه عليه السلام ،
وذلك لأنه لا بدَّ من أن يكون في حاحات الدس ما يضيق به صدور أعوانه ، والثواب
عنه ، فيتمين عليه أن يباشرها نفسه ؛ ولا بدَّ من أن يكون في كتب عماله الواردة عليه

ما يمينا كتابه عن حواه ، فيجيب عنه نعمه . ويدخل في ذلك أن يكون فيها ما لا يجوز في حكم السياسة ومصلحة الولاية أن يصلح الكتاب عليه ، فيجيب أيضا عن ذلك بملءه .

ثم قال له : لا تدخل عمل يوم في عمل يوم آخر فتضيعك ويكدرك ؛ فإن لكل يوم ما فيه من العمل .

الأمنل :

واحتقر لنفسيك فيما بينك وبين الله تعالى أفضل رتلك المواقيت ، وأجزل رتلك الأقسام ، وإن كانت كلها لله ؛ إذا صلحت ربه المية ، وسليمت منها الرعية .
وليكن في خاصة ما يخص به الله دينك إمامة فرائبه التي هي له خاصة ، فأعط الله من دينك في ليلتك وشهرك ، ووف ما فرقت به إلى الله سبحانه من ذلك كاملا غير منلوم ولا منقوص ، بما من دينك ما يتبع .

وإذا قمت في صلاتك للناس فلا تكسر مفرا ولا مضيقا ، فإن في الناس من به العلة ، وله الحاجة ؛ وقد سألت رسول الله صلى الله عليه وآله حين وجهني إلى اليمن : كيف أصي ريم ؟ فقال : « صل بهم كصلاة أضعفهم ؛ وكن بالمؤمنين رحيمًا » .

الشرح :

لما فرغ عليه السلام من وصيته بأمور دينه ، شرع في وصيته بأداء الفرائض التي

افترضها الله عليه من عبادته ، ولقد أحسن عليه السلام في قوله : « وإن كانت كلها لله » ،
أى أن النظر في أمور الرعية مع صحة النية وسلامة النية من الظلم من حملة العبادات
والفرائض أيضاً .

ثم قال له : « كاملاً غير مثلوم » ، أى لا يحملك شغل السلطان على أن تختصر
الصلاة اختصاراً ، بل صلها بمرائضها وسننها وشعارها في نهارك وليك ؛ وإن أتيتك ذلك
ونال من بدتك وقوتك .

ثم أمره إذا صلى بالناس جماعة ألا يطيل فينترهم عنها ، وألا يمدح الصلاة وينقصها
فيضيئها^(١) .

ثم روى خبراً عن النبي صلى الله عليه وآله ، وهو قوله عليه السلام له : « صل بهم
كصلاة أضعفهم » ، وقوله : « وكن بالؤمنين رحماً » ؛ يحتمل أن يكون من تمة الخبر
السوى ، ويحتمل أن يكون من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، والظاهر أنه من كلام
أمير المؤمنين من الوصية للأئمة ؛ لأن اللفظة الأولى عند أبواب الحديث هي المشهور
في الخبر .

الأصل :

وَأَمَّا بَعْدَ هَذَا ؛ فَلَا تُطَوِّلَنَّ اخْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّ اخْتِجَابَ الْوُلاَدَةِ عَنْ
الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ السُّقْرِ ، وَقِلَّةُ عِلْمِهِ بِالْأُمُورِ . وَالْإِخْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ
عِلْمَ مَا اخْتَجَبُوا دُونَهُ ، فَيَصْنُرُ عِنْدَهُمُ الْكِبَرُ ، وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ ، وَيَقْبَحُ الْحَسَنُ ،
وَيَحْسُنُ الْقَبِيحُ ، وَيُشَابُّ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ ؛ وَإِنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ لَا يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ
النَّاسُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ ، وَلَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ رِمَامَاتٌ تُعْرِفُ بِهَا ضُرُوبُ السُّدُوقِ مِنَ

(١) د : « فيضيئها » .

الْكُذُوبِ ؛ وَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ إِنَّمَا أَمْرُؤُا سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَذْلِ فِي الْحَقِّ ، فَفِيمَ
أُخْتِجَابِكَ مِنْ وَاحِدٍ حَقِّ تَعْطِيهِ ، أَوْ فِئْدِ كَرِيمٍ تُسَدِّيهِ ! أَوْ مُبْتَلًى بِالْمَنْعِ ، فَمَا
أَمْرَعَكَ كَمَّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ ، إِذَا أَيْسُوا مِنْ بَدْلِكَ ، مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ
النَّاسِ إِلَيْكَ مَا لَا مَوْوَنَةَ فِيهِ عَيْنُكَ ، مِنْ شَكَاةٍ مَظْلُمَةٍ ، أَوْ طَلَبٍ لِنَصَافٍ
فِي مُعَامَلَةٍ .

البُخْرُ :

نهاه عن الاحتجاب ؛ فَإِنَّهُ مَعْطَنَةُ اسْغواءِ الأمورِ عَمَهُ ، وَإِذَا رُفِعَ الْحِجَابُ دَخَلَ عَلَيْهِ
كُلُّ أَحَدٍ فَمَرَّفَ الْأَخْبَارَ ، وَلَمْ يَحْتَفِ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَحْوَالِ كَمَلِهِ .

ثُمَّ قَالَ : لَمْ يَحْتَفِ ، فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ يَحْتَصِمُونَ كَيْلًا يُطَلَّبُ مِنْهُمْ الرُّقْدُ !
وَأَمَّا فَإِنْ كُنْتَ حَوَادِثَ تَمْتَحِنُ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَى الْحِجَابِ دَايِعٌ ، وَإِنْ كُنْتَ مُمَكِّكَ فَيُعْلَمُ
النَّاسُ ذَلِكَ مِنْكَ ، فَلَا يَسْأَلُكَ أَحَدٌ شَيْئًا .

ثُمَّ قَالَ : عَلَى أَنْ أَكْثَرَ مَا يَسْأَلُ مِنْكَ مِلَا مَوْوَنَةٍ عَلَيْهِ مَالُهُ ؛ كَرْدَ ظُلَامَةٍ أَوْ إِصَافٍ
مِنْ حَصْنٍ .

[ذَكَرَ الْحِجَابَ وَمَا وَرَدَ فِيهِ مِنَ الْخَبَرِ وَالشَّعْرِ]

وَالْقَوْلُ فِي الْحِجَابِ كَثِيرٌ :

حَصْرَ بَابِ عَمْرٍَا حَمَاعَةً مِنَ الْأَشْرَافِ : مِنْهُمْ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍَا وَعُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ وَالْأَقْرَعُ
ابْنُ حَابِسٍ ، فَحِصَّوْا ، ثُمَّ خَرَجَ الْأَدْنُ فَنَادَى : ابْنَ عَمَارٍَا ؟ ابْنَ سَلْمَانَ ؟ ابْنَ صُهَيْبٍ ؟

فأدخلهم قسمت^(١) وجوه انقوم ، فقال شهيل بن عمرو : لم تتمر وجوهكم ! دعوا ودعينا
فأسرعوا وأبطأنا ، ولئن حسدتموهم على باب عمر اليوم لأنتم عدأ لهم^(٢) أحمد .
وأستاذن أبو سفيان على عثمان فحببه ، فقيل له : حصك ! فقال : لا عدت من أهلي
من إذا شاء حببني .

وحبب معاوية أبا الدرداء ؟ فقيل لأبي الدرداء : حصك معاوية ! فقال : من يمش
أبواب الملوك يهن ويكرم ، ومن صاد باب مسلماً عليه وخذ إلى حائه باباً مفتوحاً ،
إن سأل أعطى ، وإن دعا أجيب ، وإن بكى معاوية قد احتجب فرب معاوية
لم يحتجب .

وقال أروير لحاجبه : لا تصم شرباً تصوم حجاب ، ولا ترم من وصيما سهولته ؟
صع الرجال مواضع أخطارهم ، فم كان قديم شرفه ثم اردعه^(٣) ولم يهدمه بعد آثاته
هدمه على شرفه الأول ، وحس رأيه الآخر ، ومن كان له شرف متعدهم وم ينس ذلك
حياطة له ، ولم يردعه تنمبر الممارسة ، فألحق بآثاته من دفعة طاله بصصيه سابق شرفهم ،
والحق به في حاشيته ما ألحق نفسه ، ولا تاذ به إلا ذريته وإلا سرارا ؛ ولا ملحقه بطيقة
الأولين . وإذا ورد كتاب عامل من ملى فلا تحسه على طرفة عين إلا أن أكون على
حال لا نستطيع الوصول إلى فيها ، وإذا أنك من يدعى الصيحة لنا فليكتبها سرا ثم
أدخله بعد أن تستأذن له ، حتى إذا كان متى بحيث أراه فأدفع إلى كتابه ، فإن أحدثت
قبلت ، وإن كرهت رفضت . وإن أنك عام مشهر بالعلم والفصل يستأذن ، فأذن له ، فإن
العلم شريف وشريف صاحبه ، ولا تحجب عنى أحدا من أقبا اساس ، إذا أحدث مجلسي
مجلس العامة ، فإن الملك لا يحجب إلا عن ثلاث : عي يكره أن يطلع عليه منه ،
أو يحل يكره أن يدخل عليه من بسأله ، أو رية هو مصر عليها فيشع من إبدائها ،

(١) تمزت وجوههم : عبرت عبطاً وحقاً . (٢) ساقطة من د (٣) اردعه : أثبته .

ووقوف الناس عليها ، ولا بد أن يحيطوا بها عينا ، وإن اجتهد في سترها . وقد أخذ هذا المعنى الأخير محمود الوراق فقال :

| | |
|-------------------------------|------------------------------|
| إذا اعتصم الوالي بإغلاق بابـه | ورد دوى الحاجات دون حجابـه |
| طننت به إحدى ثلاث ورثـا | رحت نطرت واقع نصوابـه |
| أقول به مس من العي ظاهر | ففي يده للناس إظهار ما بهـ |
| فإن لم يكن عي اللسان ضالـ | من النخل يحصى ماله عن طلالـه |
| وإن لم يكن لادا ولادا فربة | يكتصها مستورة ثيابـه |

أقام عند العزيز بن ربيعة الكلبي على باب معاوية سنة في شملة من صوف لا يأتى له؛ ثم أتى له وعرته وأدامه ، ونطت محله عنده حتى ولأه مصر ، فكان يقال : استأذن أقوام لعند العزيز بن ربيعة ، ثم صار يستأذن لهم ، وقال في ذلك :

| | |
|--------------------------|-------------------------|
| دحت على معاوية من حرب | ولكن مديش من دحول |
| وما ملت النخول عليه حتى | حطت شملة الرجل الذليل |
| وأعصيت الحمور على قدامها | ولم أطر إلى قار وقيل |
| وأدركت أذى أملت منه | وحرمان المني راد العجول |

ويقال : إنه قال له لما دخل عليه أمير المؤمنين : دخلت إليك بالأمل ، وأختمت حموتك بالصبر ، ورأيت بياض أقوام قد همم الحظ ، وآخرين آخرهم الحرمان ، فليس ينبغي للمقدم أن يأمن عواقب الأيام ، ولا للمؤخر أن يتيسر من عطف الزمان .

وأول المعركة الاحتار ، فابل واحتار بن رأيت . وكان يقال : لم يلزم باب السلطان أحد فصر على ذل الحجاب ، وكلام النواب ، وألقى الأنف ، وحل الضم ، وأدام الملامة ، إلا وصل إلى حاجته أو إلى معظما .

قال عبد الملك لحاحه : إنك غيرُ أطرُها ، وحةٌ أسترُ بها ، وقد وليتكَ ما وراء
بابي ، فإذا تراك صامسا برعيتي ؟ قال : أطرُ إليهم نبيك ، وأحمدُهم على قدرِ منازلهم عندك ،
وأصمهم في إبطائهم عن بابك ، ولزومِ خدمتك مواضع استحقاقهم ، وأرتبهم حيث وضعهم
ترتيبك ، وأحسن إبلاعهم عنك وإبلاعتك عنهم . قال : لقد وقيت بما عليك ، ولكن إن
صدقت ذلك فعليك . وقال دُعبل وقد حُجب عن باب مالك بن طوق :

| | |
|-----------------------------|--------------------------------------|
| لعمري لئن حجبني العبيدُ | لما حجتُ دولك القافية ^(١) |
| سأرى بها من وراء الحجابِ | شعاعاً تأتيسك بالذهابِ |
| نصيم السميع ، وتُمنى البصير | ويُسال من مثلها القافية |

وقال آخر :

| | |
|-------------------------------|------------------------------|
| سأرك هذا الباب مادام إدنه | على ما أرى حتى يلبس قبيلا |
| ها حاب من لم يأتَه مرقعاً | ولا فار من قد رام فيه دُحولا |
| إذا لم يحسد للإذن عندك موصفاً | وجَدَّه إلى ترك الهوى سيلا |

وكتب أبو العتاهية إلى أحمد بن يوسف ، كاتب وقد حججه :

| | |
|-------------------------------|------------------------------|
| وإن عدتُ بمد اليوم إني لعالمٌ | سأصرف وجهي حيث تُبغى الكارمُ |
| متى يُصلح العادي إليك لحاحه | ويصعك محجوبٌ ، ويصمك نائمٌ |

يسى ليله ونهاره .

استأذن رجلان على معاوية ، فآذن لأحدهما - وكان أشرف منزلةً من الآخر - ثم
أذن للآخر فدخل ، فجلس فوق الأول ، فقال معاوية : إن الله قد أكرمنا قاديكم

(١) ديوانه ٢١٢ ، ونقلها عن ابن أبي الحديد (الشعب ١٩٦٢) .

كما أرمسار عاتكم ، وإنا لم نأخذ له قبض ، ونحن نريد أن يكون مجلسه دونك ، فقم
لا أقام الله لك وزنا . وقال بشار :

تأبى حلائقُ خالدٍ وفما له إلا نجب كل أمر عاب
وإذا أتينا البابَ وقت عدائه أدنى النداء لسارعم الحاحب
وقال آخر يهجو :

يا أميرا على حربٍ من الأرب صر له تسمت من الحجاب
قاعد في الحراب ينجب عتا ما تممنا محاب في حراب
وكتب بعضهم إلى حمزة بن محمد بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب :
أبا حمزة إن الولاية إن تكن مستلة فوسا فأت لها نزل
فلا ترتفع عتا لأمرٍ وليته كما لم يصمر عدنا شأنك القزل
ومن حيد ما مدح به بشر بن مروان قول الفاضل :

بعيدُ مراد الطرف ما ردت طرفة حدار الموائى باب دارٍ ولا ستر
ولو شاء بشرٌ كان من دون مائه طهاطمٌ سودٌ أو صقالمةٌ مخر^(١)
ولكن بشرًا يستر الباب للتي يكون لها في عتيا الحمد والأحر
وقال بشار :

حليٌّ من كعبٍ أعيأ أحاكما على دهره إن الكريم يمين
ولا تسخلا بحل ابن قرعة إبه مخافة أن يرجى نداء حرين
إذا جسته للعرف أعلق مائه فلم تلقه إلا وأنت كمين
فضل لأبي يحيى متى تدركه العلا وفي كل معروف عليك يمين !

وقال إبراهيم بن هرمة :

هَشٌّ إِذَا نَزَلَ الْوُفُودُ سَاهُ سَهْلُ الْحِجَابِ مُؤَذِّبُ الْحَدَلَمِ^(١)
وَإِذَا رَأَيْتَ صَدِيقَهُ وَشَقِيقَهُ ثُمَّ نَدَدَ أُيْهُمَا دَوَى الْأَرْحَامِ

وقال آخر :

وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِي الْكَرِيمَ إِذَا آتَى عَلَى طَمَعٍ عَدِ اللَّيْمِ يُطَالُهُ
وَأُرِئِي لَهُ مِنْ مَحَلِّسٍ عِنْدَ بَابِهِ كَرِهْتَنِي لِلطَّرَفِ وَالْمَلْجِ رَاكِبُهُ
وقال عبد الله بن محمد بن عيسى :

أَتَيْتُكَ رَاثِرًا لِنَصَاءِ حَقٍّ لِحَالِ السَّرِّ دُونَكَ وَالْحِجَابِ
وَرَأَيْتُ مَدَمًّا عَنْ كُلِّ نَادٍ يَحَامِيهِ إِذَا عَرَى الدَّهَابِ
وَلَسْتُ نَسَاطِطِي فِي قَدْرِ قَوْمٍ وَبَنَ كَرِهُوا كَمَا يَقَعُ الدَّهَابُ
وقال آخر :

مَا صَافَتِ الْأَرْضُ عَلَى رَاغِبٍ تَصَبَّ الرُّقَى وَلَا رَاهِبٍ
بَلْ صَافَتِ الْأَرْضُ عَلَى شَاعِرٍ أَصْحَحَ بِشَكْوِ حَمَوَةِ الْحَاحِبِ
قَدْ شَتَمَ الْحَاحِبَ فِي شَعْرِهِ وَنَمَّا يَقْصِدُ لِلصَّاحِبِ

الأسئل :

ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي حَاسَةً وَبِطَانَةً ، فِيهِمْ اسْتِثْنَاءٌ وَتَطَاوُلٌ ، وَفَلَّةٌ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ ،
فَاحْسِنَ مَثْوَنَةَ أَوْلِيَّتِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ نِزَالِ الْأَحْوَالِ ، وَلَا تَقْطَعْ لِحَدٍّ مِنْ حَاشِيَتِكَ
وَحَامَتِكَ قَطِيعَةً ، وَلَا يَطْمَنَّ مِنْكَ وَاعْبِدْ عَقْدَةً تَضُرُّ مَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ فِي

شَرِبَ أَوْ عَمِلَ مُشْرَكَ ، يَحْمِلُونَ مَوَدَّتَهُ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ ، فَيَكُونُ مَهْنَأُ ذَلِكَ لَهُمْ دُونَكَ ، وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

وَالْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَرِمَهُ مِنْ أَقْرَبِ وَأَسْمَعِ ، وَكُنْ فِي ذَلِكَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا ، وَاقِعًا ذَلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَحَوَاصِّكَ حَيْثُ وَقَعَ ، وَابْتَغِ عَاقِبَتَهُ عَمَّا يَنْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ ؛ فَإِنَّ مَنَّةَ ذَلِكَ عَمُودَةٌ .

وَإِنْ طَلَبَ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيِّمًا ، فَاصْنَحْ لَهُمْ بِعَدْرِكَ ، وَاعْدِلْ عَنْكَ طُوبَاهُمْ بِاصْنَحَارِكَ ؛ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ إِعْدَارًا تَنْسُجُهُ خَاصَّةً مِنْ تَقْوِيَعِهِمْ عَلَى الْحَقِّ .



الْبَيْزُجُ .

مهاء عليه السلام عن أن يحمل أقاربه وحشيتته وحواصيه على رقاب الناس ، وأن يحكمهم من الاستئثار عليهم والتطاول والإدلال ، ومهاء من أن يقطع أحداً منهم قطعة ، أو يملكه صبيحة تصرّ على محاورها من السادة والدّهاقين^(١) في شرب يتعلّون على اللهاء منه ، أو ضياع يُصيعونها إلى ما منكمهم ينه ، وإعفاء لهم من مؤنة ، أو حفر وعيره ، فيعميهم الولادة منه مرافقة لهم ، فيكون مؤنة ذلك الواجب عليهم قد أسقطت عنهم ، وحمل ثقلها على غيرهم .

ثم قال عليه السلام . لأنّ ممنة ذلك في الدنيا تكون لهم دونك ، والورد في الآخرة عليك ، والعيب والدم في الدنيا أيضاً لاحقان بك .

ثم قال له : إن اتهمتك الرعية بخيبر عليهم ، أو طست بك حوْراً ، فذكر لهم عدرك

(١) الدهاقين : جمع دهقان ؛ وهو من ألقاب رؤساء الأعاجم .

في ذلك ، وما عندك ظاهراً غير مستور ، فإنه الأولى والأقرب إلى استقامتهم لك على الحق .

وأصحرت بكذا ، أى كشفته ؛ مأخوذة من الإصحار ، وهو الخروج إلى الصحراء .
وحامة الرجل : أقربه وطاقته . واعتقدت عقدة ، أى أذخرت حيرة . والمهناً مصدر
هنا كذا . ومنبئة الشيء : ما قبلته .
واعدل عنك ظنونهم : نحمها . والإعذار : إقامة المذر .

[طرف من أخبار عمر بن عبد العزيز وزايعته في خلافة]

ردَّ عمر بن عبد العزيز المطالم التي احتجبها^(١) بنو مروان فأبصره ودموه ؛ وقيل :
إنهم سمّوه هات .

وروى الزبير بن بكار في " الموقّعات " أن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز
دخل على أبيه يوماً وهو في قائلته ، فأيقظه . وقال له : ما يؤمنك أن تؤثني في منامك
وقد رُفِيت إليك مطالم لم تقض حقَّ الله فيها ! فقال : يا بني إن نفسي مطيئة إن لم أرفق بها
لم تبلّغني ، إني لو أنعبت نفسي وأعوانى لم يكن ذلك إلا قليلاً حتى أسقط ويسقطوا ،
وإني لأحتسب في نومتي من الأجر مثل الذي احتسب في يقظتي ، إن الله حلّ ثناؤه
لو أراد أن ينزل القرآن جملةً لأنزله ، ولكنه أنزل الآية والآيتين حتى استكثر^(٢) الإيمان
في قلوبهم .

ثم قال : يا بني مما أنا فيه أمرٌ هو أهم إلى أهل بيتك ، هم أهل العدة والعدد ، وقبلهم
ما قبلهم ، فلو جمعت ذلك في يوم واحد خشيتُ انتشارهم عليّ ، ولكي أصف من الرجل

(١) يقال احتجب فلان الإثم ؛ كأنه حجه واحتجبه من خلفه . (٢) د : د استكثر .

والأثنين ، فيبلغ ذلك من وراءهما ، فيكون أنجع له ، فإن يُرد الله إتمام هذا الأمر أتمه ، وإن تكن الأخرى تحت عبدٍ أن يعظم الله منه أنه يحب أن ينصف جميع رعيته .

وروى خويرية بن أسماء ، عن إسماعيل بن أبي حكيم ، قال : كنا عند عمر بن عبد العزيز ، فلما تفرقنا نادى مناديه : الصلاة جامعة ! فحُتُّ السجدة ، فإذا عمرُ على المنبر ، كحَمْدِ الله وأثنى عليه ، ثم قال : أمّا بعد ، فإن هؤلاء - يمي حنفاء بني أمية صله - قد كانوا أعطونا عطاءً ما كان يسمى لنا أن نأخذها منهم ، وما كان يسمى لهم أن يُعطوناها ، وإني قد رأيتُ الآن أنه ليس عليّ في ذلك دورٌ الله حبيب ، وقد بدأتُ بنفسى والأقربين من أهل بيتي ، اقرأ يا مزاحمُ ، فحمل مزاحمُ يقرأ كتاباً فيه الإقطاعات بالصباغ والتواحي ، ثم يأخذه عمرُ بيده فيقترعه بالحلم^(١) ، لم يزل كذلك حتى جردى بالظهر .

وروى الثرائ بن السائب : قال كان عند قاطمة بنت عبد الملك من مروان حوهر حليل ، وهنّها أبوها ، ولم يكن لأحد مثله ، وكانت تحت عمر بن عبد العزيز ، فلما ولي الخلافة قال لها : احتاري ؛ إمّا أن تردّي حوهرك وحليّتك إلى بيت مال المسلمين ، وإمّا أن تأدني لي في فراغك ، فإني أكره أن أجمع أنا وأنتِ وهو في بيت واحد ، فقالت : بل أختارك عليه وعلى أصنافه لو كان لي ، وأمرت به فحمل إلى بيت المال ، فلما هلك عمر وأستخيف يريد ابن عبد الملك قال لقاطمة أخته : إن شئتِ رددته عييك ؛ قالت : فإني لا أشاء ذلك ، طستُ عنه نفساً في حياة عمر ، وأرجع فيه بعد موته ! لا والله أبداً . فلما رأى يزيد ذلك قسّمه بين ولده وأهله .

وروى سهيل بن يحيى المزورّي عن أبيه ، عن عبد العزيز ، عن عمر بن عبد العزيز ، قال : لما دفن سديانُ صبيح عمرُ على المنبر فقال : إني قد خلعتُ ما في رقتي من بيعتكم . فصاح الناسُ صيحةً واحدةً : قد أحترناك ، فزل ودخل وأمر بالاستور فهُتكت ،

والثياب التي كانت تُبسط للحلفاء فحُمِلَتْ إلى بيت المال ، ثم حُرق ونادى متاديه : مَنْ
كان له مطعةٌ من نبيد أو قريب من أمير المؤمنين فليحضر؛ فقام رجل دمي من أهل رخص
أيضُ الرأس واللحية ، فقال : أسألك كتابَ الله ! قال : ما شأنك ؟ قال : أعباسُ بن الوليد
ابن عبد الملك أعتصني صيغتي - والعباس حاس - فقال عمر : ما تقول يا عباس ؟ قال :
أقطعنيها أميرُ المؤمنين الوليد ، وكتب لي بها سحرًا . فقال عمر : ما تقول أنت أيها الدمي ؟
قال : يا أمير المؤمنين ، أسألك كتابَ الله ! فقال عمر : أيها لعمري إن كتابَ الله لأحقُّ أن
يُسبَّح من كتاب الوليد ، أردد عليه يا عباس صيغته ، فحصل لا بدَّع شيئًا مما كان في أيدي
أهل بيته من الطامم إلا ردها مطعمة مضممة .

وروى ميمونٌ ومهران ، قال : بعث إلى عمرُ بن عبد العزيز وإلى مكحول وإلى قلاية
فقال : ما رآوكم في هذه الأموال التي أحدها أهل من الناس طُلما ؟ فقال مكحول قولاً
صحيحاً كرهه عمر ، فقال : أرى أن تستأنف وتدفع ما مضى ، فطر إلى عمرُ كالسميث في ،
فقلت : يا أمير المؤمنين ، أحضر ولدك عندك لسطر ما يقول فحضر ، فقال : ما تقول
يا عبد الملك ؟ فقال : ماذا أقول ؟ ألسنتُ تعرف مواضعها ! قال : بلى والله ، قال : فأردوها ،
فإن لم تفعل كنتُ شريكاً لمن أخذها .

وروى أبو درستويه ، عن يعقوب بن سُفيان ، عن حويرة بن أسماء ، قال : كان بيد
عمر بن عبد العزيز قبل الخلافة صيغته المعروفة بالسهلة ، وكانت باليمامة . وكانت امرأة
عطيها لها عتقة عظيمة كثيرة ، إناعيشه وعيش أهله معها ، فماتت إلى الخلافة قال لمراحم مولاة -
وكان فاضلاً - : إني قد عرمت أن أرد أسهنةً إلى بيت مال المسلمين ، فقال مزاحم : أتدري
كم ولدك ؟ إنهم كذا وكذا ، قال : فدرتُ عياله ، فحصل تستديمع ويمسح الدئمة بأصبعه
الوسطى ، ويقول : أركلهم إلى الله ، أركلهم إلى الله ! فمضى مراحم فدخل على عبد الملك
ابن عمر ، فقال له : ألا تعلم ما قد عزم عليه أولك ! إنه يريد أن يردَّ السهلة ، قال : فاقفتُ

له ؟ قال : ذكرتُ له ولداه فجعل يستدمع ويقول : أكرمهم إلى الله . فقال عبد الملك :
 بشى وزيرُ الدين أنت ! ثم وثب وانطلق إلى أبيه فقال للآذن : استأذن لى عليه ، فقال :
 إنه قد وضع رأسه الساعة للقائلة ، فقال : استأذن لى عليه ؟ فقال : أما ترجمونه ! ليس له
 من الليل والنهار إلا هذه الساعة . قال : استأذن لى عليه لا أم لك ! فسمع عمرُ كلامهما ،
 فقال : ائذن لعبد الملك ، فدخل هال : على ماذا عرمت ؟ قال : أردتُ السهلة قال : فلا تؤخر
 ذلك قم الآن . قال : فحمل عمرُ يرفع يديه ويقول : الحمد لله الذى حمل لى من ذريتى من
 يعينى على أمر دينى . قال : نعم يا بنى أصلى الظهر ، ثم أصدد السر فأردتها علانية على
 رؤوس الناس ، قال : ومن لك أن نمش إلى ظهر ! ثم من لك أن تسلّم منك إلى الظهر
 إن عشت إليها ! مقام عمر فعصد السر ، فخطب الناس ورد السهلة .



قال : وكتب عمرُ بن الوليد بن عبد الملك إلى عمرُ بن عبد العزيز لما أحسبى مروان
 ردّ المطالم كتاباً أعطاه فيه ، من محبته بكتابك أوردت على كل من كان قبلك من الخلفاء
 وعبتهم ، وسرت بغير سيرتهم بعضاً لهم وشيئاً لمن يمدّم من أولادهم ، وقطعت ما امر
 الله به أن يوصل ، وعمدت إلى أموال قريبى ومورثهم فأدخلتها بيت المال خوفاً وعدواناً ،
 فاتق الله يا بن عبد العزيز وراقبه ، فإنك خصصت أهل بيتك بالظلم والخور . ووالدى خصّ
 محمداً صلى الله عليه وآله بما حصه به لقد أزددت من الله ثمناً بولايتك هذه التى رعت أئها
 عليك بلاء . فأقصر عن بعض ما صنعت ، وأعلم أنك بغير حبار عرير وفى قبضته ،
 ولن يتركك على ما أنت عليه .

قالوا : فكتب عمرُ جوابه : أما بعد ، فقد قرأت كتابك ، وسوف أجيئك بنحو منه ،
 أما أول أمرك يا بن الوليد فإن أملك مائة أمة السكر ، كانت تطوف فى أسواق رحص ،
 وتدخل حوايتها ، ثم الله أعلم بها : اشتراها ديبان بن ديبان من قى المسلمين ، فأهداها

لأبيك ، محمات بك ، فبئس الحاملُ وشس المحمول ! ثم نشأت فكدت جئارا عنيذا . وترعم
أثر من الظالمين لأنى حرمك وأهل بيتك في الله الذى هو حق القرابة والمساكين
والأرامل ! وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من استعملك صبيا سعيها على حمد المسلمين تحكّم
فيهم برأيك ، ولم يكن له في ذلك نية إلا حب الله ولده ، فويل لك وويل لأبيك ! ما أكثر
خصماء كما يوم القيامة ! وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من استعمل الخجاج بن يوسف على
محتسى العرب ، يسبك الدم الحرام ، ويأخذ المال الحرام . وإن أظلم منى وأترك لعهد
الله من استعمل قرة بن شريك ، أعراتيا حافيا على مصر ، وأخذ له في المعارف والخمر
والشرب واللهو . وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من استعمل عثمان بن حيان على الحجاز ،
فيشد الأشعار على سر رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن حمل للمالية بررية سهما في
الخنس ؛ فريداً بين سانة ، ولو التفت حلقاً لاطن^(١) وردّ أبوه إلى أهله ، لتعرّعت
لك ولأهل بيتك فوصمتكم على المحجة البيضاء ، فطاماً تركتم الحق ، وأحدثتم في مناسبات
الطريق ! ومن وراء هذا من الفصل ما أرحوئن أعيناه ، سمع دقمتك ، وفهم ثمتك بين
الأرامل واليتامى والمساكين ، فإن لكل فيك حقاً ، والسلام علينا ، ولا يدل سلام
الله الظالمين .

وروى الأوزاعي قال : لما قطع عمر بن عبد العزيز عن أهل بيته ما كان من قبله
يخرجونه عليهم من أرزاق الخاصة ، فتكلم في ذلك عتبة بن سعيد ، فقال : يا أمير المؤمنين ،
إن لنا قرابة ، فقال : متى إن يسمع لكم ، وأما هذا انال خفكم فيه كحق رجل بأقصى
برك انعماد^(٢) ، ولا يسمع من أحده إلا بعد مكاه . والله إنى لأرى أن الأمور

(١) التفت حلقاً لاطن : مثل يصرب بالأمر بغيره .

(٢) برك العباد : موضع بين مكة وريد .

تو أَسْتَحَالَتْ حَتَّى يُصْبِحَ أَهْلُ الْأَرْضِ بِرُؤْيِ مِثْلِ رَأْيِكُمْ لَعَلَّتْ بِهِمْ بَاقَةُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ .

وَرَوَى الْأَوْدَاعِيُّ أَيْضًا ، قَالَ : قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَرِيرِ يَوْمًا وَقَدْ بَلَغَهُ عَنْ بَنِي أُمَيَّةَ كَلَامُهُمْ أَعْضَبُهُ : إِنَّ اللَّهَ وَبَنِي أُمَيَّةَ يَوْمًا - أَوْ قَالَ : دِيحًا - وَابْنُ اللَّهِ لَنْ كَانَ ذَلِكَ الذَّبْحُ - أَوْ قَالَ ذَلِكَ الْيَوْمُ - عَلَى يَدَيِ الْأَعْدِدِ اللَّهُ فِيهِمْ . قَالَ : فَلَمَّا سَمِعَهُمْ ذَلِكَ كَفَّوْا ، وَكَانُوا يَعْتَمُونَ حَرَامَتَهُ ، وَبِهِ دَاوَقِعٌ فِي أَمْرٍ قَضَى فِيهِ .

وَرَوَى إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ ، قَالَ : قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَرِيرِ يَوْمًا لِحَاحِهِ : لَا تُدْجِنَنَّ عَلَى الْيَوْمِ إِلَّا مَرَّوَانِيَا . فَلَمَّا اجْتَمَعُوا قَالَ : يَا بَنِي مَرْوَانَ ، إِنَّكُمْ مَدُّنَا عَظِيمَةً حَقًّا وَشَرَفًا وَأَمْوَالًا ، إِنِّي لَأَحْسِبُ شَطْرَ أَمْوَالِ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوْ تُنْشِبَهَا فِي أَيْدِيكُمْ ، فَسَكَّتُوا ، فَقَالَ : أَلَا تُحْيِيُونِي ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : مَا بِكَ ؟ قَالَ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَتَرَعَهَا مِنْكُمْ ، فَارُدَّهَا إِلَى بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : وَاللَّهِ لَا يَكُونُ ذَلِكَ حَتَّى يَحْجَأَ مِنْ رَدِّهَا وَسُنَا وَأَحْسَادِيَا ، وَاللَّهِ لَا تُكْفِّرُ أَسْلَافَنَا ، وَلَا نُقْعِرُ^(١) أَوْلَادَنَا . فَقَالَ عُمَرُ : وَاللَّهِ لَوْ لَا أَنْ سَمِعْتُمُوهُ عَلَى عَنٍّ أَطْلَبُ هَذَا الْحَقَّ لَهُ لِأَصْرَعْتُ حُدُودَكُمْ أَفَرَمُوا عَنِّي .

وَرَوَى مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ ، قَالَ : ذَكَرَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَرِيرِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الْمَرْوَانِيَّةِ فَمَنْبِهِمْ ، وَعِنْدَهُ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّا وَاللَّهِ مَكْرَهُ أَنْ نَسُبَ آبَاءَنَا ، وَنَتَصَعَّ شَرَفَنَا ؛ فَقَالَ عُمَرُ : وَابْنُ عِيْبٍ أَعْيَبُ مِمَّنْ عَاتَاهُ الْقُرْآنُ !

وَرَوَى ثَوْفَلُ بْنُ الْمُرَاتِ ، قَالَ : شَكََا بَنُو مَرْوَانَ إِلَى عَاتِكَةَ بِنْتِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ عَمْرًا ، فَقَالُوا : إِنَّهُ يَعْيبُ أَسْلَافَنَا ، وَيَأْخُذُ أَمْوَالَنَا ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ - وَكَانَتْ عَظِيمَةً عِنْدَ بَنِي مَرْوَانَ - فَقَالَ لَهَا : يَا عَمَّةُ ، إِنَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَبِضْ وَتَرَكَ

(١) ب : « وَنُقْعِر » .

الناس على شهر مؤزود ، فولى ذلك الشهر بعده رجلا لم يستحسأ أقسمها وأهلها منه بشيء ، ثم وليه ثالث فكري منه سافية ، ثم لم تزل الناس يكرؤون منه السواق حتى تركوه يادسا لا فطرة فيه ، وأبى الله أن أبغى الله لأسكر^(١) تلك السواق حتى أعيد الشهر إلى محراء الأول ؛ قالت : فلا يستبون دأ عبدك ! قال : ومن يستهم ! إنما يرفع الرجل مطلقته فأردّها عليه .

وروى عبد الله بن محمد التيمي ، قال : كان من أمة يبرلون منك ست مروان بن الحكم على أبواب قصورهم ، وكانت حبيبة لجميع عديم ، فلما ولي عمر^(٢) قال : لا يسلي برائها أحد عري ، فأدخلوها على دانتها إلى باب قنته ، فأتركها ، ثم طس لها وسادتين ، إحداهما على الأخرى ، ثم أتاها يمارحها - ولم يكن من شأنه ولا من شأنها المراح - فقال : أما رأيت الحرس الذين على الباب ؟ قالت : بلى ، ودرت ما رأيتهم عديم هو خير منك ! فلما رأى العصف لا تتحلل عنها ترك المزاج وسأها أن تذكر حاجتها ، فقالت : إن قرأتك يشكو بك ، ويرعمون أنك أخذت منهم خير عرك ، قال : ما منعهم شئ هو لهم ، ولا أحدث منهم حقاً يستحقوه ! قالت : بنى أحسن أن يهبوا عليك يوماً عصيا^(٣) ، وقال : كل يوم أحافه - دون يوم القيامة - فلا وفانى الله شره . ثم دعا بديار وعجرة وحلده فأتى الديار في النار ، وحمل يسمع حتى أحمر ، ثم تناول به شيء فأخرج به موضعه على الحلال ، فمشى وفتر ، فقال : يا عممة ، أما تأوين لابن أخيك ، من مثل هذا ، فقامت فخرحت إلى ابني مروان فقالت : تروحو في آل عمر بن الخطاب ، فإذا ترعوا إلى الشمة^(٤) حزعتم ! اصبروا له .

وروى وهيب بن الورد ، قال : اجتمع من مروان على باب عمر بن عبد العزيز ، فقالوا لولده له : قل لأبيك يادن لنا ، فإن لم يادن فأبلغ إليه عتاً وسالة ، فلم يأذن لهم ، وقال :

(١) سكر الساقية : سبعا . (٢) د : « أن يهبوا عليك عصا يوما » .

(٣) كذا في د ، وفي أ ، ب « السنة » .

فليقولوا ، فقالوا : قل له : إن من كان قبلك من ائمة كان يعطينا ، ويعرف لنا مواضعنا ، وإن أباك قد حرّمنا ما في يديه . فدخّل إلى أبيه فأبلغه عنهم ، فقال : اخرج فقل لهم : إني أخف إن عصيتُ ربّي عذاب يوم عظيم .

وروى سعيد بن عثمان ، عن أسماء بنت عبيد ، قال : دخل عتبة بن سعيد بن العاص على عمر بن عبد العزيز ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن من كان قبلك من الخلفاء كانوا يعطوننا عطايا منبتأها ، ولى عيال وصبيحة ، فأدب لي أخرج إلى صيغتي ، وما يصلح عيالي ! فقال عمر : إن أحسبكم إلينا من كمانا مؤوته . فخرج عتبة ، فلما صار إلى الباب ناداه : أباطلدا ! أباطلدا ! مرجع فعال . أكثر ذكر الموت من كس في صيق من العيش وسعة عليك ، وإن كس في سعة من العيش ضيقه عليك .

وروى عمر بن علي بن مقدم ، قال : قال ابن مسعود لسليمان بن عبد الملك لم أرحم : إن لي حاجة إلى أمير المؤمنين عمر ؛ قال : فاستأذنت له ، فأدخله ، فقال يا أمير المؤمنين ، لم أجدت قطيعة ؟ قال : معاذ الله أن آخذ قطيعة من بني الإسلام ! قال : فهذا كتابي بها . وأخرج كتابا من كفه . فقرأ عمر وقال : لمن كانت هذه الأرض ؟ قال : كانت للمسلمين ، قال : فاسلموا أولي بها . قال : فردد عليّ كتابي ؛ قال : إنك لو لم تأتني به لم أسألكه ، فأما إذ حثتني به فليست أدعك تطلب به ما ليس لك بحق . فبكى ابن سليمان ، فقال مزاحم : يا أمير المؤمنين ، ابن سليمان تصع به هذا . قال : وذلك لأن سليمان عهد إلى عمر ، وقدمه على إخوته . فقال عمر : وبجك يا مزاحم ! إنّي لأحد له من اللوط^(١) ما أرحم لو لذي ، ولكمها نفس أحادل عنها .

وروى الأوزاعي ، قال : قال هشام بن عبد الملك ، وسعيد بن خالد بن عمر بن عثمان

(١) و اللسان : « قد لاطحه خفي ، أي صق ، وفي حديث أبي الحثرى . ما أرحم أن عسا أفضل من ابن بكر وعمر ؛ ولكن أحد له من اللوط ما لأحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم » .

ابن عفان لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ، استأير العمل برأيك فيما تحت يدك ، وخل بين من سبقك وبين ما ولّوه عليهم كان ، أولهم ، فإنك مستكف أن تدخل في خير ذلك وشره . قال : أشد كما الله الذي إليه تمودان ، لو أن رجلا هلك وترك بين أصغر وأكبر ، ففزع الأكار الأصغر بقوتهم ، فأكبر أموالهم ، ثم بلغ الأصغر الحلم فجاء وكأ بهم وبما صنعوا في أموالهم ما كننا صابرين ؟ ولا : كما ردّ عليهم حقوقهم حتى يستوفوها . قال : فإني وجدت كثيرا ممن كان قسلي من بؤلاء عزّ أساس سلطانه وقوته ، وآثر بأموالهم أتباعه وأهله ورهطه وخاصته ، وما نيت أنوي بذلك ، فلم يسئني إلا الرد على الضعيف من القوى ، وعلى الأدنى من الشريف . فعلا : بوفق الله أمر المؤمنين .

الأصل

وَلَا تَدْفِنْ صُلْحًا دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ قَبْلَ رِصَاةٍ مِنْهُ وَالصُّلْحُ دَعَا لِيُجُودَكَ ، وَرَاحَةً مِنْ هُمُوكَ ، وَأَمَّا لِيَلَدِكَ ، وَلَا يَكُنْ الْخَدَرُ كُلُّ الْخَدَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ رُبَّمَا قَارَبَ لِيَتَعَمَّلَ . فَعَدُّ بِالْحَرَمِ ، وَأَتَاهُمْ فِي ذَلِكَ حُسْنُ الظَّنِّ . وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ عَهْدًا ، أَوْ أَلَسْتَهُ مِنْكَ دِمَّةً ، فَحُطُّ عَهْدِهِ بِالْوَفَاءِ ، وَارْعَ دِمَّتَكَ بِالْأَمَانَةِ .

وَاحْمِلْ نَفْسَكَ حُجَّةً دُونَ مَا أُعْطِيَتْ ؛ فَإِنَّهُ أَيْسَرُ مِنْ قَرَائِصِ اللَّهِ شَيْءٌ ، النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ احْتِمَاعًا مَعَ تَفَرُّقِ أَهْوَائِهِمْ ، وَتَشَتُّ آرَائِهِمْ ، مِنْ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِاتِّهَادِهِ ؛ وَقَدْ لَزِمَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ مُسْلِمِينَ ؛ يَأْمُرُونَ بِكُلِّ عَوَاقِبِ الْعَدْرِ ، فَلَا تَنْدِرَنَّ بِدِمَّتِكَ ، وَلَا تَحْيِسَنَّ بِمَهْدِكَ ، وَلَا تَحْتَلِنَ عَدُوُّكَ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَخْتَرِي عَلَى اللَّهِ إِلَّا جَاهِلٌ شَقِيٌّ ، وَقَدْ حَمَلَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَدِمَّتَهُ أَمَّا أَفْصَاهُ بَيْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ ،

وَحَرَبًا يَسْكُنُونَ إِلَى مَعَتِهِ ، وَيَسْتَفِيزُونَ إِلَى حَوَارِيهِ ، فَلَا إِذْعَالَ وَلَا مَدَالَسَةَ وَلَا حِدَاعَ فِيهِ .

وَلَا تَعْقِدُهُ عَقْدًا تَحَوَّرَ فِيهِ الْعِلَلُ ، وَلَا تَمَوَّلَنَّ عَلَى لَحْنِ الْقَوْلِ نَمَذَالَتًا كِيدِ وَالتَّوْثِقَةِ ، وَلَا يَدْعُوَنَّكَ صِيقُ أَمْرٍ لَزَمَكَ فِيهِ عَهْدُ اللَّهِ إِلَى طَلَبِ انْفِصَاحِهِ بِفَيْزِ الْحَقِّ ، فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَى صِيقِ أَمْرٍ تَرَّخُو انْفِرَاجَهُ وَقَعْلَ حَاقِقَتِهِ ، حَزَنٌ مِنْ غَدْرِ تَخَاوُ تَعَمُّهُ ، وَأَنْ تُحِيطَ بِكَ مِنْ اللَّهِ طِلْسَةٌ لَا تَسْقِلُ فِيهِ دُنْيَاكَ وَلَا آخِرَتَكَ .

البُزْجُ :

أَمْرُهُ أَنْ يَقْبَلَ السُّمَّ وَالصَّلَاحَ إِذَا دُعِيَ إِلَيْهِ ، لِمَا فِيهِ مِنْ دَعَاةِ الْحَمْدِ ، وَالرَّاحَةِ مِنَ الْهَمِّ ، وَالْأَمْنِ لِلْإِلَادِ ، وَلِسَكْنِ يَمْنَى أَنْ يَحْتَدِ نَعْدَ الصَّلَاحِ مِنْ عَائِلَةِ الْعَدُوِّ وَكَيْدِهِ ، فَإِنَّهُ رَمَا قَارِبَ الصَّلَاحِ لِيَتَمَعَّلَ ، أَيْ يَطْلُبَ عَمَلَتِكَ ، نَحْدَ مَا لَحَزَمَ ، وَأَتَاهُمْ حُسْنُ طَبْعِكَ ، لَا تَشَقَّ وَلَا تَسْكُنْ إِلَى حُسْنِ طَبْعِكَ بِالْعَدُوِّ ، وَكُنْ كَالطَّائِرِ الْحَدِيدِ .

نَمَّ أَمْرُهُ بِالْوَفَاءِ بِالْجُودِ ، قَالَ : وَاحِدٌ مَسَّكَ حَتَّى دُونَ مَا أُعْطِيَ ، أَيْ وَلَوْ دَهَبَتْ نَفْسُكَ فَلَا تَقْدِرُ .

وَقَالَ الرَّائِدِيُّ : النَّاسُ مَبْتَدَأٌ ، وَأَشَدُّ مَبْتَدَأُ ثَانٍ ، وَمِنْ تَعْلِيمِ الْوَفَاءِ خَيْرُهُ ، وَهَذَا الْمَبْتَدَأُ الثَّانِي مَعَ حَرِّهِ مَبْتَدَأُ الْأَوَّلِ ، وَمَعْنَى الْجَمْعِ نَصْبُ لَأَيِّ حَرٍّ لَيْسَ ، وَمَحَلُّ لَيْسَ مَعَ اسْمِهِ وَخَيْرُهُ دَفْعٌ ، لِأَنَّهُ حَرٌّ ، فَإِنَّهُ وَثِيٌّ اسْمُهُ لَيْسَ ، وَمِنْ مَرَاتِبِ اللَّهِ حَالٌ ، وَلَوْ تَأَخَّرَ لَكَانَ صِفَةً لَشَيْءٍ . وَالصَّوَابُ أَنَّ « لَشَيْءٍ » اسْمٌ لَيْسَ ، وَجَارِ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ سَكْرَةً لِاعْتِمَادِهِ عَلَى السَّيِّئِ ، وَلِأَنَّ الْحَارَّ وَالْمَحْرُورَ قَدَمٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ كَالصَّنَةِ ، فَتَحْصُنُ بِذَلِكَ وَقُرْبَ مِنَ الْعَرَةِ ، وَالنَّاسُ : مَبْتَدَأٌ ، وَأَشَدُّ : حَرُّهُ ، وَهَذِهِ الْجَمْلَةُ الْمُرَكَّبَةُ مِنْ مَبْتَدَأٍ

وحبر في موضع رَفَعَ لآنها صفة « شيء » وأما خبر المبتدأ الذي هو « شيء » محذوف ، وتقديره « في الوجود » كما حذف الخبر في قولنا : لا إله إلا الله ، أي في الوجود . وليس يصح ما قال الراوندي من أن « أشد » مستداً ثان ، و « من تعظيم الوفاء » خبره ، لأن حرف الجر إذا كان حرفاً المبتدأ تعلق بمحذوف ، وهما هنا هو متعلق بأشد نفسه ، فكيف يكون خبراً عنه ! وأيضاً فإنه لا يجوز أن تكون أشد من تعظيم الوفاء خبراً عن الناس ، كما رَعم الراوندي ، لأن ذلك كلامٌ غيرٌ مفيد ، ألا ترى أنك إذا أردت أن تُحبر بهذا الكلام عن المبتدأ الذي هو « الساس » لم يَقُمْ من ذلك صورةٌ محصلةٌ تفيدك شيئاً ، بل يكون كلاماً مضطرباً !

ويمكن أيضاً أن يكون « من فرائض الله » في موضع رَفَعَ ، لأنه خبر المبتدأ ، وقد قدم عليه ، ويكون موضع « اساس » وما بعده رفيعٌ ، لأنه خبر المبتدأ الذي هو « شيء » كما قلناه أولاً ، وليس تمتع أيضاً أن يكون « من فرائض الله » منصوب الموضع ، لأنه حال ، ويكون موضع « الساس أشد » دحماً ، لأنه خبر المبتدأ ، الذي هو « شيء » .

ثم قال له عليه السلام : وقد زعم المشركون مع شِرْكهم الوفاءَ بالعهود ، وصار ذلك لهم شريعةً وبينهم مئة ، فالإسلام أولى بالبروم والوفاء .

واسئَلُوا : وحدوه وريلا ، أي ثميلا ، استولب اللد ، أي استولحت حنته واستغفلته ، ولم يوافق مراجك .

ولا تحيسنَ بعهدي ، أي لا تغدرون ، حاس فلا بد بدمته ، أي عذر وسكت .
قوله : « ولا تحتلنَ عدوك » ، أي لا تمكرنَ به ، حنته ، أي حذنته .

وقوله : « أوصاه بين عساده » ، جمعته مشركاً بينهم ، لا يختص به فريق دون

فريق .

قال : « ويستفيضون إلى حوارهم » ، أى ينتشرون في طلب حاجتهم ومآربهم ، ساكنين إلى حوارهم ، وإلى ما هنا متعلقة بمحذوف مقدر ، كقولهم تعالى : ﴿ فِي سَبْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ ﴾^(١) ، أى مرملا . قال : « فلا إدغال » ، أى لا إفساد ، والدَّعَل : الفساد . ولا مُدَالَسَة ، أى لا حديعة ، يقال : فلان لا يؤاس ولا يُدالس ، أى لا يهادع ولا يخون ، وأصل الدَّالَس الطلعة ، والتدليس في التبع : كتمان عيب السلعة عن المشتري .

ثم نهاء عن أن يمتدَّ عقدا يمكن فيه تأويلات والعلل وطلب المخارج . ونهاء إذا عقد العقد بينه وبين العدو أن يقرضه موقفا على تأويل حتى أو يطوى قول ، أو يقول : إنما عيت كذا ؛ ولم أعظ ظاهر النصبة ؛ فإن العقود إنما تُعقد على ما هو ظاهر في الاستعمال متداول في الاصطلاح والعرف لا على ما في الباطن .
وروى « امساحه » بالخاء المهملة ، أى سمته .

[فصل فيما جاء في الخبر من كيد العدو]

قد جاء في الخبر من كيد العدو والنهي عن التعريط في الرأي السكون إلى ظاهر السلم أشياء كثيرة ، وكذا في النهي عن المذر والنهي عن طلب تأويلات اليهود وفسخها بغير الحق . وروى عبد الله بن طاهر في أيام أبيه في أمرٍ أشرف فيه على العطب ، وبما بعد لآي^(٢) فكتب إليه أبوه : أنا في يا بُني من حر تعريطك ما كان أكر عدى من نيك لو وُرد ، لأنى لم أرجُ قط ألا تموت . وقد كنت أرحو ألا تقتصح ترك الحرم والنيق .
وروى ابن الكلبي أن عيسى بن رهبير لما قتل حديفة بن بدر ومن معه بحفر الهباءة ،

(٢) بعد لآي ؛ بعد جهد .

(١) سورة النمل ١٢ .

خرج حتى لحق بالسَّير بن قاسط وقال : لا تُصْرُ في وجهي عظمائِيَّةٌ بعد اليوم ؛ فقال :
يا معاشرَ السَّير ، أما قيس بن رهبير ، عريبٌ حَرِيبٌ طريدٌ شريدٌ موتورٌ ، فأُطْرُوا لي
امرأةً قد أَدَبَهَا الِيسَى وأَدَلَّهَا اعْتَر . فوَحَّوهُ باصْرَاءِ مِمْ ، فقال لهم : إني لا أقيم فيكم
حتى أُحِبَّركم سُحْلَاقِي ، أنا محورٌ عَيُورٌ أَيْبٌ ، وَلَسْتُ أَلْجُرُ حَتَّى أُبْتَلَى ، وَلَا أَعْدُ حَتَّى أُرَى ،
وَلَا آتُ حَتَّى أُظَلِّمَ . فَرْضُوا أَحْلَاقَهُ ، فَاقَمَ بِهِمْ حَتَّى وُيْدَلَهُ ، ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَتَحَوَّلَ عَنْهُمْ ،
فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ السَّير ، إِنْ لَكُمْ حَقٌّ عَلَيَّ فِي مُصَاهَرَتِي فِيكُمْ ، وَمُقَامِي بَيْنَ أَطْمَرِكُمْ ،
وإِنِّي مَوْصِيكُمْ بِمَحْصَالِ أَمْرِكُمْ هَـبْ ، وَأَمَّا كُمْ عَنْ حِصَالِي : عَلَيْكُمْ بِالْأَنَانَةِ فَإِنَّ سَهْلًا تُدْرِكُ
الْحَاحَةَ ، وَنَسَالُ الْفَرَسَةِ ، وَنَسُودُ مَنْ لَا تُمَانُونَ بِتَسْوِيدِهِ ، وَالْوَهْمُ بِالْمُهِودِ فَإِنَّ بِهِ
يَعْبَثُ النَّاسُ ، وَإِعْطَاءُ مَا تَرِيدُونَ إِعْطَاءً ، فَبِالْمَسْأَلَةِ ، وَمَنْعُ مَا تَرِيدُونَ مَنَعًا قَبْلَ الْإِمَامِ ،
وَإِحَارَةُ الْخَارِ عَلَى الدَّهْرِ ، وَسُغِيرُ السُّيُوفِ عَنْ مَسَارِلِ الْأَيَّامِ ، وَحُلْطُ الْعَشِيِّ بِالْعِيسَالِ .
وَأَسْأَلُكُمْ عَنِ الْمَدْرِ ، فَإِنَّ عَارَ الدَّهْرِ ، وَعَنِ الرَّهْمِ فَإِنَّ نَكِلْتُ مَا لَكَ أَحَى ، وَعَنِ
الْبَنَى فَإِنَّ بِهِ صُرْعَ رَهِيرٍ أَبِي ، وَعَنِ الشَّرَفِ فِي الدِّمَاءِ ؛ فَإِنَّ قَتْلَ أَهْلِ الْهَاءَةِ أَوْرَثَنِي
الْعَارَ . وَلَا تَطْلُؤُوا فِي الْفُصُولِ فَتَمَحَّرُوا عَنِ الْخُفْرِ ، وَأَسْكَحُوا الْأَيَّامِ الْأَكْفَاءَ فَإِنَّ
مَ تَصِيغُوا مِنْ الْأَكْفَاءِ خُبْرُ بِيُوتِهِ الصُّورِ . وَأَعْلَمُوا أَنَّ أَصْحَتُ طَالَمَا وَمَطْلُومًا ، ظَلَمَنِي
بِوَيْدَرٍ بِقَتْلِهِمْ مَالِكًا ، وَطَلَعْتُهُمْ بِقَتْلِي مَنْ لَا دَبَّ لَهُ . ثُمَّ رَجَلَ عَنْهُمْ إِلَى عَمَارٍ (١) فَتَنَهَّرَ
بِهَا ، وَعَفَّ عَنْ أَمَّا كُلِّ حَتَّى أَكُلَ الْخُطْرَ بِي أَنْ مَاتَ .

الأصل :

إِنَّكَ وَالِدُ الْمَاءِ وَسَفَكَهَا يَغْيِرُ حِلُّهَا . وَبِهِ بَيْسٌ شَيْءٌ أَدْعَى لِقَعَةٍ ؛ وَلَا أُعْظَمُ

لِتَبْمَةِ ، وَلَا أُخْرَى بِرَوَالِ نِعْمَةٍ ؛ وَ نَقِطَعُ مُدَّةً ، مِنْ سَفَكِ الدِّمَاءِ يَنْتَبِرِ حَقُّهَا ،
وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مُتَتَدِيٌّ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعَمَدِ فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،
فَلَا تُقَوِّينَ سُلْطَانَكَ بِسَفَكِ دَمٍ حَرَامٍ ، فَإِنَّ دَنِكَ رَحْمًا يُصِغُهُ وَيُوهِنُهُ ، بَلْ يُزِيلُهُ
وَيَنْقُلُهُ .

وَلَا عُذْرَ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا عِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمَدِ ، لِأَنَّ رِيسَ قَوَدِ الْبَدَنِ ،
وَإِنْ اشْتَبِهَتْ بِخَطَا ، وَأَفْرَطَ عَلَيْكَ سَوْضُتٌ أَوْ يَدَاثٌ بِالْمَقْوَةِ ، فَإِنَّ فِي الْوَكْرَةِ
فَمَا فَوْقَهُ مَقْتَلَةٌ ، فَلَا تَطْمَحَنَّ بِكَ نَحْوَةُ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدَّى إِلَى أَوْلِيَةِ الْمُقْتُولِ
حَقَّهُمْ .



البَنْرُخُ :

قد ذكرنا في وصية فبس بن زهير آتفا النعمي عن الإبرار في الدماء ، وتلك وصية
مبينة على شريعة الجاهلية مع حثتها وسبأ أسكها على القتل واستال ، ووصية أمير المؤمنين
عليه السلام مبينة على الشريعة الإسلامية ، وانتهى عن القتل والمُدُولِ الَّذِي لَا يُسِغُهُ
الدين ، وقد ورد في الخبر المرفوع : « إِنْ أَوْزَّ مَا يَقْصِي اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ الْعَادِ أَمْرُ
الدِّمَاءِ » . قال : إنه ليس شيء أدعى إلى حلول النعم ، وروال النعم ، وأنتقل الدُّولِ ، من
سَفَكِ الدَّمِ الْحَرَامِ ، وَإِنْ طَلَبْتَ أَمَّا تَقَوَّى سُلْطَانَكَ بِذَلِكَ ، فَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا ظَنَنْتَ ،
بَلْ تَصْغُهُ ، بَلْ تُعَدِّمُهُ بِالْكَلِيَّةِ .

ثم عرّفه أَنَّ قَتْلَ الْعَمَدِ يُوْحِبُ الْقَوْدَ وَقَدْ لَه : « قَوْدُ الْبَدَنِ » أَيِ يَحِبُّ عَلَيْكَ هَدْمُ
صُورَتِكَ كَمَا هَدِمْتَ صُورَةَ الْمُقْتُولِ ، وَالْمُرَادُ بِرَهَائِهِ هَهُدِ اللَّفْظَةُ أَنَّهَا أُلْبَغُ مِنْ أَنْ يَقُولَ لَهُ :
« فَإِنَّ فِيهِ الْقَوْدَ » .

ثم قال : إِنْ قَتَلْتَ خَطَاً أَوْ شَيْهَ عَمْدٍ كَأَصْرَبِ السُّوْطِ فَعَلَيْكَ الدِّيَّةُ . وقد اختلف

الفتياء في هذه المسألة ، فقال أبو حسيمة وأصحابه : القتل على حجة أوجه : عمد ، وشبه عمد ، وخطأ ، وما أحرى بحري الخطأ ، وقتل بسبب .

فالعمد : ما تعتمد به ضرب الإنسان بسلاح ، أو ما بحري بحري السلاح ، كالحمد من الحشب وريطة^(١) القصب ، والرؤوة^(٢) محدة ، والمار ؛ وموجب ذلك المأثم والقود إلا أن ينفو الأولياء ، ولا كفارة فيه .

وشبه العمد أن يعتمد انصرب بما ليس بسلاح ، ولا أحرى بحري السلاح ، كالخحر العظيم ، والخشنة المطيعة ، وموجب ذلك المأثم والكفارة ، ولا هود فيه ، وفيه الذية معلقة على العاقلة .

والخطأ على وجهين : خطأ في القصد ، وهو أن يرى شخصاً يخطئه متيداً ، فإذا هو آدي . وخطأ في العمل ، وهو أن يرى عرفاً فيصيب آدمياً ، وموجب السوءين حملاً الكفارة والذية على العاقلة ، ولا مأثم فيه .

وما أجرى بحري الخطأ مثل النائم يتنقب على راحل فيقتله ، فحكمه حكم الخطأ . وأما القتل بسب ، مخاف البئر وواضع الخحر في غير ملكه ، وموجب إذا تلف فيه إنسان الذية على العاقلة ، ولا كفارة فيه .

فهذا قول أني حنيفة ومن تأمته ؛ وقد سمعته صاحبه أبو يوسف ومحمد في شبه العمد ، وقالوا : إذا ضرب به بحجر عظيم أو خشنة عليقة فهو عمد ، قال : وشبه العمد أن يعتمد ضربه بما لا يقتل به غالباً ، كالعصا الصغيرة ، واسوط ؛ وبهذا القول قال الشافعي .

وكلام أمير المؤمنين عليه السلام يدل على أن المؤذب من الولاة إذا تلف تحت

(١) اللط : قشر القصب اللارق به .

(٢) الرؤوة . حجر أبيض براق ؛ وفي الحديث ، دقن به عدي بن حاتم : إذا أصاب أحداً فاصداً وليس معه سكين ، أبدخ بالرؤوة وشقه العما .

يده إنسان في التأديب فله الدية ، وقال لى قوم من فقهاء الإمامية : إن مذهبنا أن لادية عليه ، وهو خلاف ما يقتضيه كلام أمير المؤمنين عليه السلام

الأصل :

وَإِيَّاكَ وَالْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ ، وَاشْفَعْ بِبَيْحُكَ مِثْلَهَا ، وَحُبِّ الْإِطْرَاءِ ، فَهَرُّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثَقِ مَرَصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ ، لِيَمْحَقَ مَا سَكُونُ مِنْ إِخْسَارِ الْمُحْسِنِينَ .
وَإِيَّاكَ وَالْمَنْ عَلَى دَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانٍ ؛ أَوْ لَرَّثُ رِيْمًا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ ، أَوْ أَنْ نَعِدَهُمْ ، فَتَنْسَحَ مَوْعِدُكَ بِحُلْمِكَ ، فَإِنَّ مَنْ يُبْطِلُ الْإِحْسَانَ ، وَالرَّيْثُ يَذْهَبُ بِسُورِ الْحَقِّ ، وَالْخُفِّ يُوحِبُ الْمَفْتَ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ ، قَالَ اللَّهُ سُحْحَانَهُ وَتَعَالَى :
(كَرَّ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) (١) .

وَإِيَّاكَ وَالْمَحَلَّةَ بِالْأُمُورِ قَبْلَ أَوَائِهَا ، أَوْ التَّنَافُضَ فِيهَا عِنْدَ إِنْكَاسِهَا ، أَوْ اللَّحَاحَةَ فِيهَا إِذَا تَكَرَّرَتْ ، أَوْ الْوَهْنَ عِنْدَ إِذَا اسْتَوْصَحَتْ ، فَصَحَّ كُلُّ أَمْرٍ مَوْضِعُهُ ، وَأُذِغَ كُلُّ عَمَلٍ مَوْفِقُهُ .

وَإِيَّاكَ وَالْإِسْتِثْنَاءَ عَنِ النَّاسِ فِيهِ أَسْوَةٌ ، وَالتَّمَرُّقَ عَمَّا نَفَى بِهِ رِيْمًا فَدَوْصَحَ لِلْيُيُورِ ، فَإِنَّهُ مَا أُخُوذُ مِنْكَ لِعَيْرِكَ ، وَهَمَّا قَبِيلٍ تَسْكُنُ عَنْكَ أَغْطِيَةُ الْأُمُورِ ، وَيُنْتَصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ .

أَمَلِكْ حِمِيَّةَ أَمْلِكَ ، وَسُورَةَ حَدِّكَ ، وَسَطْوَةَ يَدِكَ ، وَعَرَبَ لِسَانِكَ ، وَاحْتَرِسْ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ بِكَمِّ الْمَدِيرَةِ ، وَتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ ، حَتَّى يَسْكُنَ عَصْكَ ، فَتَمْلِكَ الْإِخْتِيَارَ . وَلَنْ تَحْكُمَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِدِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَتِّكَ .

(١) سورة الصب ٣ .

وَالوَاحِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى مِنْ قَدَمِكَ ، مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ ، أَوْ سُنَّةٍ فَصِيلَةٍ ، أَوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِيٍّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، أَوْ فَرِيصَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، فَتَقْتَدِيَ بِمَا شَاهَدْتَ بِمَا عَمِلْنَا بِهِ فِيهَا ، وَتَحْتَمِدَ لِنَفْسِكَ فِي انْتِاعِ مَا عَمِدْتَ إِلَيْكَ فِي عَهْدِي هَذَا ، وَاسْتَوْفَقْتُ بِهِ مِنْ الْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ ، لِكَيْلَا تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسْرُعِ نَفْسِكَ إِلَى مَوَاقِفِهَا .

البُيُوتُ :

قد اشتمل هذا الفصل على وصايا بحسن شرحوها ، منها قوله عليه السلام . « يَاكَ وَمَا يُعْجِبُكَ مِنْ عَمَلِكَ ، وَالثِّقَةُ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا » ؛ قد ورد في الخبر : « ثَلَاثُ مَهْلِكَاتٍ : شَيْخٌ مُطَاعٌ ، وَهُوَ مُتَّعٍ ، وَاعْتَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ » ؛ وفي الخبر أيضا : « لَا وَحْشَةَ أَشَدَّ مِنَ الْمُحِبِّ » ، وفي الخبر : « النَّاسُ لَأَدَمَ ، وَأَدَمٌ مِنْ تَرَابٍ ، فَا لِبْنُ آدَمَ وَالْمُحَرِّ وَالْمُحِبِّ ! » . وفي الخبر : « الْجَارُ ثَوْتُهُ حَيْلَاءٌ لَا يَسْطُرُ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ؛ وفي الخبر : « وَقَدْ رَأَى أَمَا دُجَانَةً يَلْبَخَّرُ : « إِنَّهَا لِمِشِيَّةٌ يُنْصَبُهَا اللَّهُ إِلَّا بَيْنَ الصَّقَيْنِ » .

ومنها قوله : « وَحُبُّ الْإِطْرَاءِ » ، نَظَرَ أَسْمُوعُ بْنُ مُحَمَّدٍ إِلَى الْقَاسِمِ السُّوشَعَانِيِّ التَّكَلَّمَ ، فَجَعَلَ يَصْدَقُهُ وَيُطْرِيهِ وَيُسْتَحْضِنُ قَوْلَهُ ، فَقَالَ لَأَسْمُونُ : يَا مُحَمَّدُ ، أَرَأَيْكَ تَقَادُّ إِلَى مَا نَطَرْتُ أَنَّهُ يَسْرَتِي قَبْلَ وَجُوبِ الْحُجَّةِ لِي عَلَيْكَ ، وَنُطْرِي بِمَا لَسْتُ أَحْتِ أَنْ أُطْرِيَ بِهِ ، وَتَسْتَخْدِي لِي فِي الْقَامِ الَّذِي يَبْغِي أَنْ تَكُونَ فِيهِ مُقَاوِمًا لِي ، وَبَحْتَجًا عَلَيَّ ، وَلَوْ شِئْتَ أَنْ أَقْبِرَ الْأُمُورَ بِفَصْلِ بَيَانٍ ، وَطُولِ لِسَانٍ ، وَأَعْتَصِبَ الْحَقَّ بِقُوَّةِ الْخِلَافَةِ ، وَأَسْهَ الرِّيَاسَةِ لَصَدَّقْتُ وَإِنْ كُنْتُ كَاذِبًا ، وَصَدَّقْتُ وَإِنْ كُنْتُ حَاطِرًا ، وَصَوَّرْتُ وَإِنْ كُنْتُ مُخْطِئًا ،

لكنى لا أرضى إلا بملبة الحجة ، ودفع الشبهة ، وإن انتصر الملوك عقلاً ، واستخفهم رأياً ، من رضى بقولهم : صدق الأمير .

وأثنى رجل على رجل ، فقال : الحمد لله الذى سترنى عنك . وكان بعض الصالحين يقول إذا أطراه إنسان : ليسالك^(١) الله عن حسن طبعك .

ومنها قوله : « وإياك والآن » ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَدَى ﴾^(٢) . وكان يقال : لمن محبة للنفس ، مفسدة للصنع .

ومنها بهيه يباه عن التريدى عمله ، قال عليه السلام : إياه يذهب بتور الحق ، وذلك لأنه محض الكذب ، مثل أن يسدى ثلاثة أحرار من الجليل فيدعى فى المجالس والمهافل أنه أسدى عشرة ، وإذا حاط الحق الكذب أدهم بوره .

ومنها بهيه إياه عن حلف الوعد^(٣) قد منح الله نبياً من الأنبياء وهو إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام بصدق الوعد . وكان يقال : وعد الكرم نقد وتمجيل ، ووعد اللئيم مظل وتمطيل . وكتب بعض الكتاب : وحق لمن أهره بقول ، أنت يُشمر بفعل . وقال أبو مقاتل الصرير : قلت لأعرابي : قد أكثر الناس فى المواعيد ؛ فما قولك فيها ؟ فقال : بشئ ، الوعد مشغلة للقلب الفارغ ، متعبة للبدن الحافض ، خيرة غائب ، وشره حاضر . وفى الحديث المرفوع : « غدة المؤمن كاحد باليد » ، فما أمير المؤمنين عليه السلام فقال : « إنه يوجب القت » ، واستشهد عليه بالآية . والمقت : النقص .

ومنها بهيه عن المعجلة ؛ وكان يقال : أصاب متنبت أو كاد ، وأحطأ عجلاً أو كاد . وفى المثل : « رب عجلة تهت ريثاً » ، ودعها الله تعالى فعل : ﴿ حَقِيقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾^(٤) .

ومنها نهيه عن التساخط في الشيء الممكن عند حصوره ، وهذا عبارة عن النهي عن الخرص والجشع ، قال الشعري :

وإنْ مَدَّتْ الأيدي إلى الزادِ لم أكنْ أعجَبِهِمْ إذْ أخشعُ القومِ أَعْجَلُ
ومنها نهيه عن اللحاح في الحاجة إذا تضررت ، كان يقال : من لاح الله فقد حمده حصيا ، ومن كان الله حصمه فهو محصوم ، قال القرني :

دُفِئَ صَاوِيَةٌ تَحْرِي عَلَى قَدَرٍ لَا تُفِيدُنِي بِرَأْيِكَ مَعَكُوسٍ
ومنها نهيه له عن الوهن فيها إذا استوصحت ، أي وصحت واكثمت ، ويروى :
« واستوصحت » فعل ما لم يسم فاعله ، ويوهن فيها إهابها وترك استهارة الفرصة فيها ،
قال الشاعر :

إِذَا أَمَكْتُ فَاذِرْ إِلَيْهَا حَذِرًا مِنْ تَعَدُّرِ الْإِمْكَانِ

ومنها نهيه عن الاستنثار ، وهذا هو الخلق الشوي ، عيم رسول صلى الله عليه وآله عنائهم خير ، وكاب ميل ، الأرض سما ، فمارك راحلته وسار تبعه الناس يطلون القنائم وقسمها ، وهو ساكت لا يكلمهم ، وقد أكثروا عليه إلحاحا وسؤالا ، ثم شجرة سقطت^(١) رداه ، قالت فقال : ردوا على ردائي ، فلو ملكك عدد دمل بهامة معما لقسمته بينكم من آخره ثم لا تحدوسي محبلا ولا جانا ، ورتل وقسم ذلك المال عن آخره عليهم كله ، لم يأخذ لنفسه منه وبرة .

ومنها نهيه له عن التعابي ، وصورة ذلك أن الأمير يوتى إليه أن فلانا من خاصته يعمل كذا ، ويفعل كذا من الأمور المفكرة ويرتكبها سرا ، فيتعابى عنه ويتغافل ، نهاه عليه السلام عن ذلك وقال : إِنَّكَ مَا حُودٌ مَعَكَ لَعِيرُكَ ، أي معاقب ؛ تقول : اللَّهُمَّ حَذِلْ مِنْ فُلَانٍ بِحَقِّي ، أي اللَّهُمَّ انتقم لي منه .

ومنها نهيه إتياء عن العصب ، وعن الحكم بما تقتضيه قوته النضبية حتى يسكن غضبه ، قد جاء في البحر المرفوع : « لا يقضى القاضي وهو غضبان » ، فإذا كان قد نهى أن يقضى القاضي وهو غضبان على غير صاحب الخصومة ، فبالأولى أن ينهى الأمير عن أن يسطور على إنسان وهو غضبان عليه .

وكان لكسرى أوشروان صاحب قدرته ونعته لهذا المعنى يقف على رأس الملك يوم جلوسه ، فإذا عصي على إنسان وأمر به فرّغ سلسلة تاجه بتصيب في يده وقال له : إنما أنت نثر ، فارحم من في الأرض برحمتك من في السماء .

الأصل :

ومن هذا العهد وهو آخره :

وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ بِسَمَةِ رَحْمَتِهِ ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ ، أَنْ يُوقِعَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاؤُهُ ، مِنْ الْإِقَامَةِ عَلَى سُدُورِ الْوَاصِحِ إِلَيْهِ وَإِلَى خَلْقِهِ ، مِنْ حُسْنِ الثَّنَاءِ فِي الْعِبَادِ ، وَحَمِيلِ الْأَثَرِ فِي الْأَسْلَادِ ، وَتَعَامُلِ النِّعَمَةِ ، وَتَصْنِيفِ الْكَرَامَةِ ؛ وَأَنْ يَحْتَمِلَ لِي وَلَكَ بِالسَّعَادَةِ وَالشَّهَادَةِ ؛ يَا إِلَهِي اللَّهُ رَاعِمُونَ^(١) ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ[عَلَى^(٢)] آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ .

البَنْج :

رُوي : « كل رغبة » ، والرغبة ما يُرْعَب فيه ؛ فاما الرغبة فمصدر رغب في كذا ، كأنه قال : الفادر على إعطاء كل سؤال ، أي إعطاء كل سائل ما سأل .

(١) و د ه و أنا إليه داعبون . (٢) من د ه .

ومعنى قوله : « من الإقامة على العذر » ، أى أسأل الله أن يوفقنى للإقامة على الاحتهاد ، وبذل الوسع فى الطاعة ، وذلك [لأنه ^(١)] إذا بذل جهده فقد أعذر ، ثم قسّر احتجاده فى ذلك فى رصا الحق ، ولم يمتدّ احتجاده فى رصا الخالق ، لأنه معلوم ؛ فقال : هو حسنُ الشاء فى العباد ، وجميل الأثر فى البلاد .

فإن قلت : فقوله « وتنام التهمة » على ماذا تعطّله ؟

قلت : هو معطوف على « ما » من قوله « لما فيه » ، كأنه قال : أسأل الله توفيقى لذا ولتنام التهمة ، أى ولتنام بعمته على ، وتضاعف كرامته لى ، وتوفيقه لها هو توفيقه للأعمال الصالحة التى يستوجبها بها .

[فصل فى ذكر بعض وصايا العرب]

ويذكر أن يذكر فى هذا الموضع وصايا من كلام قوم من رؤساء العرب أو صوابها أولادهم ورهطهم ، فيها آدابُ حسن ، وكلام فصيح ، وهى مناسبة لعهد أمير المؤمنين عليه السلام هذا ، ووصايا المودعة فيه ، وإن كان كلام أمير المؤمنين عليه السلام أحل وأعلى من أن يُسامنه كلام ، لأنه قدس من نور الكلام الإلهى ، وقَرَعَ من دَوْحة المنطق النبوى .

روى ابن الكاظم قال : لما ^(٢) حصرت الوفاة أوس بن حارثة أحد الخزرج ، لم يكن له ولدٌ غير مالك بن الأوس ، وكان لأخيه الحرح حصة ، قيل له : كُنّا نأمرُك بأن تفرّج فى شبابك فلم تفعل حتى حصرك الموت ، ولا ولدَ لك إلا مالكُ ! فقال : لم يهلك هالكٌ تركَ مثل مالك ، وإن كان الحرحُ ذا عَدَد ، وليس لمالك ولد ، فلملّ الذى استخرج

الْعَذَقُ مِنَ الْجُرَيْمَةِ ^(١) ، وَالنَّارَ مِنَ الْوَيْثِمَةِ ^(٢) أَنْ يَحْمِلَ لِمَالِكٍ نَسْلاً ، وَرَحَلاً نَسْلاً ^(٣) ،
وَكُنَّا إِلَى الْمَوْتِ . يَا مَالِكُ ، الْمَيِّتَةُ وَلَا الدَّيِّتَةُ ، وَالْمَتَابُ قَبْلَ الْمَقَابِ ، وَالتَّعَجُّدُ لَا التَّسَدُّ ،
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْفَقْرَ حَيْرٌ مِنَ الْغَفْرِ ، وَمَنْ لَمْ يُعْطِ قَاعِدًا حُرْمَ قَائِمَاءَ ، وَشَرَّ الشَّرْبِ الْأَشْتَفَاءُ وَشَرُّ
الطَّعْمِ الْأَقْتَنَاءُ ^(٤) ، وَدَهَابُ النَّصْرِ ، حَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ النَّظَرِ ، وَمَنْ كَرَّمَ الْكَرِيمَ الدَّفْعَ
عَنِ الْحَرِيمِ ، وَمَنْ قَلَّ ذَلٌّ ، وَخَيْرُ الْعَيْتَى الْقِنْدَاعَةُ ، وَشَرُّ الْفَقْرِ الْخُصُوعُ . الدَّهْرُ مَرَفَانٌ :
صَرَفٌ رَحَاءٌ ، وَصَرَفٌ بَلَاءٌ ؛ وَالْيَوْمُ يَوْمَانٌ : يَوْمٌ لَكَ وَيَوْمٌ عَلَيْكَ ، فَإِذَا كَلَّ لَكَ فَلَا تَنْطَرِ ،
وَإِذَا كَلَّ عَلَيْكَ فَاصْطَرِ ، وَكَلَامُ سِبْنَحْبِيرَ ^(٥) وَكَيْفَ بِالسَّلَامَةِ ، لِمَنْ لَيْسَتْ لَهُ إِقَامَةٌ ،
وَحَيَّاكَ رَبَّكَ .



وَأَوْصَى ^(٦) الْخَارِثُ بْنُ كُتَيْبٍ بِيهِ فَقَالَ : يَا بَنِي ، قَدَّأْتُ عَلَى مِائَةِ وَسْتَوْرَ سَنَةً
مَا صَاحَبْتُ بِمِثْلِي يَمِينَ عَادِرٍ ، وَلَا فَتَمْتُ نَفْسِي بِخَلَّةٍ فَاحِرٍ ، وَلَا صَبَوْتُ بِأَسَةِ عَمٍّ
وَلَا كَيْتَةٍ ^(٧) ، وَلَا بَحْتُ لَصَدِيقٍ دَرَسٍ ، وَلَا طَرَحْتُ عَنْ مُوَيْتَةٍ قَاعًا ، وَلَا بَقِيَ عَلَى دِينِ
عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ . وَقَدْ رَوَى عَلَى دِينِ شُعَيْبٍ - مِنَ الْعَرَبِ عَيْرِي وَبِعَرِّ عِمِّ بْنِ مَرَّةٍ مِنْ أَسَدِ
ابْنِ حَزِيمَةَ ، فَمُتُوا عَلَى شَرِيعَتِي ، وَأُحْمَطُوا عَلَى ^(٨) [وَصِيَّتِي ، وَإِلَهُكُمْ فَاتَّقُوا ، بِكَيْفِكُمْ
مَا أَهَمَّكُمْ ، وَبِصَلَحِ لَكُمْ حَالِكُمْ ، وَإِيَّاكُمْ وَمَهْصِيَّتِهِ ، فَيَحِلَّ بِكُمْ الدَّمَارُ ، وَيُوجِشَ بِكُمْ
الدِّيَارُ . كُونُوا جَمِيعًا ، وَلَا تَفَرَّقُوا فَتَكُونُوا شَيْعًا ، وَتُرَوَّاقِبَلُ أَنْ تُتَزَوَّا ^(٩) ، فَمُتْ

(١) الجُرَيْمَةُ : الرَّوْمَةُ ، وَالْعَذَقُ : النَّحْلَةُ . (٢) الْوَيْثِمَةُ : الصَّخْرَةُ .

(٣) نَسْلٌ : جَمْعُ نَسْلٍ ؛ وَهُوَ التَّحْنُوعُ . (٤) الْأَقْتَنَاءُ : الْاِمْتِنَاعُ وَالْاِقْتِنَاعُ . الْأَحَدُ صَعْلَةٌ .

(٥) يَتْنِي بِكَتَيْفٍ .

(٦) الْوَصَايَا ١٢٣ ، وَبَعْدَهُ الْوَصِيَّةُ إِلَى مَالِكِ بْنِ سَدْرٍ الْحَلِيِّ قَال : « وَقَدْ كَانَ أَصَابَ دُمًا فِي قَوْمِهِ ؛

فَخَرَجَ هَارِبًا بِأَهْلِهِ حَتَّى أَتَى بِهِمْ بَنِي هَلَالٍ ، فَمَا احْتَصَرَ أَوْصَى بِهِ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَعْطُوا قَوْمَهُ النِّصْفَ مِنْ
حَدَثِهِ الَّذِي أَحْدَثَهُ فِيهِمْ .

(٧) الْكَيْتَةُ : امْرَأَةُ الْاَبِي أَوْ الْاُخ . (٨) تَكْمَلَةٌ مِنْ د . (٩) بَرَّةٌ : سَلَمَةٌ .

في عزّة ، حيرٌ من حياة في دُلّ وعجّر ، وكلّ ما هو كائن كائن ، وكلّ جمع إلى تباين ، والذهر
صَرَخان : صرّف بلاء ، وصرّف رخاء ، ونيوم بومان : يومٌ حرة ^(١) ، ويوم عبّرة ، والناس
رجلان : رجلٌ لك ، ورجلٌ عليك . رَوّحوا نساء الأكفاء ، وإلا فانتظروا بهنّ انقضاء ،
وليكنّ أطيب طيبين الماء ، وإياكم والورْهاء ، فإنّها أدوا الداء ، وإنّ ولدها إلى أفن ^(٢)
يكون . لا راحة لقاطع القراءة وإذا احتلف القوم أمكنوا عدوهم ، وآفة اسدّد اختلاف
الكلمة ، والتفعل بالحسنة يقي السيئة ، والمكافأة بالسيئة تحول فيها ، وعمل السوء يُزيلُ
التماء ، وقطيعة الرّحم تُورث الهم ، وانتهك الحرمة يُزيل النعمة ، وعقوق الوالدين
يُمقّب المكّد ، ويُجرب اللد ، ويحقّق العدد ، والإصراف في الصبيحة ، هو الصبيحة ،
والحقد منع الرّقد ، ولزوم الخطيئة يُدبّ أسية ، وسوء الدّعة ^(٣) يقطع أسباب النعمة ،
والصفائ تدعو إلى التباين ؛ يأتي أنّي قد أكلتُ مع أقوام وشربتُ ، فذهبوا وعرتُ ،
وكأني بهم قد لحقتُ ، ثم قال :

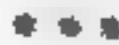
أكلتُ شاي ~~مَرَقَاتِي~~ ^{وَأَمْنِي} لمدّ دُهورٍ دُهوراً
ثلاثة أهدين صاحبهم هادوا وأصحتُ شيخاً كبيراً
قليل الطام عير الفيا يم قد ترك الدهرُ حظري قصيراً
أبيتُ أراعي نجوم السماء أقلبُ أمري نطوما طهوراً

وصّى أكنم بنُ صنيّ بنه ورهطه فقال : يأتي نيم ، لا يموتنكم وغطى ، إن
فانكم الدهر تنفسى ، إنّ بين حيروى وصندى لكلاماً لا أحد له موافق إلا ^(٤) أمتاعكم
ولا مقادراً إلا قلوبكم ، فتلقوه بأسماع مُضمية ، وقبّوب دواعية ، تحمدوا مَقْبَتَه : الهوى

(١) الحرة : السرور . (٢) الأفن : الفساد .

(٣) الوصايا : الرعة . (٤) في « غير » .

يَقْطَان ، والمقل رافد ، والشهوات مطقة ، ولحرم مقول ، والنفسُ مهملة ، والروية مقيّدة ،
ومن جهة التوائى وترك الروية يتبع الحُرْم ، ولن يَعدَم المُشاوَر مُرْشِدًا ، والمسببة براه
موقوف على مداحض الزَّلَل ، ومن سَمِعَ سَمِعَ ، ومصارعُ الرجال تحت بُروق الطمع ،
ولو اعتبرت مواقعُ الحسن ما وُحِدَتْ إِلَّا فى مَقَاتِل الكرام ، وعلى الاعتبار طريق الرُّشاد ،
ومن سلك الخَدَد ^(١) أَمِن العار ، ولن يَعدَم الخوَدُ أن يُتَمَّ قلبه ، وتُشمل فكره ،
ويُورث غيظه ، ولا تَحاوِز مصرته قسه . يا بنى تميم ، الصبرُ على حرج الخلم أَعَدَّ من
حنائير الندامة ، ومن حَلَّ حِرْصه دون ماله استهدفَ للدم ، وكَلِمَ اللسان أسكى من كَلِمِ
اللسان ، والكلمة صرهوة ما لم تَنتَهِ من الصم ؛ فإذا نَحِمْتَ مزجت ، ففى أسدٍ عَرَب ،
أو نار تَلَهَّب ، ورأى الناصح اللب دليل لا يحور ، وبعدُ الرأى فى الحرب ، أحدى من
العلمن والصرب .



وأوصى يزيد بن المهلب ابنه نَحْدًا حين استخفاه على حُرْحُلان ، فقال له : يا بنى ،
قد استحلقتك على هذه البلاد ، وانظر هذا الحى من اليمن فكأن لهم كما قال الشاعر :
إذا كنتَ مرئادَ الرَّحَالِ لِنَفْعِهِمْ فَرِشْ واصطِمْع عندَ الدين بهم تَرْمِ
وانظر هذا الحى من ربيعة فإنهم شيعتك وأنصارك ، فافص حقوقهم ، وانظر هذا الحى
من تميم فأمطروهم ^(٢) ولا تُرِّه لهم ، ولا تُدِينهم فيطمعوا ، ولا تُقْصِمهم فيقطعوا ، وانظر هذا
الحى من قيس فإنهم أكرم قومك و أدهية ، وما يصومهم المآثر فى الإسلام ، ورصام
ملك النُشَر . يا بنى ، إن لأبيك صنائع فلا تُسِيدها ، فإنه كفى بالمرء نقصا أن يهديم
ما بنى أبوه ، وإياك والدماء فإنه لا تَقِيَّةَ معها ، وإياك وشتم الأعراض فإن الحرَّ

(١) اجدد : الأمر الستوية . (٢) د « فاصطرم » .

لا يرضيه عن عرضه عوض، وإياك وضرب الأشرار فإنه عارٌ باقٍ، ووثر مطلوب، واستعمل على التجدة والفصل دون الهوى، ولا تمزَلْ إلا عن عَجْز أو خيانة. ولا يمتنع من اصطاع الرجل أن يكون غيرك قد سبقك إليه، فإنك إنما تصطع الرجال لفضلها. وليكن صبيحتك عند مَنْ يكافئك عنه العشار. أهل الناس على أحسن أدبك يكفوك أنفسهم. وإذا كتبت كتاباً فأكثر الطر فيه، وليكن رسوئك فيما بيني وبينك مَنْ يفقه عني وعنك؛ فإن كتاب الرجل موضع عقبه، ورسوله موضع سره. وأستودعك الله، فلا بدّ للودع أن يكت، وللمشيّع أن يرُحع. وما عف من المطلق وقل من الخطيئة أحبُّ إلى أهلك.



وأوصى قيس بن عاصم الميقرى بنيه، فقال: يا بني، حذروا عني فلا أحد أضح لكم مني. إذا دفتنوني فانصرفوا إلى دحالك، فسودوا أكرامكم، فإن القوم إذا سودوا أكرامهم حلفوا أباهم، وإذا سودوا أصغرهم أدرى ذلك بهم في أكرامهم. وإياكم ومعصية الله وقطيعة الرحم، وتمسكوا بطاعة أمرائكم فإنهم من رفضوا ارتفع، ومن وصعوا اتّسع. وعليكم بهذا المال فأصلحوه، فإنه منتهى للكريم، وحنة ليرُص اللئيم. وإياكم والمسالمة فإنها آحر كسب الرجل، وإن أحداً لم يسأل إلا ترك الكسب، وإياكم والسياسة، فإن سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يعني عنها، وادفوني في ثيابي نتي كنت أصلي فيها وأصوم، ولا يعلم بكربي وأثل يندفن في قنكات يبي وبهم مشاحات في الماهلية والإسلام، وأحاف أن يدخلوا عليكم في عارا. وحذروا عني ثلاث خصال: إياكم وكل عيرق لئيم أن تلبسوه فإنه إن سرّدكم اليوم يسؤكم غداً، واكظموا الفيط، واحذروا بني أعداء آمائكم فإنهم على منهاج آبائهم، ثم قال:

أحيا الضفائن آباء لنا سلموا فنن تبيد وللاباء أبناء

قال ابن السكيت : فيحكى الناس هذا البيت سابقا للريز ، وما هو إلا ليس

ابن عاصم .

وأوصى عمرو بن كلثوم انتعلبي^(١) [بنيه]^(٢) قال : يا بني ؛ إني قد بلغت من العمر ما لم يبلغ أحد من آبائي وأحدادي ، ولانته من أمر مقتيل ، وأن يزل بي ما نزل بالآباء والأحداد والأمهات والأولاد ، فاحفظوا عني ما أوصيكم به . إني والله ما عيرت رجلا قط أصرا إلا عيرني مثله ؛ إن حقا حق ، وإن باطلا باطل ، ومن سب سب ، فكفوا عن الشتم فإنه أسلم لأغراسكم . وصلوا أرحامكم ثمعروا^(٣) دماءكم^(٤) ، واكرموا حرامكم بحسن ثنائكم ، وزوجوا سائر الهمم ببي الهم فإن نسيتم^(٥) بيني إلى الغراء فلا تالوا بيني [عن]^(٦) إلا كماء . وأعدوا بيوت النساء من بيوت الرجال ، فإن أعصت للبصر ، وأعفت للذكر ؛ ومتى كانت المماينة واللقاء ، ففى ذلك داء من الأدواء ، ولا خير فيمن لا يمار أميره كما يمار نفسه ، وقيل من انتهك حرمة لعيره . لا تهتك حرمة . وامنعوا القريب من ظلم القريب ، فإنك تدل على قريبك ، ولا يجمل بك دل قريبك ، وإذا تارعت في الدماء فلا يكن حاكم الكفاء ، فرب رجل خير من ألف ، وود خير من حلف ، وإذا حدثتم فقوا ، وإذا حدثتم فأوحزوا ، فإن مع الإكثار يكون الإهدار ، وموت عاجل خير من ضي آجل ، وما نكيت من رمل إلا دهاني بمده رمل ، ورعا شجاني^(٧) من لم يكن امرؤ

(١) ب : « الطلي » تحريف . (٢) نكته من د .

(٣) من د .

(٤) ن د « دياركم » .

(٥) شعاني : أحزني .

عَنَانِي ، وَمَا عَجِبْتُ مِنْ أَخْذُوثةٍ إِلَّا رَأَيْتُ بَعْدَهَا انْحَوِيَّةً . وَأَعْمُوا أَنْ أَشْجَعَ الْقَوْمَ الْعَطُوفَ ،
وَأَخِيرُ الْمَوْتِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ ، وَلَا حَبْرَ فِيمَنْ لَا رُويَّةَ لَهُ عِنْدَ الْقَصَبِ ، وَلَا فِيمَنْ إِذَا
مُتَّوْبٌ لَمْ يُعْتَبَ ، وَمَنْ النَّاسُ مِنْ لَا يَرْجَى حَبْرَهُ ، وَلَا يَحَافِ شَرَّهُ ، فَيَكُونُ^(١) حَبْرًا مِنْ
دَرَّةٍ ، وَعَقُوبُهُ خَيْرٌ مِنْ رَدِّهِ ، وَلَا تُرْجَوُا فِي حَكْمِ قَلْبٍ مِنْ أَرْحَافٍ فِي حَبْرٍ آلَ ذَلِكَ إِلَى قَبِيحِ
يَنْفُسَ ، وَكَمْ قَدْ رَأَى إِسَاءَ وَرُدَّتْهُ ، فَأَقْبَلَ بِدَهْرَتِهَا ضَرَّتْهُ . وَأَعْلَمُوا أَنَّ الْحَلِيمَ سَلِيمَ ،
وَأَنَّ السَّمِيحَ كَلِيمَ ، إِنِّي لَمْ أَمُتْ وَلَكِنْ هَرِمْتُ ، وَدَخَلْتُ دِلَّةً فَسَكْتُ ، وَضَعْتُ قَلْبِي
فَأَهْتَرْتُ^(٢) ، سَلِّمُكُمْ رَبِّكُمْ وَحَيَاتِكُمْ !

وَمِنْ كِتَابِ أَرْدَشِيرَ بْنِ بَاكْسَثَ إِلَى بَنِيهِ وَأَبْنَوْكَ مِنْ بَعْدِهِ : رَشَادُ الْوَالِي حَبْرٌ لِلرَّعِيَّةِ مِنْ
حَضَبِ الزَّمَانِ ، الْمَلِكُ وَالِدَيْنِ تَوْهَانِ لَا قَرَامَ لِأَحَدِهِمَا وَلَا نَصَاحَةَ ، فَالِدَيْنِ أَسْرُ الْمُلْكِ
وَعِمَادُهُ ، ثُمَّ صَارَ الْمَلِكُ حَارِسَ الدِّينِ ، فَلَا يَدْرِي لِمُلْكِهِ مِنْ أَسْتِهِ ، وَلَا يَدْرِي لِلدِّينِ مِنْ حَارِسِهِ ، فَأَمَّا
مَالَا حَارِسَ لَهُ فَمَنَاعَ ، وَمَالَا أَسْرَ لَهُ فَهَدُومَ ، بَنَ رَأْسَ مَا أَحَافَ عَلَيْكُمْ مَادَرَهُ السَّمَةُ
إِنَّمَا كُمْ إِلَى دِرَاسَةِ الدِّينِ وَتَأْوِيلِهِ وَاتِّفَاقِهِ فِيهِ ، فَتَحْمِلُكُمْ الثِّقَةَ بِقُوَّةِ الْمَلِكِ عَلَى النَّهَائِمْ بِهِمْ ،
فَتُحَدِّثُ فِي الدِّينِ رِيَاسَاتٌ مُنْتَشِرَاتٌ سِرًّا فِيمَنْ قَدْ وَرَثَ وَخَصَّوْتُمْ ، وَحَرَمَتُمْ وَأَخْفَتُمْ ،
وَصَرَّيْتُمْ مِنْ سِيَّئَةِ النَّاسِ وَالرَّعِيَّةِ وَخَشَوِ الْعَامَّةِ ، ثُمَّ لَا تَنْشَبُ بِلَاكِ الرِّيَاسَاتِ أَنْ تَحْدِثَ
حُرْفًا فِي الْمُلْكِ وَوَهْشًا فِي الدَّوْلَةِ . وَأَعْمُوا أَنْ سَدَّكُمْ إِنَّمَا هُوَ عَلَى أَحْسَادِ الرَّعِيَّةِ لَا عَلَى
قُلُوبِهَا ، وَإِنْ عَلَبْتُمْ النَّاسَ عَلَى مَوَاقِفِهِمْ فَسَ تَصْغُرُ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ وَأَرْثَهُمْ وَمَكَائِدِهِمْ .
وَأَعْلَمُوا أَنَّ الْعَاقِلَ الْمَحْرُومَ سَاءَ عَيْبِكُمْ لِسَاءِهِ ، وَهُوَ أَطْعَمُ سَيِّئِهِ ، وَإِنْ أَشَدَّ مَا يَصْرُكُمْ مِنْ
لِسَاءِهِ مَا صَرَفَ الْحِيلَةَ فِيهِ إِلَى الدِّينِ ، فَكَأَنَّ الدُّنْيَا بِحَتِّجِ^(٣) ، وَلِلدِّينِ فِيهَا يَظْهَرُ يَتَعَصَّبُ ، فَيَكُونُ

(١) نَكَاتُ النَّاقَةِ نَكْوَاءً : قَلَّ لِسَاءُهَا .

(٢) اَهْتَرْتُ : دَعَا بِلِلِّ الْعَقْلِ . (٣) ١ : « يَجْمَعُ »

للذين نكاؤه ، وإليه دعاؤه ، ثم هو أوحد للتابعين والمصدقين والمناصبين والمؤازرين ، لأن مصب^(١) الناس موكل بالملك ، ورجحته ومحتتهم موكله بالصعفاء العلويين ، فاحذروا هذا المعنى كل الحذر .

واعلموا أنه ليس ينبغي لذلك أن يعرف للعناد والتناك أن يكونوا أوّلئ بالدين معه ، ولا أخذت عليه ولا أعصت له . [ولا يسمى له]^(٢) أن يحیی التناك والعناد من الأمر والنهي في نكسهم ودينهم ، هي حروح انتك وعيرهم من الأمر وتسهي عيب على الملك وعلى المملكة ، وتلذمة بتنة الضرر على الملك وعلى من بعده .

واعلموا أنه قد مضى فاما من أسلافنا ملوك كل الملك منهم يتعمد الحماية بالتفتيش والجماعة بالتصصيل ، والفراع بالإشغال ، كتمته حنّده بعض فصول اشعر وانظر وعمل الدّور والنمر^(٣) ومدواوه ما مهر من الأدواء وما نطى ، وقد كان من أولئك الملوك من صحة منك أحب إليه من صحة جسده ، فتبيت تلك لأملك بذلك كانتهم ملك واحد ، وكان أدواحهم روح واحدة ، يمكن أولهم لأحرم ، ويصدق أحرم أولهم ، يجمع أساء اسلامهم ، ومواريت آرائهم ، وثمرات عقولهم عبد اباقي منهم بدمهم ، وكأّنهم حلوس منه يحدّثونه ويشاورونه ، حتى كأن على رأس دارا بن دارا ما كان من علة الإسكندر الزومي على ما على عليه من منك . وكان بساده أمرنا ، ونمرقته جماعتنا ، وتحريره عمران مملكتنا أبلغ له فيما أراد من سنك دماثا ، قلّ أن الله عز وجل في جمع مملكتنا ، وإعاده أمرنا ، كل من بعثه إيانا ما كان . ولا اعتبار يتقى الشار ، والتحارب الدضية دستور يرجع إليه من الحوادث الآتية .

واعلموا أن طباع الملك على غير طباع الرعية والسوقة : فإن الملك يطيف به المز ، والأمن والسرور والقُدرة على ما يريد ، والأنة والجرأة والعبث والبطر ، وكلما ارداد

(١) في د « يسمى » . (٢) تمككة من د . (٣) ب : « والنمس » .

في العمر تنفساً ، وفي الملك سلامة أرداد من هذه الطبايع والأحلاق حتى يُسلمه ذلك إلى سُكر السلطان الذي هو أشد من سكر الشراب ، فيسي الفسكات والمفترات ، والمير والدوائر وفحش تسلط الأيام ، ونوم غلبة الدهر ، فيرسل يده بالفعل ولسانه بالقول . وعند حسن الظن بالأيام تحدثُ الفير ، ونزول السقم ؛ وقد كان من أسلافنا وقدماء ملوكنا مَنْ بدَّكره عره الدل ، وأمسه الخوف ، وسروره السكابة ، وقدرته المنجرة ، وذلك هو الرّحل الكامل قد جمع بهجة الملوك ، وفكرة الشوكة ، ولا كمال إلا في حمها .

واعلموا أنكم ستلوثون على الملك بالأرواح والأولاد والقرماء والورراء والأحذان ، والأنصار والأعوان والمتقربين والندماء والمُضحكين ، وكل هؤلاء — إلا قليلاً — أن يأخذ نفسه أحب إليه من أن يعطى منها عمله ، وإما عمله سوق ليومه ، ودجيرة لعمه ، فنصيحته لملوكه فضل نصيحته لنفسه وعاية الصلاح عنده صلاح نفسه ، وعاية الفساد عنده فسادها ؛ يضم للسلطان سوق المودة ما أقام له سوق الأرباح والمبايع ، إذا استوحش الملك من ثقاته أطلقت عليه ظلم المهامة . أخوف ما يكون العاقبة [آمن ما يكون الورراء ، وآمن ما يكون العامة ^(١)] أخوف ما يكون الورراء .

واعلموا أن كثيراً من وراء الملوك من يُحاور أُنسقاء دولته وأيامه بإيقاع الاضطراب ، والخط في أطراف مملكة الملك ، ليحتاج الملك إلى رأيه وتديره ، فإذا عرفتم هذا من ورير من وررائكم فأعلموه فإنه يُدخِل الوهم واسقص على الملك والرعية لصلاح حال نفسه ، ولا تقوم نفسه بهذه النفوس كلها .

واعلموا أن بدء دهاب الدولة يشأ من رفق إهمال الرعية نذر أشغال معروفة ولا أعمال معلومة ، فإذا نشأ الفراغ تولت نفسه التطرف في الأمور ، والفكر في الفروع والأصول . فإذا تطروا في ذلك تطروا فيه بطبايع محتمة ، فتختلف بهم المذاهب ، ويتولد من اختلاف مذاهبهم تعاديبهم وتضاعفهم ، وهم مع اختلافهم هذا متجمعون ومجتمعون على بعض الملوك ، فكل صنف منهم إنما يجري إلى فحيفة الملك بملكه ، ولكنهم لا يجنون سلباً إلى

(١) تكملة من دوما يستقيم الكلام .

ذلك أوثق من الدين والناموس ، ثم يتولد من تعاديبهم أن الملك لا يستطيع جمعهم على هوى واحد ، فإن اتفرد باختصاص بعضهم صار عدو بقيةهم ، ولى طباع العسامة أمتثال الولاة وملاهم ، والتعاسة ^(١) عليهم ، وألحد لهم ، وى الرعية المحروم والمصروب والمقام عليه الحدود ، ويتولد من كرتهم مع عداوتهم أن يحث الملك عن الإقدام عليهم ، فإن فى إقدام الملك على الرعية كلها كافة تعرياً عذبه . ويتولد من حث الملك عن الرعية استمخالهم عليه ، وهم أقوى عدو له وأحلفه بأنظر ، لأنه حصر مع الملك فى دار ملكه ، فمن أخصى إليه الملك بعدى فلا يكونن بإصلاح حده أشد اهتداه بهبه الحال ، ولا تكونن لشيء من الأشياء أكره وأكبر لأمير صار دناء ، ودبى صار رأسا ، ويد مشغولة صارت فارغة ، أو عى صار فقيرا ، أو عامل مصروب ، أو أمير متزول .

واعلموا أن سياسة الملك وحراسه ألا يكون أبى السكان إلا كابيا ، وابى الحدى إلا حدبا ، وابى الناحر إلا ناحرا ، وهكذا فى جميع المطعاب ، فإنه يتولد من سفل الناس عن حالهم أن يلتبس كل امرئ منهم فوق مرسته ، فإذا انتقل أو شك أن يرى شيئا أرفع مما انتقل إليه ، فيحسد أو يخاص ، وى ذلك من الضرر المتولد ما لا حياء به ، فإن عجز ملك منكم عن إصلاح رعيته كما أوصله فلا يكون للمبيص القمل أسرع حلما منه لئلا لاس من قيص ذلك الملك .

واعلموا أنه ليس ملك إلا وهو كثير الدكر لى بلى الأمر بعده ، ومن فساد أمر الملك شر دكره ولالة اليهود ، فإن فى ذلك ضرورا من الضرر ، وأن ذلك دحول عداوة بين الملك وولى عهده ، لأنه تطمح عيه إلى الملك ، ويصير له أحباب وأعدان يفتونه ذلك ، ويستبطلون موت الملك . ثم إن الملك يستوحش منه ، وتساق الأمور إلى هلاك أحدها ، ولكن لينظر الوالى مسك الله تعالى ثم لنفسه ثم للرعية ، وليتجنب ولما للعهد من بعده

(١) التعاسة : كراهة الخير لهم .

ولا يُعلمه ذلك ، ولا أحد من الخلق قريباً كان منه أو بعيداً ، ثم يكتب اسمه في أربع صحائف ، ويحتملها بحاتم ، ويضعها عند أربعة سر من أعيان أهل المملكة ، ثم لا يكون منه في سره وعلايته أمرٌ يستدل به على وى عهده من هؤلاء في إيداء وتقريب يعرف به ، ولا في إقصاء وإعراض يُستراب له . ويتقودث في اللحظة والكلمة ، فإذا هلك الملك ضحمت تلك الصحائف إلى السحرة التي تكون في حراسة نيك ، فتصن حيماء ثم يوت حينئذ بأسم ذلك الرجل ، فيلقى الملك إذا ليه بخدانة عهده بحال السوقة ، ويلسه إذا لسه بصير السوقة ومنمها ، فإن في معرفته محاله قبل إقصاء الملك به سُكراً تُحدثه عنده ولاية العهد ، ثم يلقاه الملك فيريده سُكراً إلى سكره ، فيمنى ويصم ، هدامع ما لا بد أن يلقاه أيام ولاية العهد من حيل العتاة ، ونى الكدابين ، وترقية الساميين ، وإيثار صديده ، وإفساد قومه على كثير من رعيته ، وحواص دولته ، وليس ذلك بمحمود ولا صالح .

واعلموا أنه ليس للملك أن يحلف ، لأنه لا يقدر أحدٌ أسترأهه ، وليس له أن يعض لأنه قادر ، والمصب لفاح الشر وسدامة ، وليس له أن يعض ويضع ، لأن اللب والمنت من عمل الفراع ، وليس له أن يمرع لأن الفراغ من أمر السوقة ، وليس للملك أن يحسد أحداً إلا على حُسن التدبير ، وليس له أن يحاف لأنه لا يد فوق يديه .

وأعلموا أنكم لن تقدرُوا على أن تحتموا أهواء الناس من الطعن والإرءاء عليكم ، ولا قدرة لكم على أن تحملوا انقياع من أفعالكم حساً ؛ فاحتمدوا في أن تحس أفعالكم كلها ، وألا تحملوا للمامة إلى الطعن عليكم سبيلاً .

وأعلموا أن لباس الملك ومطعمه ومشربه مقاربٌ للباس السوقة ومطعمهم ، وليس

ففضل الملك على الشوق إلا بقدرته على اقتناء المهاد وأستفاد الكارم ، فإن الملك إذا شاء أحسن ، وليس كذلك الشوق .

واعلموا أن لكل ملك بطانة ، ولكل رجل من بطانته بطانة ، ثم إن لكل أمرى من بطانة البطانة بطانة ، حتى يجتمع من ذلك أصل المملكة ، فإذا أقام الملك بطانته على حال الصواب فيهم ، أقام كل أمرى منهم بطانته على مثل ذلك حتى يجتمع على الصلاح عامة الرعية .

احذروا نانا واحدا طالما أميته فصراني ، وحذرته فقمعي . احذروا إفشاء السر بحضرة الصغار من أهليكم وخدعكم ، فإنه ليس يصغر واحد منهم عن تحمل ذلك السر كاملا ؛ لا يترك منه شيئا حتى يصغه حيث نكروهن إما مقطعا أو عشا .

واعلموا أن في الرعية سيفا أنوا الملك من قبل الصائح له ، والتمسوا إصلاح مآثرهم بإفساد مآثر الناس ، فأولئك أعداء الناس وأعداء للوليك ، ومن عادى المليك والناس كلهم فقد عادى نفسه .

واعلموا أن الدهر حاملكم على طبقات ؛ فمنها حال السخاء حتى يدنو أحدكم من السرف ، ومنها حال التدبير حتى يدنو من اسخا ، ومنها حال الأمانة حتى يدنو من البخل ، ومنها حال أتمهار الفرصة حتى يدنو من الخسة ، ومنها حال الطلاقة في اللسان حتى يدنو من الهدر ، ومنها حال الأحد بحكمة ^(١) الصمت حتى يدنو من العي ، فالملك منكم حذير أن يسلم من كل طبقة في محاسنها حذرها ، فإذا وقع عليه الخم نفسه عما وراءها .

واعلموا أن ابن الملك وأخاه وأبن عمه يقول : كدت أن أكون مليكا ، وبالحرى ألا أموت حتى أكون مليكا ، فإذا قال ذلك قال ما لا يسر الملك ، وإن كتبه فالداء

(١) الحكمة في الأمل : العظام ؛ والسلام على الاستشارة .

في كل مكتوم ، وإذا تفتى ذلك حمل امسأد سُلماً إلى الصلاح ، ولم يكن الفساد سُلماً إلى صلاح قط . وقد رمتُ لكم في ذلك مثلاً ، اعملوا الملك لا يبغي ، إلا لأبناء الملوك من بنات عمومهم ، ولا يصلح من أولاد بيت العم إلا كامل غير سخييف العقل ، ولا طربُ الرأي ، ولا ناقص الخوارج ، ولا مطعون عليه في الدين ، فإنكم إذا فعلتم ذلك قلّ طلاب الملك ، وإذا قلّ طلائه استراح كل امرئ إلى ما يديه ، وصرع إلى حد يبيه ، وعرف حاله ، ورضى معيشته ، واستطاب زمانه .

فقد ذكرنا وصايا قوم من العرب ، ووصايا أكثر ملوك انطرس وأعظمهم حكمة لتوصم إلى وصايا أمير المؤمنين فيحصل منها وصايا الذين والديا ، فإن وصايا أمير المؤمنين عليه السلام ، الذين عليها أعذب ، ووصايا هؤلاء الذين عليها أعلب ، فإذا أخذ من أخذ التوفيق بيده عجموع ذلك فقد سمد ، ولا سبيد إلا من أسعده الله .

(٥٤)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى طلبة والزبير مع عمران بن الحصين الخزاعي،
وذكر هذا الكتاب أبو جعفر الإسكافي في كتاب المقامات :

أَمَّا نَدُّ ، فَقَدْ عَلِمْتُمَا - وَإِنْ كُنْتُمَا - أَتَى لَمْ أُرِدِ النَّاسَ حَتَّى أَرَادُونِي ، وَلَمْ
أَبَايَهُمْ حَتَّى يَبْعُونِي ؛ وَإِسْكُمَا مِنْ أَرَادَنِي وَبَيْعِي ، وَإِنَّ الْعَامَّةَ لَمْ تُكَافِيَنِي لِسُلْطَانٍ
عَالٍ ، وَلَا لِحَرْصٍ حَاصِرٍ ، فَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَا فِي طَائِفَتَيْنِ فَارْحِمَا وَنُومَا إِلَى اللَّهِ
مِنْ قَرِيبٍ ، وَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَا فِي كَارِهَتَيْنِ فَقَدْ جَعَلْتُمَا لِي عَلَيْكُمَا سَبِيلَ يَظْهَرُكُمَا
الْعَامَّةُ وَإِسْرَارُكُمَا الْمَعْصِيَةُ . وَلَمْ يَرَى مَا كُنْتُمَا بِأَخْبَرُ الْمَاهِرِينَ بِالتَّقِيَّةِ
وَالْكِتْمَانِ .

وَإِنْ دَفَعْتُكُمَا هَذَا الْأَمْرَ فَقُلْ أَنْ تَدْخُلَا بِهِ كَأَنْ أَوْسَعَ عَلَيْكُمَا مِنْ حُرُوجِكُمَا
مِنْهُ بَعْدَ إِقْرَارِكُمَا بِهِ .

وَقَدْ زَعَمْتُمَا أَنِّي قَتَلْتُ قُتَمَانَ ، فَبَيِّنِي وَبَيِّنْكُمْ مَنْ تَحَلَّفَ عَنِّي وَعَنْكُمْ مِنْ
أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ يَدْرُمُ كُلُّ امْرِئٍ بِقَدْرِ مَا احْتَمَلَ .

فَارْحِمَا أَيُّهَا الشَّيْخَانِ عَنْ دَأْبِكُمَا ؛ فَإِنَّ الْآنَ أَعْظَمُ أَمْرِكُمَا الْعَارُ ، مِنْ قَوْلِ
أَنْ يَجْتَمِعَ الْعَرُ وَالنَّارُ . وَالسَّلَامُ .

الشُّرُحُ :

[عمران بن الحصين]

هو عمران بن الحصين بن عبيد بن حنن بن عبد بن شهيم بن سالم بن عاصرة بن سكلول ابن حنثية بن سكلول بن كعب بن عمرو الجراحي ، يكنى أبا يحيى ، له ابنه يحيى بن عمران . أسلم هو وأبو هريرة عام حبيب ، وكان من فضلاء الصحابة وفقهائهم ، يقول أهل البصرة عنه : إنه كان يرى الحظوة ، وكانت تكلمه حتى اكتوى .

وقال محمد بن سيرين : أفضل من نزل البصرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله عمران بن الحصين وأبو نكرة . واستنصاه عبد الله بن عامر بن كُرَر على البصرة ففعل له أياماً ، ثم استنصاه فأعلمه ، ومات بالبصرة سنة اثنتين وخمسين في أيام معاوية .

[أبو جعفر الإسكافي]

وأما أبو جعفر الإسكافي فهو شيخنا محمد بن عبد الله الإسكافي - عده قاضي القضاة في الطبقة السابعة من طبقات المعتزلة مع عدد بن سليمان الصيمري ، ومع زرقات ، ومع عيسى بن المهيم الصوفي ، وجعل أول طبقة كخامة بن أشرس أبا معن ، ثم أبا عثمان الخاط ، ثم أبا موسى عيسى بن صريح الردار ، ثم أبا عمران يونس بن عمران ثم محمد بن شبيب ، ثم محمد بن إسماعيل بن العسكري ، ثم عبد الكريم بن روح العسكري ، ثم أبا يعقوب يوسف بن عبد الله الشحام ، ثم أبا الحسين الصالح ،

ثم الجعفران : جعفر بن جرير وجعفر بن ميثر ، ثم أبا عمران بن النقاش ، ثم أبا سعيد أحمد ابن سعيد الأسدي ، ثم عناد بن سليمان ، ثم أبا جعفر الإسكافي هذا . وقال : كان أبو جعفر فاضلا عالما ، وصفت سبعين كتابا في علم الكلام .

وهو الذي نقص كتاب « العنانية » على أبي عثمان الخاطي حياته ، ودخل الخاطي الوراقين بغداد ، فقال : من هذا العلام السوادى الذى بلغنى أنه تعرض لنقص كتابي ! وأبو جعفر جالس ! فأخفى منه حتى لم يره .

وكان أبو جعفر يقول بالتميز على قاعدة معتبرة ببغداد ، ويبالع في ذلك ، وكان علوى الراى ، محققا منصفا ، قليل المصنعة .



ثم نعود إلى شرح الفاظ الفصل وللمصنف :

قوله عليه السلام : « لم أؤد الناس » ، أى لم أؤد الولاية عليهم حتى أرادوا هم متى ذلك .

قال : « ولم أباينهم حتى بايعوني » ، أى لم أمدد يدي إليهم مدّ الطلب والحرص على الأمر ، ولم أمددها إلا بعد أن خاطبوني بالإمرة والخلافة ، وقالوا بالسنهم : قد بايعاك ، فحينئذ مددت يدي إليهم .

قال : ولم يبايعنى العامة والمسلمون لسنطاي عصيتهم وفهرهم على ذلك ، ولا لحرص حاضر ، أى مال موجود فرقة عليهم .

ثم قسم عليهما الكلام ، فقال : إن كنتم بايعتماني طوعا عن رضا فقد وحب عليكما الرجوع ، لأنه لا وجه لانتفاض تلك البيعة ، وإن كنتم بايعتماني مكرهين عليها فالإكراه

له صورة ، وهى أن يحرّد السيف ويعدّ العنق ، ولم يكن قد وقع ذلك ، ولا يمكنكما أن تدعياه ، وإن كنتم بايعتماني لا عن رضا ولا مكرهين بل كراهين ، وبين المكر والكاره فرق بين ، فالأمور الشرعية إنما تُبنى على الناصر ، وقد حملتما على أنفسكما السبيل بإظهاركما الطاعة ، والدخول فيما دخل فيه أساس ، ولا اعتبار بما أسردتما من كراهية ذلك . على أنه لو كان عدى ما يكرهه المسلمون لكان المهاجرون في كراهية ذلك سواء ؛ لما الذى جعلكما أحقّ المهاجرين كلهم بالكتمان والتقية .

ثم قال : وقد كان امتناعكما عن البيعة في مبدأ الأمر أحمل من دخولكما فيها ثم مكثها .

قال : وقد رعنما أن الشبهة التى دخلت عليكما فى أمرى أنى قتلت عثمان ، وقد حملت الحكم بينى وبينكما من تحمف عني وعنكما من أهل المدينة ، أى الجماعة التى لم تنصر عليا ولا طلحة ، كمحمد بن مسلمة ، وأسامة بن زيد ، وعبد الله بن عمر ، وغيرهم ، معنى أنهم غير متهمين عليه ولا على طلحة والزبير ، فإذا حكموا لزم كل أمرى ما بقدر ما تقتضيه الشهادات . ولا شبهة أنهم لو حكموا وشهروا بصورة الحال لحكموا براءة على عليه السلام من دم عثمان ، وأن طلحة كان هو الجئة وتفصيل فى أمره وحصره وقتله ، وكان الزبير مساعداً له على ذلك ، وإن لم يكن مكاشفاً مكاشفة طلحة .

ثم نهاهما عن الإصرار على الخطيئة ، وقال لهما : يكما إنما تحافظان العار فى رجوعكما وانصرافكما عن الحرب ، فإن لم ترجعا اجتمع عليكما العار والعار ؛ أما العار فلا أسكما تهرمان ونفران عند اللقاء فتعيران بذلك ، وأبصار سيكشف للناس أسكما كنتم على باطل فتعيران بذلك ، وأما العار فإليها مصيرُ المصائب إذا ماتوا على غير توبة واحتمال العار ، وحده أهون من احتماله واحتمال النار معه .

(٥٥)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية :

أَمَّا بَعْدُ فَبِإِذْنِ اللَّهِ سَخَّاهُ حَمَلَ الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا ، وَانْتَلَى فِيهَا أَهْلَهَا ، لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ، وَلَسَا لِلدُّنْيَا حُلُقًا ، وَلَا يَأْسَى فِيهَا أَمْرًا ، وَإِنَّمَا وَضَعْنَا فِيهَا لِيُبْتَلَى بِهَا ، وَهَذَا انْتِلَاقِي اللَّهِ بِكَ وَانْتِلَاكِ بِي ، فَجَعَلَ أَحَدَهُ حُجَّةً عَلَى الْآخَرِ ، وَمَدَّوَتْ عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا تَأْوِيلُ الْقُرْآنِ ، وَطَسَنِي بِمَا لَمْ تَجْنِ يَدِي وَلَا يَكُنِي ، وَعَصْنَتُهُ أَنتَ وَأَهْلُ الشَّامِ بِي ، وَالْبَ عَائِمُكُمْ حَاهِلُكُمْ ، وَقَدِيمُكُمْ قَاعِدُكُمْ .

فَاتَّقِ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ ، وَدَرِّعِ الشَّيْطَانَ فِيهِدَكَ ، وَاصْرِفْ إِلَى الْآخِرَةِ وَحَمَكَ ، فَهِيَ طَرِيقُنَا وَطَرِيقُكَ ، وَاحْذَرْ أَنْ يُصِيبَكَ اللَّهُ مِنْهُ بِسَاحِلِ مَارِعَةٍ تَمَسُّ الْأَصْلَ ، وَتَقْطَعُ الدَّائِرَ ، فَإِنِّي أُولَى لَكَ بِإِقْفِ أَلِيَّةٍ غَيْرَ مَاجِرَةٍ ، إِنِّي حَمَمَتْنِي وَإِيَّاكَ حَوَامِصُ الْأَقْدَارِ لَا أَرَاكَ بِإِحْتِكَ ، ﴿ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ .

البرزخ :

قال عليه السلام : « بِنِ اللَّهِ قَدْ حَمَلَ الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا » ، أَيِ حَمَلَهَا طَرِيقًا إِلَى الْآخِرَةِ .
ومن الكلمات الحكيمة : الدنيا فطرة فَعَرَوْهَا وَلَا سَمَرُهَا . وانتلى فيها أهلها
أَيِ اخْتَبَرَهُمْ لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ، وهذا من أَلْفاظِ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ ، وَالرَّادِ لِيَعْلَمَ خَلْفَهُ ،

أو ليعلم ملائكته ورُسُلُه ، فحذف المصاف ، وقد سبق ذكر شيء يناسب ذلك فيما تقدم ، قال : « ولسنا للدنيا خُلِقْنَا » ، أي لم نخلق للدنيا فقط .

قال : « ولا بالسعي فيها أمرنا » ، أي لم نؤمر بالسعي فيها لها ، بل أمرنا بالسعي فيها لغيرها .

ثم ذكر أن كل واحد من معاوية مُبتلى بصاحبه ، وذلك كابتلاء آدم بإبليس وإبليس بآدم .

قال : « فندوت على طلب الدنيا تناويل القرآن » ، أي تعديت وظلمت ، و « على » هاها متعلقة بمحدوف دلّ عليه الكلام ، تقديره مثابرا على طلب الدنيا أو مصرا على طلب الدنيا ، وتناويل القرآن ما كان معذوبة بموته به على أهل الشام فيقول لهم : أما وليّ عثمان ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا ^(١) ﴾ .

ثم بعدهم الطغر والدولة على أهل العراق بقوله تعالى : ﴿ فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ^(٢) ﴾ .

قوله : « وعصته أت وأهل الشام » ، أي أزمته كما تلزم العصاة الرأس ، « وألب ملككم جاهلكم » ؛ أي حرّض .
والقياد : جعل تقاد به الدابة .

قوله : واحذر أن يصيبك اللهُ منه بما حلّ فارعة ، الصمير في « منه » راجع إلى الله تعالى ، « ومن » لا ابتداء القاية .

وقال الراوندي : منه ، أي من البهتار التي أنيته ، أي من أحله ، و « من » للتعميل ، وهذا بعيد وحلاف الظاهر .

قوله : « تمسّ الأسل » ، أي تقطعه ، ومنه ماء ممسوس أي يقطع النّة . ويمطع الدابر أي العقب والنسل .

والأليّة : اليمين . وباحة الدار : وسطها ، وكذلك ساحتها ، ورؤى بناحيته .

قوله : « بماجل قارعة ، وحوامع الأفدار » ، من باب إضافة الصفة إلى الموصوف^(١) للتأكيد ، كقوله تعالى : ﴿ وإله الحق اليقين^(٢) ﴾ .

(١) د : « إضافة إلى الموصول » . (٢) سورة الحاقة ٥١ .

(٥٦)

الأضل :

ومن كلام له عليه السلام وصى به شريح بن هاني لما جمعه على مقدمته

إلى الشام :

اتَّقِ اللَّهَ فِي كُلِّ مَسَاءٍ وَصَبَاحٍ ، وَحَبِّ عَلَى نَفْسِكَ الدُّنْيَا النَّارُورَ ، وَلَا تَأْمَسْهَا

عَلَى حَالٍ .

وَأَهْلَمَ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَرُدَّ عَلَى نَفْسِكَ مِنْ كَثِيرٍ يَمَّا تُحِبُّ مَحَامَةَ مَكْرُوهِهِ ، تَمَحَّتْ بِكَ

الْأَهْوَاءُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الصَّرَرِ ، فَكُنْ بِنَفْسِكَ مَدِينًا رَادِعًا ، وَلِتَرَوَاتِكَ عِنْدَ الْعَهِيَّةِ

وَأَعْمًا قَائِمًا .

[شريح بن هاني]

الْبُرْج :

هو شريح بن هاني بن يزيد بن نهيك بن دُرَيْدٍ بن سُفْيَانَ بن الصَّبَّابِ ، وهو سَلَمَةُ

ابن الحارث بن ربيعة بن الحارث بن كعب الدَّحِيقِيّ . كان هاني يُكْنَى فِي الْجَاهِلِيَّةِ

أَبَا الْحَكَمِ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ، فَكَنَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِأَبِي شُرَيْحٍ ،

إِدْفَعْ عَلَيْهِ . وابنه شريح هذا من رحلة أصحابِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، شَهِدَ مَعَهُ الشَّاهِدَ كُلَّهُمَا ،

وَعَاشَ حَتَّى قُتِلَ بِسِجِسْتَانَ فِي زَمَنِ الْحُجَّاجِ ، وَشُرَيْحٌ جَاهِلِيٌّ إِسْلَامِيٌّ ، يَكْنَى أَبُو الْمُقْدَامِ ،

ذَكَرَ ذَلِكَ كُلَّهُ أَبُو عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي كِتَابِ الْإِسْتِيعَابِ (١).

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَخَفَّ عَلَى نَفْسِكَ لَعْرُورٌ ، يَعْنِي الشَّيْطَانُ ، فَأَمَّا الْفُرُودُ بِالضَّمِّ
فَمصدر . وَالرَّادِعُ : الْكَافُ الْمَانِعُ . وَالرَّكَوَاتُ : الْوُضُوءَاتُ . وَالْحَقِيقَةُ : الْغَضَبُ . وَالْوَارِقُ :
فَاعِلٌ ، مِنْ وَقَمَتْهُ أَيْ رَدَدَتْهُ أَفْبَحَ الرَّدِّ وَفَهَرَتْهُ . يَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنْ لَمْ تَرُدَّعْ نَفْسَكَ
عَنْ كَثِيرٍ مِنْ شَهَوَاتِكَ أَفْصَبَتْ بِكَ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْعُرُودِ ، وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الشَّاعِرِ :
فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَ نَفْسَكَ سُؤْلَهَا وَفَرَّحَكَ بِأَلَا مُنْتَهَى الدَّمِّ أَجْمَعًا (٢)

(١) الْإِسْتِيعَابُ ٦٠٧ . (٢) الْبَيْتُ لِحَاظِهِ ، وَهُوَ مِنْ شَوَاهِدِ الْفَيْ ٣٣١ .

(٥٧)

الأفضل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة
إلى البصرة :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي حَرَجْتُ مِنْ حَتَّى هَذَا إِثْمًا طَالِمًا وَإِثْمًا مَطْلُومًا ، وَإِثْمًا بِأَعْيَا
وَإِثْمًا مَثْنِيًّا عَلَيْهِ ، وَأَنَا أَذْكُرُ اللَّهَ مَنْ بَسَمَهُ كِتَابِي هَذَا لَمَّا نَعَرَ إِلَيَّ ، فَإِن كُنْتُ
مُحْسِنًا أَعَانِي ، وَإِن كُنْتُ مُسِيئًا اسْتَمْتَنِي .

الْبَيْتُ :

ما أحسنَ هذا التقسيم وما أبْلَغَه في عطف التوبيخ عليه ، واستمالة المومنين إليه !
قال : لا يَحْتَوِ حَالِي فِي خُرُوجِي مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ : إِثْمًا أَنْ أَكُونَ طَالِمًا أَوْ مَطْلُومًا ،
وَبَدَأَ بِالطَّالِمِ هَهُنَا لِمَعْنَى^(١) ، وَلَثَلَا يَقُولُ عَدُوٌّ : بَدَأَ بِدَعْوَى كَوْنِهِ مَطْلُومًا ، فَأَعْطَى عَدُوَّهُ
مِنْ نَفْسِهِ مَا أَرَادَ .

قال : فليسير المسلمون إِلَى فَإِنَّ وَحْدَتِي مَطْلُومًا أَمَّا بَعْدُ ، وَإِن وَجَدْتَنِي ظَالِمًا سَهَوْتَنِي
عَنْ طُلْعِي لِأَعْتَبَ وَأَنْتَبَ إِلَى الْحَقِّ . وَهَذَا كَلَامٌ حَسَنٌ ، وَمُرَادُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَحْصُلُ عَلَى
كُلِّ الْوَحْيَيْنِ ، لِأَنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَسْتَعِزَّ بِمَنْ ، وَهَذَا الْوَحْيَانِ يَقْتَضِيَانِ تَقَرُّعَهُنَّ إِلَيْهِ عَلَى كُلِّ
حَالٍ ، وَالْحَقُّ : الْمَزَلُ ، وَلَمَّا هَاهُنَا بِمَعْنَى إِلَّا ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا
حَافِظٌ ﴾^(٢) فِي قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَهَا بِالنَّشِيدِ .

(١) ق د « وأراد بالطالم هدم نفسه » . (٢) سورة الطارق ٤ .

(٥٨)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام كتبه إلى أهل الأمصار يقص فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين :

وَكَانَ نَدَاهُ أَمْرًا أَنَا التَّحِيَّاتُ بِالْقَوْمِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، وَالطَّاهِرُ أَنَّ رَشًا وَاحِدٌ ، وَنَبِيًّا وَاحِدٌ ، وَدَعْوَتَنَا فِي الْإِسْلَامِ وَاحِدَةٌ ، وَلَا تَتَرَبَّدُهُمْ فِي الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالتَّصَدِيقِ بِرَسُولِهِ وَلَا يَتَزَيَّدُونَا ، وَالْأَمْرُ وَاحِدٌ إِلَّا مَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ ، وَنَحْنُ مِنْهُ بِرَّاءٌ ، فَهَذَا نَدَاؤِي مَا لَا يُدْرِكُ الْيَوْمَ بِإِطْلَاقِ النَّازِلَةِ ، وَتَسْكِينِ الْعَامَّةِ ، حَتَّى يَشْتَدَّ الْأَمْرُ وَيَسْتَجْمِعَ ، فَمَعُوذِي عَلَى وَضْعِ الْحَقِّ فِي مَوَاصِيهِ ، فَقَالُوا : بَلْ نُدَاوِيهِ بِالْمَكْدَرَةِ ، فَأَبَوْا ، حَتَّى جَنَحَتِ الْحَرْبُ وَرَكَدَتْ ، وَوَفَدَتْ بِيرَافُهَا وَحَمِشَتْ ^(١) .

فَلَمَّا صَرَّسْتَنَا وَإِيَّاهُمْ ، وَوَضَعْتَ تَحَالِفَهَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، أَحَابُوا عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الَّذِي دَعَوْنَاهُمْ إِلَيْهِ ، فَأَجَبْنَاهُمْ إِلَى مَا دَعَوْا ، وَسَارَعْنَاهُمْ إِلَى مَا طَلَبُوا ، حَتَّى اسْتَنَاتَ عَنْهُمْ الْحُجَّةُ ، وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمْ الْمَعْذِرَةُ ، فَمَنْ تَمَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ الَّذِي أَنْقَدَهُ اللَّهُ مِنْ أَهْلِكَ ، وَمَنْ لَعَّ وَتَعَادَى فَهُوَ الرَّائِيسُ الَّذِي رَأَى اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ ، وَصَارَتْ دَائِرَةُ السُّوءِ عَلَى رَأْسِهِ .

البَرْج :

رَوَى : « التَّقِيَّةُ وَالْقَوْمُ » بِالْوَاوِ ، كَمَا قَالَ :

« قُلْتُ إِذَا أَقْبَلْتُ وَزَهَرَ تَهَادَى »

وَمَنْ لَمْ يَرَوْهَا بِالْوَاوِ فَقَدْ اسْتَرَّاحَ مِنَ التَّكَلُّفِ .

قَوْلُهُ : « وَالطَّاهِرُ أَنْ رَتْنَا وَاحِدٌ » ، كَلَامٌ مِنْ لَمْ يَحْكَمْ لِأَهْلِ رَمَيْنَ مِنْ جَنْبِ مَعَاوِيَةَ حُكْمًا قَاطِعًا ، بِإِسْلَامِ ، بَلْ قَالَ : طَاهِرُهُمُ الْإِسْلَامُ ، وَلَا خَافَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فِيهِ ، بَلْ اُتْلَفَ فِي دَمِ عُمَانَ .

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : قُلْنَا لَهُمْ : نَعَالُوا اُفْتُطِنُ هَذِهِ الْمَازِرَةُ الْآنَ بَوَضَعَ الْحَرْبُ ، إِلَى أَنْ تَمْتَدَّ قَاعِدَتِي فِي الْخِلَافَةِ وَتَزُولَ هَذِهِ الشَّوَائِبُ الَّتِي تَكْدَرُ عَلَى الْأَمْرِ ، وَيَكُونُ لِلنَّاسِ حِمَاةٌ تَرْجِعُ إِلَيْهَا ، وَبَعْدَ ذَلِكَ أَعْمَكُنْ مِنْ قَتْلَةِ عُمَانَ فَأَعْيَانِهِمْ فَأَقْتَصَّ مِنْهُمْ ، فَأَبَوْا إِلَّا الْمَكَابِرَةَ وَالْمَعَالِبَةَ وَالْحَرْبَ .

قَوْلُهُ : « حَتَّى حَضَحْتُ الْحَرْبَ وَرَكَدْتُ » ، حَضَحْتُ : أَهْلَيْتُ ، وَمَعَهُ : قَدْ جَمَعَ اللَّيْلُ ، أَيْ أَجْبَلَ ، وَرَكَدْتُ : دَامَتْ وَثَمَّتْ .

قَوْلُهُ : « وَوَقَدْتُ نِيرَانَهَا » ، أَيْ التَّهَيَّأْتُ .

قَوْلُهُ : « وَحَشِشْتُ » ، أَيْ اسْتَمَرَّتْ وَشَتَّتْ . وَرَوَى : « وَأَسْتَحْشَمْتُ ^(١) » وَهُوَ أَصَحُّ ؛ وَمِنْ رَوَاهَا « حَمَسْتُ » بِالسَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ أَرَادَ اسْتَدَّتْ وَصَلَّتْ .

قَوْلُهُ : « فَلَمَّا خَرَسْنَا وَإِيَّاهُمْ » أَيْ عَصَيْنَا بِأَضْرَاسِهَا ، وَيُقَالُ : خَرَسَهُمُ الدَّهْرُ ، أَيْ اسْتَدَّتْ عَلَيْهِمْ .

(١) فِي « د » وَاسْتَحْرَثَ . وَالْمَعْنَى عَلَيْهِ يَسْتَقِيمُ أَيْضًا

قال : لما أشتدت الحرب علينا وعليهم ، وأكث متا ومنهم ، عادوا إلى ما كنّا سألناهم
أثناءه ، وضرّعوا إلينا في رفع الحرب ، ورفّعوا المصاحف يسألون الرسول على حكمها ،
وأعماد السيف ، فأجبناهم إلى ذلك .

قوله : « وسارّعناهم إلى ما طلبوا » كلمة فصيحة ، وهي تعديّة الفعل اللازم ، كأنها لما
كانت في معنى السابقة ، والسابقة متعدية عدّى السارعة .

قوله : « حتى استنات » ، يقول : استمررنا على كفت الحرب ووصمها ، إجابة
لسؤالهم ، إلى أن استنات عليهم حقتنا ، ونطقت معاديرهم وشبهتهم في الحرب وشقّ العصا ،
فمن تمّ منهم على ذلك ، أي على انقياده إلى الحق بعد ظهوره له ، فدأله الذي حتمه الله من
الهلاك والوعذاب الآخرة ، ومن لمّح منهم على ذلك وتنادى في صلاله فهو الرّاكس ، قال قوم :
الرّاكس هنا بمعنى المرّكوس ، فهو مغلوب فاعل بمعنى معمول ، كقوله تعالى : ﴿ قَبُورِي
عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ ^(١) أي صرمتية ، وعدى أن اللقطة على بابها ، يعني أن من لمّح فقد
رّكس نفسه ، فهو الرّاكس ، وهو المرّكوس ، يقال : رّكسه وأركسه بمعنى ، والكتاب
العزيز جاء بالهمز فقال : ﴿ وَأَلَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسُوا ﴾ ^(٢) ، أي ردّهم إلى كفرهم ^(٣) ؛
ويقول : ارتكس فلان في أمرٍ كلّ نحاسه ، ورأى على قلبه ، أي رأى هو على قلبه ، كما
قلنا في الرّاكس ؛ ولا يجوز أن يكون الفاعل - وهو الله - محذوف ، لأنّ الفاعل لا يُحذف ،
بل يجوز أن يكون الفاعل كالمحذوف ، وليس بمحذوف ، ويكون المصدر وهو
الرّئين ، ودلّ الفعل عليه كقوله تعالى : ﴿ تَمَّ بِدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا
الْآيَاتِ ﴾ ^(٤) أي بدّاهم البداء . ورأى بمعنى عبّ وعطّى ؛ ورؤى « فهو الرّاكس
الذي رى على قلبه » .

(١) الفارعة ٧ . (٢) سورة ساء ٨٨ .

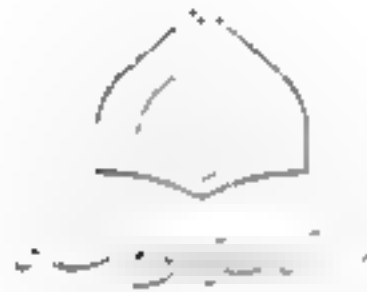
(٣) في د « كيدهم » . (٤) سورة يوسف ٣٥ .

قال : وصارت دائرة السوء على رأسه ، من ألقاظ القرآن العزيز ، قال الله تعالى :
(عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ)^(١) والدوائر : الدُّوَل .

قال :

• وإنَّ على الباغي ثَمُورَ الدَّوَارِ •

والدائرة أيضا : الهزيمة ، يقال : على مَنْ اسائرةُ منهُما ، والدوائر أيضا الدَّوَاهِي .



(٥٩)

الأضل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى الأسود بن قطبة صاحب جند حلوان :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَوَّالِي إِذَا اخْتَلَفَ هَوَاهُ مَسَّهَ ذَلِكَ كَثِيرًا مِنَ الْمَدْلِ ، فَلْيَكُنْ أَمْرُ النَّاسِ عِنْدَكَ فِي الْحَقِّ سَوَاءً ، فَإِنَّهُ يَشِيءُ فِي الْحَوَرِ عَوَضًا مِنَ الْمَدْلِ ، فَأَحْتَسِبْ مَا تُنْكِرُ أَمْثَالَهُ ، وَانْتَدِلْ نَفْسَكَ فِيمَا افْتَرَسَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رَاحِيًا تَوَانَهُ ، وَتُتَخَوُّفًا مِقَاتَهُ .

وَأَقْلَمَ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلِيَّةٍ لَمْ يَمْرُغْ صَاحِبُهَا فِيهَا فَطُ سَاعَةً إِلَّا كَانَتْ فَرَعَتُهُ عَلَيْهِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِنَّهُ لَنْ يُعْصِيكَ عَنْ الْحَقِّ شَيْءٌ أَبَدًا ، وَمِنْ الْحَقِّ عَلَيْكَ حِفْظُ نَفْسِكَ ، وَالْإِحْسَابُ عَلَى الرَّعِيَّةِ بِجَهْدِكَ ، هَبْ أَلَدِي يَصِلْ إِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ أَفْصَلُ مِنَ أَلَدِي يَصِلُ إِلَيْكَ ؛ وَالسَّلَامُ .

الْبَرْخ :

[الأسود بن قطبة]

لم أقب إلى الآن على نسب الأسود بن قطبة ، وقرأت في كثير من النسخ أنه حلاني من بني الحارث بن كعب ؛ ولم أتحقق ذلك ، ولدي يغلب على ظني أنه الأسود بن زيد ابن قطبة بن عثم الأنصاري من بني عُمَيْد بن عَدِي ، ذكره أبو عمر بن عبد البر في كتاب " الاستيعاب " ، وقال : بن موسى بن عتبة عمه فيمن شهد بدرًا (١) .

(١) الاستيعاب ١ : ٩٠ (طبعة نهضة مصر) .

قوله عليه السلام : « إذا احتجب هوى الوالى منته كثر من الحق » قولٌ صدق ،
لأنه متى لم يكن الحصان عند الوالى سواء فى الحق حراً وظلم .

ثم قال له : فإنه ليس فى الخور يوص من العدل ؛ وهذا أيضاً حق ، وفى العدل كل
المروض من الخور .

ثم أمره باحتساب ما ينكر مثله من غيره ، وقد تقدم نحو هذا .

وقوله : « إلا كانت قرعته » كلمةٌ فصيحة ، وهى المرة الواحدة من الفراغ ،
وقد روى عن النبى صلى الله عليه وآله : « إن الله يفيض الصحيح الفارغ لا فى شمل
الديب ولا فى شمل الآخرة » ، ومراد أمير المؤمنين عليه السلام ها هنا الفراغ من عمل
الآخرة خاصة .

قوله . « فإن أدى يصل إليك من ذلك أفصل من الذى يصل بك » ، معناه : فإن
أدى يصل إليك من ثواب الاحتساب على زعنة ، وحط نفسك من مطالعهم والخياف
عليهم ، أفصل من الذى يصل بك من حراسة ديارهم^(١) وأعراضهم وأموالهم ؛
ولا شبهة فى ذلك ، لأن إحدى المستعين دائمة ، والأخرى منقطعة ، واسمع الدائم أفصل
من المنقطع .

(١) د : « ديارهم » تصحيف ، صوابه فى ١ ، د .

(٦٠)

الأضل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى العمال الدين يطأ عملهم الحيوش^(١) :

مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَنْ مَرَّ بِهِ أَحْيَشُ مِنْ حُبَاةِ الْخِرَاحِ
وَعُمَالِ الْبِلَادِ :

أَمَّا نَعُدُّ ، فَإِنَّ قَدْ سَرَتْ خُودًا هِيَ مَرَّةٌ بِكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَقَدْ أَوْصَيْتُهُمْ
بِمَا يَحِبُّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ كَفِّ الْأَدَى ، وَصَرْفِ الشَّدَى ، وَأَنْ يُزَا إِلَيْكُمْ
وَالْيَ دِمَّتْكُمْ مِنْ مَعْرِةِ الْحَشَى ، إِلَّا مِنْ حَوَاجَةِ الْمُضْطَرِّ لَا يَجِدُ عَنْهَا مَذْهَبًا
إِلَى سَبْعِهِ^(٢) ، فَسَكَّلُوا مِنْ تَبَوُّنٍ مِنْهُمْ طَلَمًا عَنْ طَبْعِهِمْ ، وَكُفُّوا أَيْدِيَ سَفَهَائِكُمْ
عَنْ مُصَارَاتِهِمْ ، وَاسْرُخْ لَهُمْ فِيمَا اسْتَنْتَبَاهُ مِنْهُمْ ، وَأَنْ تَبْنَ أَطْهَرُ الْحَشَى ،
فَارْهَوْا إِلَى مَطَالِعِكُمْ ، وَمَا غَرَاكُمْ رِمْدٌ يَغْنِيكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ وَلَا يُعْطِقُونَ دَفْعَهُ
إِلَّا بِاللَّهِ^(٣) وَبِي ، أَعِزُّهُ بِعَمُودَةِ اللَّهِ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

الشرح :

رَوَى « عَنْ مُصَارَاتِهِمْ » بِلَا الشَّدَّةِ . وَحُبَاةِ الْخِرَاحِ : الَّذِينَ يَجْمَعُونَهُ ، حَصَتْ أَدَى
وَالْحَوْضِ ، أَيْ جَمْعُهُ . وَالشَّدَى : الضَرْبُ وَاشْرَ ، نَقُولُ : لَقَدْ أَشْدَيْتُ وَأَدَيْتُ ، وَإِلَى دِمَّتْكُمْ ،
أَيْ إِلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الَّذِينَ يَسْكُمُ^(١) ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « مَنْ آدَى دِمَّتِيَا فَكَا^(٥) آدَانِي » ،

(١) مَحْصُوطُهُ لَهَجٌ : « إِلَّا بِي شَعْبُهُ » .

(٢) « د » « دِمَّتْكُمْ » .

(٣) « د » « عَمَلُهُمُ الْحَيَشَى » .

(٤) « د » « يَأْتِي اللَّهُ » .

(٥) « د » « فَكَدَ » .

وقال : إنما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا ، وأموالهم كأموالنا ، ويستحق هؤلاء دية ، أى أهل دية ، بحديث الصاف . والمرّة : المخرّة ، قال : الجيش ممنوع من أذى من يمرّ به من المسلمين وأهل الدية إلا من سدّ حوّة المصطرّ منهم خاصّة ، لأنّ المصطرّ تباح له الميتة فصلا عن غيرها .

ثمّ قال : فنكّلوا من تناول ، ورؤى « بمن تناول » بالياء ، أى « رفوه » . و « عن » فى قوله : « عن ظلمهم » ، يتعلّق بكنّوا ، لأنّها فى معنى « اردعوا » ؛ لأنّ النكّال يُورجى الردّع .

ثمّ أمرهم أن يكتفوا بأبدى أحداثهم وسفاهتهم عن مُدَارعة الجيش ومصادمته ، والتمترّض لنته عما استثناء ، وهو سدّ الجوعة عند الاضطراب ، فإنّ ذلك لا يجوز فى الشرع ، وأيضاً فإنّه يُمضى إلى فتنة وهراج .

ثمّ قال : « وأما بنى أطمهر الجيش » ، أى أما هريب منكم ، وسائر على إثر الجيش ، فاردفوا إلى مطالكم وما عمراكم منهم على وجه العلّة والقهر ، فإنّ معبر ذلك ومتصيف لكم منهم .

(٦١)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى كميل بن زياد النخعي وهو عامله على هيت
ينكر عليه تركه دفع من يجتاز به من جيش العدو طالبا للغارة :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ تَصْبِيحَ الْمَرْءِ مَا وَلَّى ، وَتَكْنُفُهُ مَا كُفِيَ ، لَعَنَ مَنْ حَاصِرٌ ،
وَرَأَى مُتَبَرِّئًا . وَإِنْ تَمَاطَيْكَ الْعَادَةُ عَلَى أَهْلِ تَرْقِيسِيَا ، وَتَمَطَّيَكَ مَسَالِحُكَ الَّتِي وَلَّيْنَاكَ
— لَيْسَ لَهَا مَنْ يَنْتَعِمُهَا ، وَلَا يَرُدُّ الْعَتِيشَ عَنْهَا — إِرَآئِي شَعَاعٌ ، فَقَدْ صِرْتَ جِسْرًا لِمَنْ
أَرَادَ الْعَادَةَ مِنْ أَعْدَائِكَ عَلَى أَوْلِيَائِكَ ، غَيْرَ مُشِيدٍ أَمْسِكِي ، وَلَا مَهِيْبٍ الْعَابِرِ ،
وَلَا سَادٍ ثَمَرَةٍ ، وَلَا كَاسِرٍ لِعَدُوِّ شَوْكَةٍ ، وَلَا مُسِرٍّ عَنْ أَهْلِ مِصْرٍ ^(١) ، وَلَا تُخْرِجِي
عَنْ أَمِيرِهِ .

الشرح :

[كميل بن زياد ونسبه]

هو كميل بن زياد بن سهيل بن هيثم بن سعد بن مالك بن الحارث بن صهبان
ابن سعد بن مالك بن النخع بن عمرو بن وعلجة بن خالد بن مالك بن أدد . كان من أصحاب
علي عليه السلام وشيعته وحاصته ، وقتله الحجاج على الذهب فيمن قتل من الشيعة .
وكان كميل بن زياد عامل علي عليه السلام على هيت ، وكان صعيقا ، يمر عليه سرايا معاوية
تنهب أطراف العراق ولا يردّها ، ويحاول أن يحترق ما عنده من الصعف بأشرف يُغير

(١) في دة النصرة .

على أطراف أعمال معاوية مثل قرقيسيا وما يحرقى تحراها من القرى التي على العرات ،
فأذكر عليه السلام ذلك من فعله ، وقال : إن من المعجز الحاصر أن يُهيل الوالي ما ورثه ،
ويتكلف ما ليس من تكليفه .

والمقتر : الهالك ؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم بِبِغِيرٍ ﴾^(١) .
والمساح : جمع مسلحة ، وهي النواصع التي بنام فيها مائة من الخند لحايتها
ورأى شعاع ، بالفتح ، أى متفرق .
ثم قال له : « قد صرت حشرا » أى يهتر عنيك ، مدو كما نعت أسن على الخسود ،
وكما أن الحس لا يمتنع من يهتر به ويهتر عليه فكذلك أنت .
والثمة : الثمة . وعثر : كاذب ومفسد ، والأصل « عثرى » بالهمز ، فمب .

(٦٢)

الأضل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر مع مالك الأشر دحه الله

لما ولاه إمارتها :

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُخَّاهُ نَمَتْ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَدِيرًا لِلْعَالَمِينَ ،
وَمُهَيِّمًا عَلَى الْمُرْسَلِينَ ؛ فَلَمَّا مَضَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَنَازَعَ الْمُشْرِكُونَ الْأَمْرَ
مِنْ أَمْرِهِ ؛ فَوَاللَّهِ مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي ، وَلَا يَحْطَرُّ بِسَالِي أَنَّ الْعَرَبَ تُرِجِعُ هَذَا
الْأَمْرَ مِنْ تَعْدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَلَا أَنَّهُمْ مَسْخُوءٌ عَنِّي مِنْ
بَعْدِهِ ، فَمَا رَأَيْتُ إِلَّا اسْتِثْلَالَ النَّاسِ عَنِّي فُلَانٍ بِسُيُوءِهِ ، فَأَمْسَكَتُ يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ
رَاحِمَةَ أَسَاسٍ قَدْ رَحِمَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ ، يَدْعُونَ إِلَى مَحْوِ دِينِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ ، فَحَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وَهُنَا أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلَمًا أَوْ هَدْمًا ، تَكُونُ
الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَكْثَمَ مِنْ قُوَّةِ وَلَا بَيْتِكُمْ ، الَّتِي إِعَاةِي مَتَّعَ أَيَّامَ قَلَائِلَ ،
يُرْوَلُ مِنْهَا مَا كَانَ ، كَمَا يُرْوَلُ السَّرَابُ ، وَكَمَا يَتَمَتَّعُ السَّحَابُ ، فَهَمَّتُ فِي تِلْكَ
الْأَحْدَاثِ حَتَّى زَاحَ الْبَاطِلُ وَرَهَقَ ، وَاطْمَأَنَّ الدِّينُ وَتَنَهَّ .

الْبُرْج :

المُهِمِّينَ : الشَّاهِدَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا ﴾ ، أَيْ

تَشْهَدُ بِإِيمَانِ مَنْ آمَنَ وَكُفْرِ مَنْ كَفَرَ . وَقِيلَ : تَشْهَدُ بِصِحَّةِ نُبُوَّةِ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَكَ .

وقوله : « على المرسلين » ، يؤكد صحة هذا التفسير الثاني ، وأصل اللقطة من « آمن غيره من الخوف » ، لأن الشاهد يؤمن غيره من الخوف بشهادته ، ثم تصرّفوا فيها فأبدلوا إحدى همزتي « مؤمنين » بإه فصار « مؤمنين » ، ثم فسّوا الهمزة هاء كأرقت وهرقت فصار « مُهَيَّئِينَ » .

والرّوع : الخلد ؛ وفي الحديث : « إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ مَعَ رُؤسِي » ، قال : ما يحطّر لي ببال أن العرب تعدّل بالأمر بعد وفاة محمد صلى الله عليه وآله من بني هاشم ، ثم من بني هاشم عتي ؛ لأنه كان المتيقن بحكم الحال الحاضرة . وهذا الكلام يدلّ على نطّال دعوى الإمامية النصّ وحسبها الحلّى .

قال : « فما راعى إلا اشياء الناس » ، تقول للشيء بمحقّوك نعتة : ما راعى إلا كذا ، والرّوع بالفتح ، الفرع ، كأنه يقول : ما راعى شيئا بعد ذلك السكون الذي كان عندي ، وملك النعمة التي اطمأننت إليها إلا وفروع ما وقع من اشياء الناس — أي انصباهم من كلّ وجه كما يثاب الرب — عى أنى مكر ، وهكذا لفظ الكتاب الذي كتبه للأشتر ، وإنما الناس يكتسبه الآن « إلى فلا » ندماً من ذكر الاسم كما يكتسبون في أوّل الشَّقِيقِيَّة : « أما والله لقد تمصّص فلا » ، واللفظ « أما والله لقد تمصّصها ابن أبي قحافة » .

قوله : « فأمسكتُ يدي » ، أي امتنعُ عن بيعته ، حتى رأيت راحة الناس ، يعنى أهل الردّة كسيلة ، وسجّاح وطبيعة بن حويلد وماضى الزكاة ؛ وإن كان مانعوا الزكاة قد اختلف في أنهم أهل ردّة أم لا .
ومحقّ الدين : إبطاله .

ورهُق : خرّج وزال . نهته : سكن ، وأصله السكت ، تقول : نهبت السُّعَ قَتَمَته ،

أى كُفَّ عن حركته وإقدامه ، فكانَ الذينَ كانَ متحرِّكاً مضطرباً فسكنَ وكفَّ عن ذلك
الاضطراب .

رَوَى أَبُو حَظْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ فِي التَّارِيخِ الْكَبِيرِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ لَمَّا مَاتَ اجْتَمَعَ أَسَدٌ وَعُظْفَرٌ وَطَيْيٌّ عَلَى طَلِيحَةَ بْنِ حُوَيْلِدٍ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ حَوَاصِّ
أَقْوَامٍ فِي الطَّرَائِفِ الثَّلَاثِ ، فَاجْتَمَعَ أَسَدٌ بِسَمِيرَاءَ ، وَعُظْفَرَانِ بِمَنْحُوبِ طَيْيَّةٍ ^(١) وَطَيْيٌّ فِي
حُدُودِ أَرْضِهِمْ ، وَاجْتَمَعَ ثَعْلَبَةُ بْنُ أَسَدٍ وَمَنْ يَلِيهِمْ مِنْ قَيْسِ الْأُرْجِ ^(٢) مِنَ الرِّكْبَةِ ،
وَنَاشِئٌ ^(٣) إِلَيْهِمْ نَاسٌ مِنْ بَنِي كِسَاةٍ ، وَمَنْ تَحْمِلُهُمُ اللَّادُ ، فَافْتَرَقُوا مَرَّتَيْنِ : أَقَامَتْ إِحْدَاهُمَا
بِالْأُرْجِ ، وَسَارَتْ الْأُخْرَى إِلَى دِي الْقَصَّةِ ، وَبِشَرُوا وَهْودًا إِلَى أَبِي مَكْرٍ يَسْأَلُونَهُ أَنْ يَقَارِمَهُمْ
عَلَى إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَمَعَ الزَّكَاةِ ، فَرَمَّ اللَّهُ لِأَبِي مَكْرٍ عَلَى الْحَيِّ ، قَالَ : لَوْ مَسَّوْنِي عِقَالًا ^(٤)
لْمَهِدْتُهُمْ عَلَيْهِ . وَرَجَعَ الْوَهْودُ إِلَى قَوْمِهِمْ فَأَحْرَمُوا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، فَأُطْمَعُوهُمْ فِيهَا
وَعَلِمَ أَبُو مَكْرٍ وَالْمُسْلِمُونَ بِذَلِكَ ، وَقَالَ لَهُمْ أَبُو مَكْرٍ : أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ، إِنَّ الْأَرْضَ كَافِرَةٌ ،
وَقَدْ رَأَى وَفْدُهُمْ مِنْكُمْ قِتْلَةً ، وَإِذَا لَمْ يَنْدُرُوا لَيْلًا تُؤْتُونَ أُمَّ نَهَارًا ، وَأَدْبَاهُمْ مِنْكُمْ عَلَى
رِيدٍ ، وَقَدْ كَانَ الْقَوْمُ يَأْمَلُونَ أَنْ تَقْبَلَ مِنْهُمْ وَتُؤَادِقَهُمْ ، وَقَدْ أَيَّسَا عَلَيْهِمْ ، وَبَدَأْنَا
إِلَيْهِمْ ، فَأَعِدُّوا وَاسْتَعِدُّوا . فَخَرَجَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ سَلَامٌ سَعْسَعَةً ، وَكَانَ عَلَى نَقَبٍ مِنْ أَتْقَابِ
الْمَدِينَةِ ، وَخَرَجَ الزَّيْبُ وَطَلْحَةُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَغَيْرُهُمْ فَكَانُوا عَلَى الْأَتْقَابِ الثَّلَاثَةِ ،
فَلَمْ يَلْشَوْا إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى طَرَقَ الْقَوْمُ الْمَدِينَةَ عَارَةً مَعَ اللَّيْلِ ، وَحَلَقُوا نَعَصَهُمْ بِدَى حُتَّى

(١) فِي الْأَصُولِ : « طَيْيَّة » وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَهُ مِنْ تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ .

(٢) فِي الْأَصُولِ : « الْأُرْجِ » ، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَهُ مِنَ الطَّبْرِيِّ .

(٣) نَاشِئُوا إِلَيْهِمْ : انصَبُوا .

(٤) أَرَادَ بِالْعِقَالِ الْحُلَّ الَّذِي يَعْقِلُ بِهِ الْعَبْرَاءُ كَمَا يُؤْخَذُ فِي لُبْلِ الصَّدَقَةِ وَانْظُرْ نِهَايَةَ ابْنِ الْأَثِيرِ .

ليكونوا ردها لهم ، فوافوا الأتقاب وعلبها المسجون ، فأرسلوا إلى أبي بكر بالخبر ، فأرسل إليهم أن الزموا مكانكم ، صعلوا ، وخرج أبو بكر في جمع من أهل المدينة على التواضع ، فانتشر العدو بين أيديهم ، وانسحبهم المسجون على التواضع حتى بلغوا داحسى ، فخرج عليهم السكينة بأفحاء^(١) قد تقصوها ، وجعلوا فيها الجبال ، ثم دهموها بأرجلهم في وجوه الإبل ، فتدفعه^(٢) كل يخفى منها في طوكه^(٣) فمرت إبل المسلمين ، وهم عليها - ولا تنفر الإبل من شيء - فآراها من الأفحاء - فاحت بهم لا يملكوها حتى دخلت بهم المدينة ، ولم يصرع منهم أحد ولم يُصَب ، فمات المسجون تحت البيلة يتهيتون ، ثم حرحوا على تعبئة ، فاطلع المحرر إلا وهم والقوم على سعيد وحمد ، هم يسموا للمسلمين حيا ولائها حتى وصموا بهم السيف ، فافتتروا أعمار لينهم ، فادّر قرن الشمس الا وقد وتوا الأضرار وعلوهم على عامة طهرهم ، ورحموا إلى المدينة عاصري^(٤) .

قلت : هذا هو الحديث الذي أشار عليه السلام إلى أنه مهم فيه أمام أبي بكر . وكنه جواب عن قول قائل : إنه عمل لأبي بكر ، وحمد بين يدي أبي بكر ، فبين عليه السلام عدله في ذلك ، وقال : إنه لم يكن كما طته نقاتل ، ولكنه من باب دفع الضرر عن النفس وعن الدين ، فإنه واحد سواء كان للناس إمام أو لم يكن .

[ذكر ما طمن به الشيعة في إمامة أبي بكر والجواب عنها]

ويسمى حيث جرى ذكر أبي بكر في كلام أمير المؤمنين عليه السلام أن ذكر ما أورده قاضي القضاة في "المنى" ، من الطعاع التي طمن بها فيه وجواب قاضي القضاة

(١) الأفحاء - جمع محي ، وهو الرق (٢) دهموها : دصوها .

(٣) الطول : أجل يشده - (٤) ترويح العنبري ٣ - ٢٤٤ (طعة المعارف) مع تصرف واختصار .

عنها ، واعتراضُ المرتضى في " الشافي " على قاضي القضاة ، وبذكر ما عندنا في ذلك ، ثم نذكر مطاعن أخرى لم يذكرها قاضي القضاة .

[الطعن الأول]

قال قاضي القضاة بعد أن ذكر ما طعن به فيه في أمر فذلك ، وقد سبق القول فيه .
ومما طعن به عليه قولهم : كيف يصح للإمامة من يُحجر عن نفسه أن له شيطانا يمتريه
ومن يحذر الناس نفسه ، ومن يقول : « أقبلوني » بعد دحوله في الإمامة ، مع أنه لا يحل
للإمام أن يقول : أقبلوني السَّيِّئَة !

أجاب قاضي القضاة فقال إن شيخنا أبا علي قال : لو كان ذلك نقب فيه لكان قولُ
الله في آدم وحواء : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ ﴾ ^(١) ، وقوله : ﴿ فَارْتَمَا الشَّيْطَانُ ﴾ ^(٢) ،
وقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي
أُمْنِيَّتِهِ ﴾ ^(٣) ، يوجب المنع في الأنبياء . وإذا لم يجب ذلك ، فكذلك ما وصف به أبو بكر
نفسه ، وإعما أراد أنه عبد المصطفى يُشفيق من المعصية ويحذر منها ، ويحاف أن يكون
الشيطان بعريه في تلك الحال فيؤسوس إليه ، وذلك منه على طريق التحذر لنفسه عن
المعاصي ، وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه ترك محاصمة ساس في حقوقه بشفاقا
من المعصية ، وكان يولي ذلك عقيلا ، فله أسى عَقِيل كان يوتئها عبد الله بن جعفر فأما
ما روي في إقالة النبيِّ فهو خبر ضعيف ، وإن صحَّ فالمراد به التسيه على أنه لا يزال لأمر
يرجع إليه أن يُقبله الناس البيعة ، وإعما يصرون بذلك أنفسهم ؛ وكأنه نَبه بذلك

(١) سورة الأعراف ٢٠ . (٢) سورة القرة ٣٦

(٣) سورة الحج ٥٢ .

على أنه غير مكروه لهم ، وأنه قد خلاهم وما يهدون إلا أن يعرض ما يوجب خلافه . وقد روى أن أمير المؤمنين عليه السلام أقالَ عبد الله بن عمر البية حين استقاله ، والمراد بذلك أنه تركه وما يختار .

اعترض المرتضى رضى الله عنه فقال : أما قول أبي بكر : « وَلَيْتُكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ » ، فإن استقممت فأتعنوني ، وإن أعوججت فتزمنوني ، فإن لي شيطانا يعتريني عند عصبى ، فإذا رأيتننى منضبا فاجتنبونى لا أوثر فى أشعاركم وأبشاركم » ، فإنه يدل على أنه لا يصلح للإمامة من وجهين : أحدهما أن هذا صفة من ليس بمصوم ، ولا يأمن السلط على نفسه من يحتاج إلى تقويم رعيته له إذا وقع فى المعصية ، وقد بينا أن الإمام لا بد أن يكون مصوما موقفا مسددا ، والوجه الآخر أن هذه صفة من لا يملك نفسه ، ولا يصيبط غضبه ، ومن هو فى نهاية الطيش والحدة والحرق والقحظة . ولا خلاف أن الإمام يجب أن يكون منزها عن هذه الأوصاف ، غير حاصل عليها وليس يُشبهه قول أنى نكر ما تلاه من الآيات كلها . لأن أنكر حتر عن نفسه بطاعة لشيطان عند العصب ، وأن عادته بذلك حارية ، وليس هذا بمرئيه من بؤسوس إليه الشيطان ولا يطعمه ، ويرين له القبيح فلا يأتيه ، وليس وسوسة الشيطان بعيب على الموسوس له إذا لم يستره ذلك عن الصواب ، بل هو زيادة فى التكليف ، ووجه يتضاعف معه الثواب ، وقوله تعالى : ﴿ أَتَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ قيل : معناه فى تلاوته ؛ وقيل : فى فكرته ، على سبيل الحاضر ، وأى الأمرين كان ، فلا عار فى ذلك على النبى صلى الله عليه وآله ولا عيب ، وإى العار والنقص على من يطيع الشيطان ويتبع ما يدعو إليه . وليس لأحد أن يقول : هذا إن سلم لكم فى جميع الآيات لم يسلم فى قوله تعالى : ﴿ فَأَرَأَيْتُمَا الشَّيْطَانَ ﴾ ؛ لأنه قد حتر عن تأثير غوايته ووسوسته بما كان منهما من الفعل . وذلك أن المعنى الصحيح فى هذه الآية أن آدم وحسوا . كانا مندوبين إلى اجتباب الشجرة وترك التسؤل منها ، ولم يكن ذلك عليهما واجبا لازما ،

لأنَّ الأنبياء لا يُجِلُّون بالواح ، فوسوس لها الشيطان حتى تناول من الشجرة ، فتركها
مدبواً إليه ، وحرماً بذلك أنفسهما أشوب ، وسوء إرلا لا ، لأنه حطَّ لهما عن درجة الثواب
وفعل الأفضل ، وقوله تعالى في موضع آخر : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ ^(١) لا ينافي هذا
المعنى ، لأنَّ المعصية قد يُسمَّى بها من أجل الواجب والتدبُّب معاً . قوله : « فغوى » أى
خف من حيث لم يستحق الثواب على ما تدبُّب إليه . على أن صاحب الكتاب يقول :
إنَّ هذه المعصية من آدم كانت صغيرة لا يستحقُّ بها عقاباً ولا دماً ، فعلى مذهبه أيضاً
تكونُ المفارقة بينه وبين أى مكر ظاهره ، لأنَّ أما مكر حبر عن نفسه أن الشيطان يعتريه
حتى يؤثر في الأشعار والأشجار ، ويأثي ما يستحقُّه التقويم ، فأثي هذا من ذنب صغير
لا دم ولا عذاب عليه ، وهو يجرى من وجه من الوجوه بحرى الباح ، لأنه لا يؤثر في
أحوالِ قاعه ^(٢) وخطَّ رنسه ؛ وليس يجوز أن يكون ذلك منه على سبيل الحشية والإشفاق على
ما ظنَّ ، لأنَّ مفهوم خطابه يقتضي خلاف ذلك ، ألا ترى أنه قال : « إنَّ لى شيطاناً
يعترينى » وهذا قول من قد عرَّف عادته ، ولو كان على سبيل الإشفاق والحرِّف لحرَّج
عن هذا المجرِّح ، ولكان يقول : فإنى لا آمن من كذا وإنى لمشقق منه . فأمَّا ترك
أمير المؤمنين عليه السلام محاسبة النَّاس في حقونه فكأنَّه إنما كان ندرها وتكرُّماً ؛
وأى نسبة بين ذلك وبين من صرَّح وشهد على نفسه ما لا يليق بالآئمة ! وأما خبر استقالة
البیعة وتضعيف صاحب الكتاب له فهو أبداً يصتف ما لا يوافق من غير حجة يعتدُّها
في تضعيفه . وقوله : إنَّ ما أستقال على التحفيق ، وإما أنه على أنه لا يبالى بخروج الأمر
عنه ، وأنه غير مكرهم عليه ؛ فيعید من اصواب ؛ لأنَّ ظاهر قوله « أفيلونى » أمرٌ بالإقالة ،
وأقلُّ أحواله أن يكون عرماً لها وندلاً ، وكلاً الأمرين قبيح . ولو أراد ما ظنَّه لكان له

(١) سورة طه ١٢١ . (٢) الثاني : « حال قاعه » .

في غير هذا القول مندوحة ، ولكان يقول : إني ما أكرهتكم ولا تحببتكم على مبايعتي ، وما كنت أبالي ألا يكون هذا الأمر في ولايتي ، وإن معارفته لتسرتني لولا ما أكرهت به الدخول فيه من التمسك به ، ومتى عدلنا عن طواهر الكلام بلا دليل ، جرى ذلك علينا ما لا يقل لنا به . وأما أمير المؤمنين عليه السلام فإنه لم يقل أس عمر البينة بعد دحولها فيها وإنما استعفاء من أن يلزمه الشيعة ابتداء فاعفاء فنه فكر فيه ، وعلماً بأن إمامته لا تثبت بمبايعة من يؤايه عليها ، فإن هذا من استقالة بيعة قد تقدمت وأستقرت ^(١) !

قلت : أما قول أبي بكر : « ولست ببحركم » فقد صدق عند كثير من أصحابه لأن حرم علي بن أبي طالب عليه السلام ، ومن لا يقول بذلك يقول بما قاله الحسن البصري . والله إنه يعلم أنه حريم ، ولكن للؤمن بهضم نفسه . ولم يطمئن المرتضى فيه هذه اللفظة لطيل القول فيها . وأما قول المرتضى عنه إنه قال : « فإن لي شيطاناً يعزبني عند عصبي » ، فالشهور في الرواية : « فإن لي شيطاناً يعزبني » ^(٢) ، قال المفسرون : أراد بالشيطان المصيبة وسماه شيطاناً على طريق الاستعارة ، وكذا ذكره شيخنا أبو الحسين في « المرآة » . قال معاوية لإسحاق عصب في حضرته فكلمتم بما لا يشككم مثله في حصره الخلفاء : ارتفع على ظنكم ^(٣) أيها الإنسان ، فإنما عصب شيطان ، وإن لم نقل إلا حيراً .

وقد ذكر أبو جعفر محمد بن حرير الطبري في « كتاب التاريخ الكبير » حطقت أبي بكر عقيب بيعة بالسقية ، وعن نذكرها نقلاً من كتابه ، أما الخطبة الأولى هي :

(١) الشافعي ٤١٥ ، ٤١٦ . (٢) أي من غير ذكر لفظ « عصب » .

(٣) أربع على نفسك ؛ أي توقف .

أما بعد أيها الناس ، فَإِنِّي وَلِيَّتُكُمْ وَلَسْتُ بِمُخَيِّرِكُمْ ، فَإِنْ أَحْسَنْتُمْ فَأَعِيسُونِي ، وَإِنْ أَسَأْتُ فَعَوِّمُونِي ، لَأَنَّ الصِّدْقَ أَمَانَةٌ ، وَالْكَذِبُ حَيَاةٌ ، الضَّعِيفُ مِنْكُمْ قَوِيٌّ عِندِي حَتَّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقَّهُ ، وَالْقَوِيُّ مِنْكُمْ ضَعِيفٌ عِندِي حَتَّى آخِذَ الْحَقِّ بِهِ ، لَا يَدَّعِ قَوْمَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا أَضْرِبَهُمُ اللَّهُ بِاللَّيْلِ ، وَلَا تَشْعُرُ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ إِلَّا عَمَّهَمُ اللَّهُ بِاللَّيْلِ . أَطِيعُوا مَا أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، فَإِذَا عَصَيْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ : هُوُوا إِلَى صَلَاتِكُمْ رَحِيمٌ مِنَ اللَّهِ .

وَأَمَّا الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ فَهِيَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا مِثْلُكُمْ ، وَإِنِّي لَا أَدْرِي لَكُمْ سَتَكَلَّفُونِي مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطِيقُهُ ^(١) . إِنْ اللَّهُ أَسْطَفَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَعَصَمَهُ مِنَ الْآهَاتِ ، وَإِنَّمَا أَنَا مَتَّعٌ وَلَسْتُ بِمُتَشَوِّعٍ ، فَإِنْ اسْتَقَمْتُ فَاتَّبِعُونِي ، وَإِنْ رُعِنْتُ فَعَوِّمُونِي ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبِضَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَطْلُقُهُ بِعِلْفَةٍ ضَرْبَةٍ سَوْطًا فَمَا دُونَهَا إِلَّا وَلِيٌّ لِي شَيْطَانًا يَمْرُسُنِي ، فَإِذَا عَصَيْتُمْ فَأَحْتَسِبُونِي لَا أَؤْتِرُ فِي أَشْجَارِكُمْ وَأَنْشَارِكُمْ إِلَّا وَأَنْتُمْ تَعْدُونَ وَتَرْوِحُونَ فِي أَحْلٍ هَذَا غَيْبٌ عَنْكُمْ عِلْمُهُ ، فَإِنْ اسْتَظَمْتُمْ إِلَّا بِمَصِيٍّ هَذَا الْأَحْلُ إِلَّا وَأَنْتُمْ فِي عَمَلٍ صَالِحٍ فَافْعَلُوا ، وَلَنْ تَسْتَظِلُّوا ذَلِكَ إِلَّا بِاللَّهِ . فَاسْقُوا فِي مَهَلٍ آحَالِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُسَلِّمَ آحَالُكُمْ إِلَى انْقِطَاعِ الْأَعْمَالِ ، فَإِنْ قَوْمًا نَسُوا آحَالَهُمْ ، وَحَمَلُوا أَعْمَالَهُمْ لَعِيرَمَ ، فَاسْهَأْكُمْ أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ . الْحَدُّ الْجَدُّ ! الْوَحْدُ الْوَحْدُ ! فَإِنْ رَأَيْتُمْ طَالِبًا حَيْثُ ، أَحْلُ ^(٢) مَرَّةً سَرِيعَ . احْدَرُوا الْمَوْتَ ، وَاعْتَرُوا بِالْآبَاءِ وَالْأَبَاءِ وَالْإِحْوَانَ ، وَلَا تَمِطُوا الْأَحْيَاءَ إِلَّا بِمَا يُعَبِّطُ بِهِ الْأَمْوَاتُ ^(٣) .

إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْتُلُ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا مَا يُرَادُ بِهِ وَحَقُّهُ ، فَأَرِيدُوا وَحْدَ اللَّهِ بِأَعْمَالِكُمْ ، وَاعْمَلُوا

(١) الطبري : « يطيق » .

(٢) الطبري : « أحلا » . (٣) إلى هذا في النسخة الأخيرة : « ولا يمدحها من خطبة أخرى » .

أَنْ مَا أَخْلَصْتُمْ لَهٗ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَلَطَاعِيَةً أَيْتَمُّوْهَا ، وَحَطَّ ظَنَرْتُمْ بِهِ ، وَضَرَّائِبَ أَدَيْتُمُوْهَا ،
وَسَلَبَ قَدْ مَتَمُّوْهُ مِنْ أَيَّامٍ ثَابِتَةٍ لِأُخْرَى نَاقِيَةٍ ، لِحَيْسٍ فَفَرَكُمْ وَحَاحَتِكُمْ ؛ فَاعْتَرَوْا عِبَادَ اللَّهِ عَنْ
مَاتَ مِنْكُمْ ، وَتَمَكَّرُوا فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ؛ أَيْنَ كَلَّوْا أَمْسَ وَأَيُّنَ هُمْ الْيَوْمَ ! أَيْنَ الْخِتَارُونَ ؟
أَيْنَ الَّذِينَ كَانَ لَهُمْ ذِكْرُ الْقِتَالِ وَالْمَعْنَةِ فِي مَوْطِنِ الْحَرْبِ ! قَدْ تَصَمَّصَعَ بِهِمْ الدَّهْرُ ، وَصَارُوا
رَمِيًّا ، قَدْ تَرُكْتَ عَلَيْهِمُ الْقَالَاتِ الْحَبِثَاتِ ، وَإِنَّا الْحَبِثَاتِ لِلْحَبِثِينَ وَالْحَبِثُونَ لِلْحَبِثَاتِ .
وَإِنَّ الْمُلُوكَ أُنْدَى أَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا ! قَدْ بَمَدُّوا بَسِيًّا دَكْرَهُمْ ، وَبَقِيَ دَكْرُهُمْ
وَصَارُوا كَلَّاشِيًّا . أَلَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْفَى عَلَيْهِمُ التَّيَمَّاتِ ، وَقَطَّعَ عَنْهُمْ أَشْهُوَاتِ وَمَصَوًّا
وَالْأَعْمَالِ أَعْمَالَهُمْ ، وَالْدُنْيَا دِيًّا عَيْرَهُمْ ، وَبَقِيََا حَقًّا مِنْ نَعْمِهِمْ ، فَإِنْ نَحْنُ اعْتَرَيْنَا بِهِمْ
نَحْوًا ، وَإِنْ اعْتَرَيْنَا كَمَا مِثْلَهُمْ . أَيْنَ الْوَمَاءُ ^(١) الْخَسَنَةُ وَخَوْهُمْ ، الْمُعْتَبُونَ نَشَابَهُمْ !
صَارُوا تَرَانَا ، وَصَارَ مَا فَرَطُوا فِيهِ حَسْرَةً عَلَيْهِمْ ، أَيْنَ الَّذِينَ سَوَّاءِ الدَّائِي وَحَصَّنُوْهَا بِالْحَوَائِظِ ،
وَحَصَّنُوا فِيهَا الْمُحَافَاتِ ، وَتَرَكُوْهَا لِمَنْ حَقَّقَهُمْ ! فَتَلَّكَ مَسَاكِنُهُمْ حَاوِيَةً ، وَهُمْ فِي ظُلْمِ
الْقُبُورِ ، ﴿ هَلْ تُحِصُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ نَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرًا ﴾ ^(٢) . أَيْنَ مَنْ نَعْرِفُونَ مِنْ
آبَائِكُمْ وَإِحْوَاكُمُ ! قَدْ انْتَهَتْ بِهِمْ آحَالُهُمْ فَوَرَدُوا عَلَى مَا قَدِمُوا عَلَيْهِ ، وَأَقَامُوا لِلشَّقْوَةِ
وَالسَّعَادَةِ . أَلَا إِنَّ اللَّهَ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَيْسَ بِهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ سَبَبٌ يُعْطِيهِ بِهِ
حَيًّا ، وَلَا يَصْرِفُ عَنْهُ شَرًّا إِلَّا بِطَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ ، وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عِبَادٌ مُدْبِسُونَ ،
وَأَنَّ مَا عِنْدَهُ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِتَقْوَاهُ وَعِبَادَتِهِ . أَلَا وَبِهِ لَا حَبِيرَ بِحَبِيرٍ بَعْدَهُ النَّارُ وَلَا شَرَّ لَشَرِّ
بَعْدَهُ الْجَنَّةُ ^(٣) .

فَهَذِهِ حُطْبَتَا أَبِي بَكْرٍ يَوْمَ السَّقِيَّةِ ، وَايَوْمَ أُنْدَى بَدِيهِ ، إِنَّمَا قَالَ : « إِنَّ لِي شَيْطَانًا
يَعْتَرِينِي ، وَأَرَادَ بِالشَّيْطَانِ الْغَضَبَ ، وَلَمْ يُرَدَّ أَنْ لَهُ شَيْطَانًا مِنْ مَرَدَةِ الْجَنِّ يَمْتَرِيهِ إِذَا

(١) الوماء : دَوْرُ الْوَسَاءَةِ وَالْمَسِي . (٢) سُورَةُ مَرْيَمَ : ٩٨ .

(٣) تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ٣ : ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

نصب الزيادة فيما ذكره المرتضى في قوله : « إن لي شيطاناً يمتري عند غضبي » ، تحريف لا عمالة ، ولو كان له شيطان من الجن يمتاده ويؤنه لكان في عداد المصروعين من المجانين ، وما ادعى أحد على أبي بكر هذا لا من أوليائه ولا من أعدائه ؛ وإنما ذكرنا خطبته على طولها والراد منها كلمة واحدة ، لئلا فيها من الفصاحة والموعظة على عادتنا في الاعتناء بإبداع هذا الكتاب ما كان داهياً هذا لذهب ، وسالك هذا السيل .

فأما قول المرتضى : « فهذه صفة من ليس بمقصوم » ، فالأمر كذلك والعصمة عندنا ليست شرطاً في الإمامة ولولم يدل على عدم اشتراطها ؛ إلا أنه قال على الخبر بمحذور الصحابة هذا القول ، وأقرّوه على الإمامة - لكن في عدم كون العصمة شرطاً ، لأنه قد حصل الإجماع على عدم اشتراط ذلك ، إذ لو كان شرطاً لأبكر منكرو إمامته كما لو قال :
إني لا أصدر عن شرب الخمر وعن الزنا

فأما قوله . « هذه صفة طائر لا عليك منه » ، فليسرى إن أبكر كل حديثاً ، وقد ذكره عمر بذلك ، وذكره غيره من الصحابة بالجدد والسرعة ؛ ولكن لا بحيث أن تبطل به أهليته للإمامة ؛ لأن أئدي يطل الإمامة من ذلك وما يجرح الإنسان عن العقل ، وأما ما هو دون ذلك فلا . وليس قوله : « فأحسنوني لا أؤثر في أعماركم وأبشاركم » محمول على طاهره ، وإنما أراد به المبالغة في وصف انقوة المصيبة عنده ، وإلا فما سمعنا ولا نقل ناقل من الشيعة ولا من غير الشيعة أن أبكر في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله ولا في الخاهلية ولا في أيام خلافته أحتق على إنسان فقام إليه فصر به بيده ومزق شعره .

فأما ما حكاه قاضي القضاة عن الشيخ أبي علي من تشبيه هذه اللفظة بما ورد في القرآن ؛ فهو على تقدير أن يكون أبو بكر عني الشيطان حقيقة . وما أعتصم به البرصى ثابته عليه غير لازم ، لأن الله تعالى قال : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ ﴾ ، وتمق ذلك قولها

وسوسته ، وأكلهما من الشجرة ، فكيف يقول المرتضى : ليس قول أبي بكر بمنزلة من وسوس له الشيطان فلم يُطعه ! وكذلك قوله تعالى في قصة موسى لما قتل القبطي : ﴿ هَذَا مِنْ كَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾ ، وكذلك قوله : ﴿ فَأَرَأَيْتُمَا الشَّيْطَانُ عَمَّا ﴾ ، وقوله : ﴿ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ ، وما ذهب إليه المرتضى من التأويلات مبنية على مذهبه في العصمة السكتية ، وهو مذهب يحتاج في نصرته إلى تكلف شديد ويستف عظيم في تأويل الآيات ؛ على أنه إذا سلم أن الشيطان أنقضى بدعوة الرسول صلى الله عليه وآله ما ليس من القرآن حتى ظنه السامعون كلاماً من كلام الرسول ، فقد نقص دلالة التسمير المفتضية عنه في العصمة ، لأنه لا تغيير عنه أبلغ من تكبير الله الشيطان أن يحلط كلامه بكلامه ، ورسوله يؤديه إلى المكلفين حتى يعتمد السامعون كالمؤمنين أن الكلامين كلام واحد .

وأما قوله : بن آدم كل من سدوا إلى الأكل من الشجرة لا يحرم عليه أكلها ، ولمعة « عصى » إنا المراد بها جاليد السدود^(١) ، ولمعة « عوى » ؛ إنا المراد « حاب » من حيث لم يستحق الثواب على اعتقاد ما يذب إليه ؛ فنقول يدفعه ظاهر الآية ، لأن الصيغة صيغة النهي ، وهي قوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ واسمى عند المرتضى يقتضي التحريم لا محالة ، وليس الأمر الذي قد يراد به التدب ، وقد يراد به الوُحوب .

وأما قول شيخنا أبي علي : إن كلام أبي بكر حرج محرر الإشفاق والحدار من العصية عند الغضب مجيد .

وأعترض المرتضى عليه بأنه ليس ظاهر اللفظ دال على غير لارم ، لأن هذه عادة العرب ، يهتفون عن الأمر بما هو منه بسبب وسبيل ، كقولهم : لا تدن من الأسد فياً كلك ، وليس أنهم قطعوا على الأكل عند الدنو ، وإنما أراد الحذر والحوط والتوقع للأكل عند الدنو .

(١) ١ : « التدب » .

وأما الكلام في قوله : « أفيلوي » ، فلو صَحَّ الخبرُ لم يكن فيه مطعن عليه ، لأنه إنما أراد في اليوم الثاني اختبارَ حالهم في البيعة التي وقعت في اليوم الأول ليعلم وليُّه من عدوِّه منهم ؛ وقد رَوَى جميعُ أصحاب السِّيرَانِ أميرَ المؤمنين حَطَبُ في اليوم الثاني من بيعته فقال : أيُّها الناس ؛ إنكم بايعتموني على السمع والطاعة ، وأنا أعرض اليوم عليكم ما دعوتكموني إليه أمس ، فإن أحْتَمَ قعدتُ لكم ، وإلا فلا أحد على أحد . وليس بحيد قول المرتضى : إنه لو كان يريدُ المرض والسُّلْ لكان قد قال كذا وكذا ، فإن هذه مُصَابِقة منه شديدة للألفاظ ، ولو شرعنا في مثل هذا لفسد أكثر ما يتكلم به الناس . على أن لو سلمنا أنه استفهم البيعة حقيقةً ، فلم قل المرتضى : إن ذلك لا يجوز ؟ أليس يجوز للقاضي أن يستقبل من القضاء بعد توليته^(١) إتياء ، ودخوله فيه ! فكذلك يجوز للإمام أن يستقبل من الإمامة إذا أس من نفسه شيئاً عنها ، أو أس من دعيته سؤة عنه ، أو أحسن بصاد يشأ في الأرض من جهة ولايته على الناس ؛ ومن يذهب إلى أن الإمامة تكون بالاختيار كيف يجمع من حوار استقالة الإمام وحده إلى الأمة أن يختاروا غيره لئلا يعلمه من حال نفسه ! وإنما يجمع من ذلك المرتضى وأصحابه القائلون بأن الإمامة بالنص ، وإن الإمام عمرٌم عليه ألا يقوم بالإمامة ، لأنه مأمور بالقيام بها لتعيينه خاصة دون كل أحد من المكلفين . وأصحاب الاختيار يقولون : إذا لم يكن ريد إماماً كان عمرٌو إماماً عوضه ، لأنهم لا يعترضون الشروط التي يعتبرها لإمامية من المصنعة ، وأنه أفضل أهل عصره وأكثرهم ثواباً وأعلمهم وأشجعهم ، وغير ذلك من الشروط التي تقتضي تفرده وتوحيده بالأمر ، على أنه إذا حار عدم أن يترك الإمام الإمامة في الظاهر كما فعله الحسن ، وكما فعله غيره من الأئمة بعد الحسين عليه السلام للتقية ، جاز للإمام

(١) كذا في أو د ، وفيه : « توليه » .

على مذهب أصحاب الاختيار أن يترك الإمامة طاهراً واطناً لمدركه من حال نفسه أو حال رعيته .

الطعن الثاني

قال قاضي القضاة بعد أن ذكر قول عمر : « كانت بيعة أبي بكر فتنه » - وقد تقدم مما القول في ذلك في أول هذا الكتاب : ومما علموا به على^(١) أبي بكر أنه قال عند موته ليتني كنت سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن ثلاثة ، قد كره في أحدها : ليتني كنت سألت : هل للأئصار في هذا الأمر حق ؟ قالوا ، وذلك يدل على شكك في صحة بيعته ، وربما قالوا : قد روي أنه قال في مرضه . ليتني كنت تركت بيت فاطمة لم أكن كشيء ، وليتي في طلة بني ساعدة كنت : فخرت على [بق]^(٢) أحد الرّاحلين ، فكان هو الأمير ، وكنت الورير . قالوا : وذلك يدل على ما روي من إقدامه على بيت فاطمة عليها السلام عند اجتماع علي عليه السلام والزبير وغيرهما فيه ، ويدل على أنه كل يرى الفصل لغيره لا لنفسه .

قال قاضي القضاة : وال جواب أن قوله : « ليتني » لا يدل على الشك فيها تمام ، وقول إبراهيم عليه السلام : « رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ نُحْيِي الْمَوْتَى قُلْ أَوْ لَمْ نُؤْمِنْ قَالْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لَّيُظْمَرُنَّ قُلُوبُنَا »^(٣) أقوى من ذلك في الشبهة . ثم حمل تميمه على أنه أراد سماع شيء مفصل ، أو أراد : ليتني سألته عند الموت ، لقرب العهد ، لأن ما قرب العهد لا يُسرى ويكون أردع للأئصار على ما حاولوه . ثم قال : على أنه ليس في ظاهره أنه تسمى أن

(١) ب : « في » . (٢) تكملة من كتاب الثاني .

(٣) سورة الفرقة ٦٢ .

يسأل : هل لهم حق في الإمامة أم لا ؟ لأن الإمامة قد يتمتع بها حقوق سواها . ثم دفع الرواية المتعلقة ببیت فاطمة عليها السلام ، وقال : فإما نختيه أن يبيع غيره ؛ فلو ثبت لم يكن ذمّا لأن من اشتد التكليف عليه فهو يتمنى خلافه ^(١) .

لعترض المرتضى رحمه الله هذا الكلام فقال : ليس يجوز أن يقول أبو بكر : « ليتني كنت سألت عن كذا » . إلا مع الشك وشبهة ، لأن مع العلم واليقين ^(٢) لا يجوز مثل هذا القول ، هكذا يقتضي الظاهر ، فإما قول إبراهيم عليه السلام ، فإما سأل أن يعدل عن ظاهره لأن الشك لا يجوز على الأشياء ، ويجوز على غيرهم ؛ على أنه عليه السلام قد سأل عن نفسه الشك بقوله : ﴿ تَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ ، وقد قيل : إن مُرَوِّدَ قال له : إذا كنت زعم أن لك دماً يُحمي الموتى سألته أن يُحمي لنا ميتاً إن كان على ذلك قادراً ، فإن لم نعمل ذلك قتلناك ، فأراد بقوله : ﴿ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ ، أي لَأَمِّنَ تَوَعَّدَ عدوك لي بالقتل . وقد يجوز أن يكون طلب ذلك تقوّمه وقد سألوه أن يرعى إلى الله تعالى فيه فقال : ليطمئن قلبي إلى إجابتك لي ، وإلى إراحة عتة قومي ، ولم يرد : ليطمئن قلبي إلى أنك تقدر على أن تُحمي الموتى ؛ لأن نفسه قد كان بذلك مطمئناً ، وأى شيء يريد أبو بكر من التمسيل أكثر من قوله : « بـ » هذا الأمر لا يصلح إلا لهذا الحق من قريش ! وأى فرق بين ما يقال عند الموت وبين ما يقال قبله إذا كان محفوظاً معلوماً ، لم تُرفع كلمة ولم تُسح !

وبعد ، فظاهر الكلام لا يقتضي ^(٣) هذا التخصيص ، ونحن مع الإطلاق والظاهر . وأى حق يجوز أن يكون للأئمة في الإمامة غير أن يتولاهم رجل منهم حتى يجوز أن يكون الحق الذي نعتي أن يسأل عنه غير الإمامة ! وهل هذا إلا تصف وتكلف !

(١) نقل المرتضى في الشارح ٤١٩ . (٢) تاج : « اليقين » . (٣) ١ : « يقضي » .

وأى شبهة تبقى بعد قول أبي بكر : لينى كنت سأله : هل للأئصار فى هذا الأمر حق فكلنا لا نتارعه أهله ؟ ومعلوم أن التدرع يقع بينهم إلا فى الإمامة نفسها ، لا فى حق آخر من حقوقها .

فأما قوله : إنا قد بينا أنه لم يكن منه فى بيت فاطمة ما يوجب أن يتبنى أنه لم يفعله ؛ فقد بينا فساد ما ظنه فيما تقدم .

فأما قوله : إن من اشتد التكليف عليه قد يسمى حلافه ؛ فليس بصحيح ؛ لأن ولاية أبى بكر إذا كانت هى التى اختصها الدين ، والنظر للمسلمين فى تلك الحال وما عداها كان معسدة ، ومؤدباً إلى الفتنة ، فالتمنى لحلافها لا يكون إلا فيجاً^(١) .



قلت : أما قول قاصى المصاه : إن هذا ، انتهى لا يقتضى الشك فى أن الإمامة لا تكون إلا فى فريش ، كما أن قول إبراهيم : ﴿ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ ، لا يقتضى شك فى أنه تعالى قادر على ذلك فحيد .

فأما قول المرتضى : إنما سأل أن يمدح عن الطاهر فى حق إبراهيم لأنه سئ معصوم لا يحور عليه الشك ؛ فيقال له : وكذلك يسمى أن يمدح عن صاهر كلام أبى بكر ، لأنه رجل مسلم عاقل ، فحسن الظن به يقتضى صيانة أقواله وأفعاله عن التافض . قوله : إن إبراهيم قد نفي عن نفسه الشك بقوله : ﴿ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ فدا : إن أبى بكر قد نفي عن نفسه الشك بدفع الأئصار عن الإمامة وإثباتها فى فريش خاصة ، فإن كانت لفظة « بلى » دافعة لشك إبراهيم الذى يقتضيه قوله : ﴿ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ ، ففعل أبى بكر وقوله يوم السقيفة

(١) الشافى ٤١٩ ، وفى د : « إلا سباً » .

يَدْفَعُ الشَّكَّ الَّذِي يَقْتَضِيهِ قَوْلُهُ : « لَيْتَنِي سَأَلْتُهُ » ، وَلَا فَرْقَ فِي دَفْعِ الشَّكِّ بَيْنَ أَنْ يَتَقَدَّمَ
الدَّافِعُ أَوْ يَتَأَخَّرَ أَوْ يُقَارَنَ .

ثمَّ يُقَالُ لِلْمُرْتَضَى : أَلَسْتَ فِي هَذَا الْكِتَابِ - وَهُوَ « الشَّاقِي » - بَيَّنْتَ (١) أَنَّ قِصَّةَ
السُّنَيْمَةِ لَمْ يَحْمَرْ فِيهَا ذِكْرُ نَصْرٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثَانِ الْأُئِمَّةِ مِنْ قُرَيْشٍ ،
وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هَاكِ إِلَّا احْتِجَاجُ أَبِي نَكْرٍ وَعَمْرٍ ثَانِ قُرَيْشٍ أَهْلُ الْبَيْتِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَعَشِيرَتُهُ ، وَأَنَّ الْعَرَبَ لَا تَطْلُغُ عِزَّ قُرَيْشٍ ؛ وَذَكَرْتَ عَنْ الزَّهْرِيِّ وَعِيره أَنَّ الْقَوْلَ
الْمُتَّاعِدَ عَنِ أَبِي نَكْرٍ : إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَصِحُّ إِلَّا لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ ، لَيْسَ نَصًّا مَرْوِيًّا
عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ مَوْلًى قَالَهُ أَبُو نَكْرٍ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ ، وَرَوَيْتُ
فِي ذَلِكَ الرِّوَايَاتِ ، وَنَقَلْتُ مِنَ الْكِتَابِ مِنْ تَلْوِيحِ الطَّرِيقِ وَعِيره صُورَةَ الْكَلَامِ وَالْحَدَالِ
الْبَاطِلِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَنْصَارِ ! هَذَا كُلُّهُ هَذَا قَوْلُكَ هَبْ سَكْرًا عَلَى أَبِي نَكْرٍ قَوْلُهُ : لَيْتَنِي كُنْتُ
سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَلْ لِلْأَنْصَارِ فِي هَذَا الْأَمْرِ حَقٌّ ؟ لِأَنَّهُ لَمْ تَسْمَعْ النَّصْرَ
وَلَا دَوَاهٍ وَلَا رَوَى لَهُ ؛ وَإِنَّمَا دَفَعَ الْأَنْصَارَ سَوْعًا مِنَ الْحَدَالِ ؛ فَلَا حَرَمَ بَعِيٍّ فِي نَفْسِهِ شَيْءٌ
مِنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ عِنْدَ مَوْتِهِ : لَيْتَنِي كُنْتُ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . وَلَيْسَ ذَلِكَ
مِمَّا يَقْتَضِي شَكَّهُ فِي بَيِّنَتِهِ كَأَرْعَمِ الطَّاعِي ، لِأَنَّهُ إِذَا بَشَّكَ فِي بَيِّنَتِهِ لَوْ كَانَ قَالَ قَاتِلُ
أَوْ دَهَبُ دَاهِبٍ إِلَى أَنَّ الْإِمَامَةَ لَيْسَتْ إِلَّا فِي الْأَنْصَارِ ، وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ ذَلِكَ ، بَلِ الرَّاعِ
كُلُّهُ فِي : هَلِ الْإِمَامَةُ مَقْصُورَةٌ عَلَى قُرَيْشٍ - مَعَةً ، أَمْ هِيَ فَوْضَى بَيْنِ السَّائِسِ كُلِّهِمْ ؟
وَإِذَا كَانَتْ الْحَالُ هَذِهِ لَمْ يَكُنْ شَاكًّا فِي بَيِّنَتِهِ وَقَوْلُهُ : « لَيْتَنِي سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « هَلِ لِلْأَنْصَارِ فِي هَذَا حَقٌّ ؟ » لِأَنَّ بَيِّنَتَهُ عَلَى كَلَا التَّقْدِيرَيْنِ تَكُونُ
صَحِيحَةً .

(١) فِي د « أَثْبَت » .

فأما قولُ قاضي القضاة : لعله أراد حقاً للأخصار غير الإمامة نفسها ؛ فليس بجيد ،
والذي اعترضه به المرتضى جيد ، فإن الكلام لا يدلُّ إلا على الإمامة نفسها ، ولفظه المازعة
تؤكد ذلك .

وأما حديث المجهوم على بيت «طمة عيب السلام فقد تقدّم الكلام فيه ، والطاهرُ
عندي صحة ما يرويه المرتضى والثيمة ، ولكن لا كل ما يروونه ، بل كل بمص ذلك ،
وحق لأبي بكر أن يدم ويتأسف على ذلك ، وهذا يدلُّ على قوة ديبه وحقه من الله تعالى ،
فهو بأن يكون منقبة^(١) له أولى من كونه طعنا عليه .

فأما قولُ قاضي القضاة : إن من اشتد التكليفُ عليه فقد يتمنى خلافة واعتراضُ
المرتضى عليه ، فكلام قاضي القضاة أصح وأسوب ، لأنَّ أبا بكر - وإن كانت ولايته
مصلحةً وولايةً غيره ممسدة - فإنه ما يتمنى أن يكون الإمام غيره ، مع استلزام ذلك
للمسدة ، بل تمنى أن يلى الأمر غيره وتكون المصلحة محالها ، ألا ترى أن حصالَ
الكفارة في اليمين كل واحدة منها مصححة ، وما عداها لا يقوم مقامها في المصلحة ،
وأحدها يقوم مقام الأخرى في المصلحة فان أبو بكر تمنى أن يلى الأمر عمر أو أبو عبيدة
بشرط أن تكون المصلحة الدينية التي تحصل من نيته حاصلة من نيته كل واحد
من الآخرين .

الطعن الثالث

قالوا : إنه وليَّ عمر الخلافة ، ولم يولِّه رسولُ الله صلى الله عليه وآله شيئاً

(١) منقبة أي مصرة .

من أعماله البتة إلا ما وآلاه يوم خيبر ، فرجع مهزوماً وآلاه الصدقة ، فمما شكاه العباس عزَّله .

أحاب قاضي القضاة بأن تركه عليه السلام أن يوليَّه لا يدلُّ على أنه لا يصلح لذلك ، ونوليَّته إياه لا يدلُّ على صلاحيته للإمامة ، فإنه صلى الله عليه وآله قد وليَّ خالد بن الوليد وعمر بن العاص ، ولم يدلُّ ذلك على صلاحيتهما للإمامة ، وكذلك تركه أن يوليَّ لا يدلُّ على أنه غير صالح ، بل اعتبر الصعاب التي تصحُّ للإمامة ، فإذا كُنتَ صالحاً لذلك ، وليَّ من قبلُ أو لم يُولَّ ، وتثبت أن النبي صلى الله عليه وآله ترك أن يوليَّ أمير المؤمنين عليه السلام أموراً كثيرة ولم يحبَّ إلا من يصلح لها ، وثبت أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يولِّ الحسين عليه السلام أبته ، ولم يمتنع ذلك من أن يصلح للإمامة . وحكى عن أبي عليٍّ أن ذلك إنما كان يصحَّ أن يتعلق به لو طعروا تنقص من عمرهما وآلاه ، فأما وأخواله معروفة في قيامه بالأمر حين تعجز عمن ، فكيف يصح ما قالوه ! وبعد فهلاً ذلَّ ما روي من قوله : وإن تولوا عمر نحدوه قوتاً في أمر الله ، فويُّ في يده على حوار ذلك ! وإن ترك النبي صلى الله عليه وآله توبيته ، لأن هذا القول أقوى من العمل ^(١) .

اعتزَّص المرتضى رحمه الله فقال : قد عيَّنا بالمادة أن من ترشَّح للكبار الأمور لا بدَّ من أن يدرَّج إياها بصغارها ، لأن من يريد نصب الملوك تأهيله للأمر من بعده لا بدَّ من أن يدرَّج عليه بكل قول وعد يدلُّ على ترشيحه لهذه المدة ، ويستكفيه من أمور ولاياته ^(٢) ما يطمع عنده أو يعاب على طئه صلاحه ما يريد له . وإن من يرى الملك مع حصوره وامتداد الزمان ونطاؤه لا يستكفيه شيئاً من الولايات ، ومتى وآلاه عزَّله ؛ وإنما يوليَّ غيره ويستكفي سواء ، لا بدَّ أن يذهب في الظن أنه ليس بأهل للولاية ، وإن جورنا أنه لم يولِّه لأسباب كثيرة سوى أنه لا يصلح للولاية ، إلا أن مع هذا التحوير لا بدَّ أن

(١) نقل المرتضى في الشافعي ٤١٩ . (٢) الشافعي : من أموره وولاياته .

يُنْبَلِ عَلَى الظَّنِّ بِمَا ذَكَرْنَاهُ . فَأَمَّا حُلُّهُ وَعَمْرُوهُ فَإِنَّمَا لَمْ يَصْلُحَا لِلْإِمَامَةِ لِفَقْدِ شُرُوطِ الْإِمَامَةِ فِيهِمَا ، وَإِنْ كَانَا يَصْلُحَانِ لِمَا وَرِثَاهُ مِنَ الْإِمَارَةِ ، فَتَرِكَ الْوَلَايَةَ مَعَ أَمْتِدَادِ الزَّمَانِ وَتَطَاوُلِ الْأَيَّامِ ، وَجَمِيعِ الشُّرُوطِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا تَقْتَضِي غَسَّةَ الظَّنِّ لِفَقْدِ الصَّلَاحِ ، وَالْوَلَايَةَ لَشَيْءٍ ^(١) لَا تَدُلُّ عَلَى الصَّلَاحِ لِفَيْرِهِ إِذَا كَانَتِ الشَّرَائِطُ فِي الْقِيَامِ بِدَلِّكَ الْعَمَلِ مَعْلُومًا فَقَدْ هُيَا . وَقَدْ نَجَّدَ الْمَلِكُ يُوْلَى نَحْوِ أُمُورِهِ مِنْ لَا يَصْلُحُ لِمُكِّ نَعْدِهِ لظُهُورِ فَقْدِ الشَّرَائِطِ فِيهِ ، وَلَا يَحْوَِرُ أَنْ يَكُونَ بِمَحْصَرَةٍ مِنْ يُرَشِّحُهُ لِلْمُكِّ بَعْدَهُ ، ثُمَّ لَا يُؤَلِّيه عَلَى تَطَاوُلِ الزَّمَانِ شَيْئًا مِنَ الْوَلَايَاتِ . فَبِالْفَرْقِ بَيْنِ الْوَلَايَةِ وَتَرْكِهَا فِيهَا ذَكَرْنَاهُ .

فَأَمَّا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِنْ لَمْ يَتَوَسَّعْ فِي أُمُورِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي حَيَاتِهِ ، فَقَدْ تَوَلَّى أَكْثَرَهَا وَأَعْظَمَهَا وَحَلَفَهُ فِي أَمْدِيَّةٍ ، وَكَانَ الْأَمِيرُ عَلَى الْجَيْشِ الْمَعْبُوثِ إِلَى حَبِيرٍ ، وَجَرَى الْفَتْحُ عَلَى يَدَيْهِ بَعْدَ أَنْ هَزَمَ مِنْ أَهْلِهِمْ مَعَهَا ، وَكَانَ الْمُؤَدَّى عَنْهُ سُورَةُ بَرَاءَةِ بَعْدَ قَتْلِ مَنْ عَرَّلَ عَنْهَا وَارْتَحَا عَنْهَا ^(٢) إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ عَظِيمِ الْوَلَايَاتِ وَالْمَقَامَاتِ عَمَّا يَطُولُ شَرْحُهُ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُؤَلِّ عَلَيْهِ وَآلِيًا قَطُّ لَكَوْ .

فَأَمَّا اعْتِرَاضُهُ بِأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَوَّلَ الْحُسَيْنَ صَعِيدٌ عَنْ الصَّوَابِ ، لِأَنَّ أَيَّامَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ تَطُلْ فَيَسْتَمَكُّ فِيهَا مِنْ صَرَاحَاتِهِ ، وَكَانَتْ عَلَى قِصَرِهَا مُنْقَسِمَةً بَيْنَ قِتَالِ الْأَعْدَاءِ ، لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا تَوَبَّعَ لَمْ يَنْتَ أَسْخَرَجَ عَلَيْهِ أَهْلُ النَّصْرَةِ فَاجْتَنَحَ إِلَى قِتَالِهِمْ ، ثُمَّ انْكَفَأَ مِنْ قِتَالِهِمْ إِلَى قِتَالِ أَهْلِ الشَّامِ ، وَتَمَقَّبَ ذَلِكَ قِتَالُ أَهْلِ التَّهْرَوَانِ ، وَلَمْ تَسْتَقِرَّ بِهِ الدَّارُ وَلَا أَمْتَدَّ بِهِ الزَّمَانُ ، وَهَذَا بِحُلَاكِ أَيَّامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الَّتِي تَطَاوَلَتْ وَامْتَدَّتْ ، عَلَى أَنَّهُ قَدْ نَصَّ عَلَيْهِ بِالْإِمَامَةِ بَعْدَ أَحِيهِ الْحَسَنِ ، وَإِنَّمَا تُطَلَّبُ الْوَلَايَاتُ لَعَنَةِ الظَّنِّ بِالصَّلَاحِ لِلْإِمَامَةِ .

فَإِنْ كَانَ هَذَا وَجْهُ يَقْتَضِي الْعَمَلُ بِالصَّلَاحِ لَهَا كُلُّ أَوَّلَى مِنْ طَرِيقِ الظَّنِّ ، عَلَى أَنَّهُ

(١) الْكَافِي لَشَيْءٍ .

لاحلاف بين المسلمين أن الحسين عليه السلام كان يصلح للإمامة وإن لم يؤله أبوه
الولايات ، وفي مثل ذلك خلاف من حال عمر ، فافترق الأمران . فأمّا قوله : إنه لم يعثر
على عمر بتقصير في الولاية ، فمن سلم بذلك ! أو ليس يعلم أن مخالفته تعدّ تقصيرا كثيرا ،
ولو لم يكن إلّا ما اتفق عليه من خطئه في الأحكام ورجوعه من قول إلى غيره ، واستثنائه
الناس في الصغير والكبير ، وقوله : كلّ امرئ أفقه من عمر ، لكان فيه كفاية . وليس
كلّ انمهورص بالإمامة يرجع إلى حسن التدبير والسياسة الدياوية ورمّ الأعمال والاستظهار
في حباية الأموال وتمصير الأمصار ووضع الأعشار ، بل حظ الإمامة من العلم بالأحكام
والفتيا بالحلّال والحرام ، والتاسيح والمسوح ، واهكمّ والمتشابه أقوى ، فمن قصر في هذا
لم يسمعه أن يكون كاملا في ذلك .

فأمّا قوله : مهلّادل ما روى من ثوبه عليه السلام : فإن « ولئتم عمر واحد قوم قويا
في أمر الله قويا في بدنه » ، فهذا لو كنت ليدّيه وقد تقدّم القول^(١) عليه . وأقوى ما يبيّطله
عدول أنى نكر عن ذكره ، والاحتجاج به لما أراد المنصّر على عمر ، فموت على ذلك وقيل
له : ما نقول لربك إذ ولّيت علينا قمّا عيظا ! هو كلّ صحيحا لكان يحتاج به ويقول :
ولّيت عليكم من شهد المي صلى الله عليه وآله ذاته قويا في أمر الله ، قويا في بدنه .
وقد قيل في القلم على صحة هذا الخبر : إن طاهره يقتضي تفصيل عمر على أنى نكر ،
والإجماع بخلاف ذلك ، لأنّ القوة في الجسم فصل ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا اللَّهُ اسْطَفَاهُ
عَلَيْكُمْ وَرَادَهُ نَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾^(٢) . وبعد ، فكيف يُمارض ما اعتمدناه من
عدوله عليه السلام عن ولايته . وهو أمر معلوم بهذا الخبر الردود المدفوع !

قلت : أمّا ما ادّعه من عادة الملوّك ، فالأمر بخلافه ، فإنّ قد وقفنا على
سير الأكليرة وملوك الرّوم وغيرهم ما سمعنا أن أحد منهم رشّع ولده

للملك بعده باستعماله على طرف من الأطراف ، ولا جيش من الجيوش ، وإنما كانوا يشقونهم بالآداب والفروسيّة في مقام مُنكهم لا غير ، والحال في ملوك الإسلام كذلك ، فقد سمعنا بالدولة الأمويّة ، ورأينا الدولة العباسيّة ، فلم نعرف الدولة التي ادّعاه المرتضى ، وإنما قد يقع في الأقلّ النادر شيء مما أشار إليه ، والأعلّ الأكثر خلاف ذلك . على أن أصحابنا لا يقولون إنَّ عمرَ كل مرشّح بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ليقالَ لهم : فلو كان قد رُشّحه للخلافة بعده لاستكفاه كثيرا من أموره ؛ وإنما عمرُ مرشّح عندهم في أيام أبي بكر للخلافة بعد أبي بكر ، وقد كان أبو بكر استعمله على القضاء مدّة خلافته ، بل كان هو الخليفة في المعنى ، لأنه قوَّص إليه أكثر التدبير ، فعلى هذا يكون قد سلّمنا أن ترك استعمال النبي صلى الله عليه وآله لعمرَ يدلّ على أنه غير مرشّح في نظره للخلافة بعده ، وكذلك تقول : ولا يلزَم من ذلك ألا يكون خليفة بعد أبي بكر ، على أن لا نسلم أنه عاين استعماله ، فقد ذكر الواقدي وابن إسحاق أنه بعثه في سرّيّة في سنة سبع من الهجرة إلى الوادي المعروف بثرمة - بضم الباء وفتح الراء - وبها جمع من هوازن ، فخرج ومعه دليل من بني هلال ، وكانوا يسرون الليل وكملّون النهار ، وأتى الخبر هوازن فهوربوا ، وجاء عمر محتلّم ، فلم يبقَ منهم أحد ، فانصرف إلى المدينة .

ثم يُعارض المرتضى بما ذكره قاضي القضاة من ترك تولية عليّ ابنه الحسين عليهما السلام ، وقوله في المُذَر عن ذلك : إنَّ عليّاً عليه السلام كان محموداً بخرّب الثمّة والخوارج لا يدفع المعارضة ؛ لأنَّ تلك الأيام التي هي أيام حروبه مع هؤلاء هي الأيام التي كان ينبغي أن يولي الحسين عليه السلام بعض الأمور فيها ، كاستعماله على جيش بعده سرّيّة إلى بعض الجهات ، واستعماله على الكوفة بعد حروجه منها إلى حرب صيفين ، أو استعماله على القضاء ،

وليس اشتغاله بالحرب يمنع له عن ولاية ولده ، وقد كان مشتغلا بالحرب ، وهو يولى
بني عمه العباس الولايات والملاذ الحبيبة .

فأما قوله : على أنه قد نص عليه بالإمامة بعد أخيه الحسن ؛ فهذا يُفنى عن توليته
شيئا من الأعمال ؛ فلما نزل أن يمنع ما ذكره من حديث النص ، فإنه أمره بتعديده
الشبهة وأكثر أبواب أسير والتواريخ لا يدكرون أن أمير المؤمنين عليه السلام نص
على أحد . ثم إن سماعه ذلك سماع لقاصي ، نقضه أن يقول : إن قول النبي صلى الله عليه
وآله : « اقتدوا باللذين من بعدي : أبي بكر وعمر » ؛ ينفي عن تولية عمر شيئا من
الولايات ، لأن هذا القول أكد من الولاية في ترشحه للخلافة .

فأما قوله . على أنه لا خلاف بين المسلمين في صلاحية الحسين للخلافة
وإن لم يولّه أبوه الولايات ، وفي عمر خلاف صاهر بين المسلمين ، فليست أن يقول له :
إجماع المسلمين على صلاحية الحسين للخلافة لا بدفع المارسة ، بل يؤكد بها ،
لأنه إذا كانت المسلمون قد أجمعوا على صلاحيته للخلافة ولم يكن ترك تولية أبيه
إتاء الولايات قادحا في صلاحيته له بعده ، حار أيضا أن يكون ترك تولية
رسول الله صلى الله عليه وآله عمر الولايات في حياته عبر قادح في صلاحيته
للخلافة بعده .

ثم ما ذكره من تقصير عمر في الخلافة بطريق اختلاف أحكامه ، ورجوعه إلى
فتاوى العلماء ، فقد ذكرنا ذلك فيما تقدم لنا نكلمنا في مطاعن الشيعة على عمر
وأجبنا عنه .

وأما قوله : لا يُفنى حسن التدبير والسياسة ورم الأمور ، مع القصور في الفقه ،
فاصحابا ينهبون إلى أنه إذا تساوى الثنا في حصال الإمامة إلا أنه كان أحدهما أعلم والآخر

أَسْوَم ، فإنَّ الأسْوَمَ أولى بالإمامة ، لأنَّ حاجةَ الإمامة إلى السياسة وحُسن التدبير
أَكْثَرُ من حاجتها إلى العِلْم والعِفَّة .

وأما الخبر المَرْوِيّ في عَمَر - وهو قوله : وَإِنْ تَوَلَّوْهَا عَمَرٌ - فيجوز ألا يكون
أبو بكر سَمِيحاً من رسول الله صَلَّى الله عليه وآله ، ويكون الراوى له غيره ، ويجوز أن
يكون سَمِيحاً وشَدّاً عنه أن يَحْتَجَّ به على طَبْعَةِ لَمَّا أَسْكُرَ استِحْلَافَ عَمَر ، ويجوز
ألا يكون شَدّاً عنه وترك الاحتجاج به استعفاء عنه لئله أن طابعة لا يُتَمَدَّ بقوله عند
الناس إذا طرأ قولُه . ولعمرة كَسَى عن هذا لصق بقوله : إذا سألني ربي قلتُ له :
استحللتُ عليهم خيرَ أهلِكَ ؛ على أنَّا متى فتحنا باب « هَلَّا احْتَجَّ هَلَّا بَكَدَا »
حرّاً علينا ما لا يَقتُل لنا به . وقيل : هَلَّا احْتَجَّ عليّ عليه السلام على طابعة وعائشة والزبير
بقول رسولِ الله صَلَّى الله عليه وآله : « مَنْ كَتَبَ مُوَلَاءَ هَذَا عَلِيٍّ مُوَلَاءَ » ، وهَلَّا احْتَجَّ
عليهم بقوله : « أَتَى مَتَى بِمِرْلَةٍ هَارُونَ مِنْ مُوسَى » ، ولا يُمكن الشيعة أن يستدروا هاهنا
بالتقية ، لأنَّ الشيوخ كانت قد سُلِّت من الفريقين ، ولم يكن مقام تَقِيَّةٍ .

وأما قوله : هذا الخبر لو صح لاقتضى أن يكون عمرُ أفضل من أي بكر ، وهو
خلافُ إجماع المسلمين ؛ فمماثل أن يقول : لم قلتُ إنَّ المسلمين أجمعوا على أنَّ أبا بكر
أفضلُ من عمر ، مع أنَّ كُتُبَ الكلام والتصانيف المصنَّفة في المقالات مشحونةٌ بذكر
العِرْقَةِ العُمَرِيَّةِ ، وهم القائلون إنَّ عمرَ أفضلُ من أي بكر ، وهي طائفةٌ عظيمةٌ من
المسلمين ، يقال : إنَّ عبدَ الله بن مسعود معهم ، وقد رأيتُ أن جماعةً من الفقهاء يذهبون
إلى هذا ، ويُنَظِّرون عليه ؛ على أنه لا يدلُّ خبرُ علي ما ذكره المرتضى ، لأنَّه وإن كان
عمرُ أفضلَ منه باعتبار قوَّة البدن ، فلا يدلُّ على أنَّه أفضلُ منه مطلقاً ، فمن الحائز أن
يكون بإزاء هذه الخصلة خصالٌ كثيرةٌ في أي بكر من حصالِ الخير يُفَضَّلُ بها على عمر ،

ألا ترى أننا نقول : أبو دُحانة أفضل من أبي بكر بمجاهده بالسيف في مقام الحرب، ولا يلزم من ذلك أن يكون أفضل منه مطلقا ، لأن في أبي بكر من حصال الفضل ما إذا قيس بهذه الحصلة أربى عليها أضعافا مضاعفة .

الطعن الرابع

قالوا : إن أبا بكر كان في جيش أسامة ، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله كثر حين موته الأمر بتنفيذ جيش أسامة ، فتأخره بنفسه بحالفة الرسول صلى الله عليه وآله . فإن قلتم : إنه لم يكن في الجيش ، ميل لكم : لا شك أن عمر بن الخطاب كان في الجيش ، وأنه حبسه ومنعه من التفرود مع القوم . وهذا كالأول في أنه معصية ، ورتما قالوا : إنه صلى الله عليه وآله حمل هؤلاء القوم في جيش أسامة ليمتدوا بعد وفاته عن المدينة ، فلا يقع منهم ثوب على الإمامة ، ولذلك لم يحمل أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك الجيش ، وحمل فيه أبا بكر وعمر وعثمان وعبرهم ، وحدث من أوكد الدلالة على أنه لم يرد أن يختاروا للإمامة (١) .

أجاب قاضي القضاة بأن أسكر أولا أن يكون أبو بكر في جيش أسامة ، وأحال على كتب المصاري ، ثم سلم ذلك وقال : إن الأمر لا يقتضي التفرؤ ، فلا يلزم من تأخر أبي بكر عن التفرؤ أن يكون عاصيا . ثم قال : إن خطابه صلى الله عليه وآله بتنفيذ الجيش يجب أن يكون متوجها إلى القائم بعده ، لأنه من خطاب الأئمة ، وهذا يقتضي ألا يدخل الخطاب بالتنفيذ في اللجنة ، ثم قال : وهذا يدل على أنه لم يكن هناك إمام منصوص عليه ، لأنه لو كان لأقتل بالخطاب عليه ، وحسنه بالأمر بالتنفيذ دون الجميع .

ثم ذكر أن أمر رسول الله صلى الله عليه وآله لا بد أن يكون مشروطاً بالصلحة وبأن لا يعرض ما هو أهم منه ، لأنه لا يجوز أن يأمرهم بالسفود ، وإن أعقب ضرراً في الدين ، ثم قوى ذلك بأنه لم يُسَكر على أسامة تأخره ، وقوله : « لم أكن لأسأل عنك الرّكْب » ؛ ثم قل : لو كان الإمام منصوباً عليه خذراً أن يستردّ حشاً أسامة أو بهمه لضرته ، وكذلك إذا كان بالأختيار ، ثم حكى عن الشيخ أن علياً استدلاله على أن أبا بكر لم يكن في جيش أسامة بأنه ولّاه الصلاة و مرّاه ، مع تكريره أمر الجيش بالنفوذ والمخرج .

ثم ذكر أن الرسول صلى الله عليه وآله إنما يأمر بما يتعلق بمصالح الدنيا من الحروب ومحوها عن احتياده ، وليس بواجب أن يكون ذلك عن وحي ، كما يجب في الأحكام الشرعية ، وأن احتياده يجوز أن يخالف بعد وفاته ، وإن لم يخز في حياته ، لأن احتياده في الحياة أولى من احتياده بعده ، ثم ذكر أن السّنة في احتساب عمر عن الحسن حاجة إلى تكرار إليه ، وقيامه بما لا يقوم به غيره ، وأن ذلك أحوط لدين من نفوذه .

ثم ذكر أن أمير المؤمنين عليه السلام حارّت معاوية بأمر الله تعالى وأمر رسوله ، ومع هذا فقد ترك محاربته في بعض الأوقات ، ولم يحب بذلك ألا يكون ممثلاً للأمر . وذكر توليته عليه السلام أبا موسى ، وتولية الرسول صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد مع حرّى (١) منهما وأن ذلك يقتضي الشرط .

ثم ذكر أن من يصلح للإمامة ممن صمّه جيش أسامة يحب تأخير اختيار الإمامة أحدهم ، فإن ذلك أهم من نفوذهم ، فإذا حارّ هذه السّنة التأخير قبل العقد جاز التأخير بعده للمعاونة وغيرها ، وطعن في قول من حمل إن إخراجهم في الجيش على حجة الإمداد لهم عن المدينة بأن قال : إن بُعدهم عن المدينة لا يمنع من أن يختاروا للإمامة ،

(١) و د « ظهر » .

ولأنه عليه السلام لم يكن قاطعاً على موته لا محالة ، لأنه لم يرد : قُذِّوا جيش أسامة في حياتي . ثم ذكر أن ولاية أسامة عليهما لا تقتضي فصله وأنها دونه ، وذكر ولاية عمرو بن العاص عليهما وإن لم يكونا دونه في الفصل ، وأن أحدا لم يُفضل أسامة عليهما .

ثم ذكر أن السب في كون عمر من حملة جيش أسامة أن عبد الله بن أبي ربيعة الخزومي قال عبد ولاية أسامة : تولى علينا شاباً حَدَثَ ونحن مشيخة قریش ! فقال عمر : يا رسول الله ، مرني حتى أصرب عقه ، فقد طس في تأميرك إياه ، ثم قال : أما أخرج في جيش أسامة توأماً وتمولياً لأمره عليه السلام .

اعترض المرتضى هذه الأخوة ، فقال : أما كون ابن بكر في جملة جيش أسامة مطاهر ، قد ذكره أصحاب السير والنوابع ، وَقَدْ رَأَى الْبَلَادُرِيُّ في تاريخه وهو معروف بالثقة والصسط ، وروى عن ثمالأة الشَّهْبَةِ ومدرستها ، أن أبا بكر وعمر ما كانا في جيش أسامة ، والإنكار لما يجري هذا الجري لا يُعْبَى شيئاً ، وقد كان يجب على من أحال بذلك على كتب الفأري في الجملة أن يوصي إلى الكتب المتضمنة لذلك بعينه ليرجع إليه ، فأما خطابه عليه السلام بالتنفيذ للجيش فالتصود به الفور دون التراخي ، أما من حيث مقتضى الأمر على مذهب من يرى ذلك لغةً ، وأما شره من حيث وحدنا جميع الأمة من لدن الصحابة إلى هذا الوقت يحملون أوامرهم على الفور ^(١) ، ويطلبون في تراخيها الأدلة . ثم لو لم شت كل ذلك لكان قول أسامة : لم أكن لأسأل عنك الرك ، أوضح دليل على أنه عقل من الأمر الفور ، لأن سؤال الرك عبث عليه السلام بعد وفاته لا معنى له .

(١) الشافعي : « من حيث دلل دليل الشرع عليه » .

وأما قول صاحب الكتاب : إنه لم يُكر على أسامة تأخره فليس بشيء ،
 وأى إكراه أبلغ من تكراره الأمر ، ونرداده القول في حال يُشغل عن المهم ،
 ويُقطع الفكر إلا فيها ! وقد كرّر الأمر على الأمور نارة بتكرار الأمر ، وأخرى
 فيه . وإذا سلمنا أن أمره عليه السلام كان متوخها إلى القائم بعده بالأمر لتسعيد الجيش
 بعد الوفاة لم يلزم ما ذكره من خروج المحدث بالتسعيد عن الجملة ؛ وكيف يصح ذلك
 وهو من جملة الجيش ، والأمر متضمن لتسعيد الجيش ! فلا بد من نفوذ كل من كان في
 جملة ، لأن تأخر بعضهم بسبب إسهال اسم الجيش على الإطلاق أو لس من مذهب
 صاحب الكتاب أن الأمر ناشئ أمر عما لا يتم إلا منه ! وقد اعتمد على هذا في مواضع
 كثيرة ، فإن كان خروج الجيش ونفوده لا يتم ، لا بخروج أى بكر ، فالأمر بخروج الجيش
 أمر لا يبنى بكر بالنفوذ والخروج ، وكذلك لو أُقِل عليه على سبيل التحصيص ؛ وقال :
 نادوا جيش أسامة ، وكان هو من جملة الجيش ، فلا بد أن يكون ذلك أمراً له بالخروج
 واستدلاله على أنه لم يكن هناك إمام مخصوص عليه عموم الأمر بالتسعيد ، ليس بصحيح ؛
 لأننا قد بينا أن الخطاب إنما توجه إلى الحصريين ، ولم يتوجه إلى الإمام بعده ؛ على أن
 هذا لازم له ، لأن الإمام بعده لا يكون إلا واحداً ، فلم يعمم الخطاب ولم يرد به الواحد
 فيقول : ليس بعد القائم من بعدى بالأمر جيش أسامة ، فإن الحال لا يختلف في كون الإمام
 بعده واحداً بين أن يكون مخصوصاً به أو مختاراً .

وأما ما ادّعى أن الشرط^(١) في أمره عليه السلام لم بالنفوذ باطل ، لأن إطلاق
 الأمر يمتنع من إثبات الشرط ، وإنما ثبت من الشروط ما يقتضيه الدليل إثباته من
 التمكن والقُدرة ، لأن ذلك شرط ثبت في كل أمر ورد من حكيم ، والمصلحة
 بخلاف ذلك ، لأن الحكيم لا يأمر بشرط المصلحة ، بل إطلاق الأمر منه يقتضى ثبوت
 المصلحة وانتفاء الفسدة ، وليس كذلك التمكن ، وما يجري مجراه ، ولهذا لا يشترط

(١) في د « وأما ادعاؤه الشرط » .

أُحْدِثُ فِي أَوَامِرِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالشَّرَائِعِ الْمَصْلُحَةِ وَانْتِفَاءِ الْمُسَدَّةِ .
وَشَرَطُوا فِي ذَلِكَ التَّمَكُّنَ وَرَفَعَ التَّمَدُّرَ ، وَلَوْ كَانَ الْإِمَامُ مَصْصُوحًا عَلَيْهِ بَعْبُهُ وَأُمَمُهُ لَمَّا حَارَ
أَنْ يَسْتَرِدَّ حَيْشَ أُسَامَةَ ؛ بِخِلَافِ مَا ضَمَّنَهُ ، وَلَا يَمْرُلُ مَنْ وَلَّاهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَا يُولَّى مِنْ عَرَلِهِ
لِلْعِلَّةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا .

فَإِنَّمَا اسْتَدْلَالُ أَبِي عَلِيٍّ عَلَى أَنَّ أَنَا نَكْرَمُ بِكَ فِي الْحَيْشِ مُحْدِثُ الصَّلَاةِ ، فَأَوَّلُ مَا فِيهِ
أَنَّهُ اعْتِرَافٌ بِأَنَّ الْأَمْرَ بِتَنْمِيزِ الْحَيْشِ كَانَ فِي الْحَيَاءِ دُونَ نَعْدِ الْوَفَاةِ ، وَهَذَا بِإِقْصَى مَا نَسَى
صَاحِبُ الْكِتَابِ عَلَيْهِ أَمْرُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

ثُمَّ إِنَّمَا قَدْ نَسِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يُؤَلِّهِ الصَّلَاةَ وَدَكَرَ مَا فِي ذَلِكَ . ثُمَّ مَا الْمَانِعُ مِنْ أَنْ
يُؤَلِّيه تِلْكَ الصَّلَاةَ إِنْ كَانَ وَلَّاهُ إِيَّاهَا ، ثُمَّ يَأْمُرُهُ بِالْعُودِ مِنْ بَعْدِ مَعَ أَخْذِهَا ! فَإِنَّ الْأَمْرَ
بِالصَّلَاةِ فِي تِلْكَ الْحَالِ لَا يَقْتَضِي أَمْرَهُ بِهَا عَلَى التَّأْيِيدِ

وَأَمَّا ادِّعَاؤُهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَأْمُرُ بِالْحُرُوبِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا عَنْ أُحْتِهَادِ
دُونَ الْوَحْيِ ، فَمَعَادَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ صَحِيحًا ، لِأَنَّهُ حُرُوبُهُ عِنْدَ السَّلَامِ لَمْ يَكُنْ يَتَّصِلُ بِهَا بِمَحْتَضٍ
بِمَصَالِحِ أُمُورِ الدُّنْيَا ، بَلْ لِلدُّنْيَى فِيهَا أَقْوَى تَعَمُّقٍ ، لِيَا يَعُودَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَاهِدِهِ بِفَتْوحِهِ مِنْ
الْعَرِّ وَالْقُوَّةِ وَعَبْوَةِ الْكَلَمَةِ . وَلَيْسَ يَحْرَى ذَنْتُ مَجْرَى أَكَلِهِ وَشُرْبِهِ وَبُؤْسِهِ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ
لَا تَعَلَّقُ لَهُ بِالْأَنْبِيَاءِ ، فَيُحْذَرُ أَنْ يَكُونَ عَنْ رَأْيِهِ ، وَلَوْ حَارَ أَنْ نَكُونَ مَعَارِيهِ وَنَمُوْنُهُ مَعَ اسْتَعْلَى
أَقْوَى لَهَا بِالْأَنْبِيَاءِ عَنْ أُحْتِهَادِ لِحَارَ ذَلِكَ فِي الْأَحْكَامِ .

ثُمَّ لَوْ كَانَ ذَلِكَ عَنْ أُحْتِهَادِ لَأَسَاعَتْ بِحُفْنِهِ فِيهِ نَعْدَ وَفَاتِهِ ، كَمَا لَا تَسُوعُ فِي حَيَاتِهِ .
فَكُلُّ عِلَّةٍ تَمْنَعُ مِنْ أَحَدِ الْأُمُورِ هِيَ مَانِعَةٌ مِنَ الْآخَرِ . فَأَمَّا الْإِعْدَادُ لَهُ عَنْ حَتْسِ عَمَرٍ
عَنِ الْجَيْشِ بِمَا دَكَرَهُ فَمَا طُلَّ ؛ لِأَنَّا قَدْ قَبَّلْنَا : إِنَّ مَا يَأْمُرُهُ بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَسُوعُ مُحَافَتُهُ مَعَ
الْإِمْكَانِ ، وَلَا مُرَاعَاةَ لِيَا عَسَاءَ يَمْرُضُ فِيهِ مِنْ رَأْيِ غَيْرِهِ ، وَأَيَّ حَاجَةٍ إِلَى عَمَرٍ بَعْدَ تَقَامِ
الْعَقْدِ ، وَاسْتِقْرَارِهِ وَرِضَا الْأُمَّةِ بِهِ ، عَلَى طَرِيقِ (١) أَهْلَابِ وَإِجْمَاعِهَا عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَكُنْ

هناك فتنة ولا تنازع ولا اختلاف يُحتج فيه إلى مشاورته وتديره ! وكل هذا تسلل باطل .

فأما محاربة أمير المؤمنين عليه السلام معاوية فإنه كان مأموراً بها مع التمكن ووجود الأنصار ، وقد فعل عليه السلام من ذلك ما وَحَّيَ عليه لما تمكن منه ، فأما مع التمدد وقلة الأنصار فكل مأمور بها . وليس كذلك القول في حبس أسامة ، لأن تأخر من تأخر عنه كان مع القدرة والتكس ، فاما توبة أبي موسى فلا يدرى كيف يشبه ما نحن فيه ، لأنه إنما ولّاه بأن يرجع إلى كتب الله تعالى فيحكم فيه وفي خصمه بما يقتضيه ، وأبو موسى فعل خلاف ما حُمِلَ إليه ، ثم يكن محتثلاً لأمر من ولّاه ، وكذلك خالد بن الوليد إنما خالف ما أمره به الرسول صلى الله عليه وآله فتبرأ من نفسه ، وكل هذا لا يشبه أمره عليه السلام بتنفيذ حاجب أسامة أمراً مطلقاً ، وتأكيده ذلك ونكراره ، فأما حبس أسامة فإنه لم يقم من يصح للإمامة ، فمحور تأخرهم ليعتار أحدهم على ما طهه صاحب الكتاب . على أن ذلك لو صح أيضاً لم يكن عذراً في التأخر ، لأن من خرج في الجيش يمكن أن يختار وإن كان ميّداً ، ولا يمنع بعده من صحة الاختيار ، وقد صرح صاحب الكتاب بذلك . ثم لو صح هذا العذر لكان عذراً في التأخر قبل العقد ، فأما بعد إرايمه فلا عذر فيه ، والمقصود التي ادّعاها قد بينا ما فيها .

فأما ادّعاء ^(١) صاحب الكتاب راداً على من جعل إخراج القوم في الجيش لئتم أمراً المص أن من أبغدهم لا يمنع أن يختاروا للإمامة فيدل على أنه لم يتبين معنى هذا الطعن على حقيقته ، لأن الطاعين به لا يقول : إنه أبغدهم لئلا يختاروا للإمامة ، وإنما يقول : إنه أبغدهم حتى ينتصب بعده في الأرض من نص عليه ، ولا يكون هناك من ينارعه ويحله .

وأما قوله : لم يكن قاطعا على موته فلا يضر تسليمه ، أليس كان مُشْفِعاً وخائفاً ! وعلى الخائف أن يتحرر عن تخاف منه . فإما قوله : فإنه لم يرد : فقدوا الجيش في حياتي فقد بقي ما فيه . فإما ولاية أسامة على من وُئى عليه ، فلا بد من اقتصاصها لفصله على الجماعة فيما كان والياً فيه ، وقد دَلَّلنا فيما تقدم من الكتاب على أن ولاية العَصُول على الفاضل فيما كان أفضل منه فيه قبيحة ، فكذلك القول بولاية عمرو بن العاص عليهما فيما تقدم ، والقول في الأصحاب واحد .

وقوله : إن أحدا لم يدَّعِ فضل أسامة عن أبي بكر وعمر ، فليس الأمر على ما ظنّه ، لأن من ذهب إلى فساد إمامة العَصُول لا بد من أن يُعَصَّل أسامة عليهما فيما كان والياً فيه ، فأما ادّعاؤه ما ذكره من السب في دخول عمر في الجيش فاعرفه ، ولا وقفاً عليه إلا من كتابه ، ثم لو صحح لم يُغْنِ شيئاً ، لأن عمر لو كان أفضل من أسامة لقسمه الرسول صلى الله عليه وآله من الدخول في إمارته والسير تحت لوائه ، والتواضع لا يقتضي قول الصبيح^(١)



قلت : إن الكلام في هذا الفصل قد شتت شتتاً كثيرة ، والرُتصَى رحمه الله لا يُورد كلام قاصي القصاة بمقتضى ، وإنما يُعَصِّره ويوردُه مبتوراً ، ويؤري إلى المعاني إيماءً لطيفاً ، وعرضه الإيجاز ، ولو أورد كلام قاصي القصاة بمقتضى لكان ألتقى ، وكان أبعد عن الطلّة ، وأدفع لعل قائل من حصومه : إنه يحرف كلام قاصي القصاة ، ويدكره على غير وجهه ، ألا ترى أن من نصب مقتضى لأختصار كلام فقد ضمن على نفسه أنه قد فهم معاني ذلك الكلام حتى يصح منه اختصاره ؛ ومن الحذر أن يظن أنه قد فهم

بعض الموضع ولم يكن قد فهمه على الحفينة ، فيحتصر ما في نفسه ؛ لا ما في تصديق ذلك الشخص ، وأما من يُورد كلام الناس بنصه فقد أسترّاح من هذه التبعة ، وعرض عقل غيره وعقل نفسه على الناظرين والسامعين .

ثم تقول : إن هذا الفصل ينقسم أساما :

منها قول قاضي القصاة : لا نُسلم أن أبا بكر كان في حيش أسامة .

وأما قول الرّصيّ : إنه قد ذكره أرباب السّر والتواريخ ، وقوله : إن اللّادريّ ذكره في تاريخه ، وقوله : هلاًّ عيّ قاضي القصاة الكتاب الذي ذكر أنّه يتصنّع عدم كونه أبي بكر في ذلك الحيش ! فإنّ الأمر عندى في هذا الموضع مثنيه ، والتواريخ محتمة في هذه القصيّة^(١) ، فهم من يقول : إن أبا بكر كان في حيلة الحيش ، ومنهم من يقول : إنّه لم يكن ، وما أشدّ إليه قاضي القصاة بقوله في كتب المعارى لا يلقى إلى أمر صحيح ، ولم يكن ممّن يستحلّ القول بالباطل في دينه ولا في رئاسه . ذكر الواقديّ في كتاب المعارى أن أبا بكر لم يكن في حيش أسامة ، وإعنا كل عمر ، وأبو عبيد ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وقنادة بن النّعمان ، وسلمة بن أسلم ، ودخان كثير من المهاجرين ، والأنصار ، من : وكان الفكر لإمارة أسامة عيّاش بن أبي ربيعة . وعمر الواقديّ يقول : عبد الله بن عيّاش ؛ وقد قيل : عبد الله بن أبي ربيعة أخو عيّاش .

وقال الواقديّ : وجاء عمر بن الخطّاب قودّع رسول الله صلى الله عليه وآله ليسبرّ مع أسامة . وقال : وجاء أبو بكر فقال : يا رسول الله ، أصبحت مُفريقاً بحمد الله ، واليوم يوم أبته حارحة ، فادنّ لي ، فادّيت له ، فذهب إلى منزله بالسّح^(٢) وسار أسامة في المسكر ، وهذا تصرّح بأنّ أبا بكر لم يكن في حيش أسامة .

(١) في د : « القصّة » . (٢) السّح إحدى بحال المدسة ؛ وكان بها منزل أبي بكر حين

تزوج ملبكة ؛ وقيل حبيبة بنت حارحة (بالوت) .

ودكر موسى بن عتبة في كتاب "المدرى" أن أبا بكر لم يكن في جيش أسامة وكثير من المحدثين يقولون : بل كان في جيشه .

فأما أبو حمزة محمد بن جرير الطبري فلم يذكر أنه كان في جيش أسامة إلا عمر . وقال أبو حمزة : حدثني الشاذلي بإسناد ذكره أن رسول الله صلى الله عليه وآله ضرب قبل وفاته تمثالا على أهل المدينة ومن حولهم وفيهم عمر بن الخطاب ، وأمر عليهم أسامة ابن زيد ، فلم يجاوزوا آخرهم الحدق حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وآله ، فوقف أسامة بالناس ثم قال لعمر : ارجع إلى خلية رسول الله صلى الله عليه وآله فاستأذنه بأذن لي أراجع بالناس ، فإن معي وحيه الصالحة ، ولا آمن على خلية رسول الله صلى الله عليه وآله ، وثقل رسول الله صلى الله عليه وآله وأنقال المسلمين أن يتحطمهم المشركون حول المدينة ، وقالت الأنصار لعمر سيرا : فإن أتى إلا أن يحمي فأبذنه عنا ، واطلب إليه أن يولي أمرا مارحلا أقدم سيرا من ~~الطريق~~ ^{الطريق} بأمر أسامة فأتى أبا بكر فأخبره بما قال أسامة ، فقال أبو بكر : لو تحطمتي السكاك والذئاب لم أزد قسواء قصي به رسول الله صلى الله عليه وآله . قال : فإن لأنصار أمروني أن أتركك أنهم يطلبون إليك أن تولى أمرهم رحلا أقدم سيرا من أسامة ، فوثب أبو بكر - وكان جالسا - فأخذ بلحية عمر وقال : ثكلتك أمك ما بن الخطباء ! أيسمعه رسول الله صلى الله عليه وآله وتأمروني أن أترعه ! أخرج عمر إلى الناس ، فدعوا له : ما صنعت ؟ فقال : أمصوا ثكلتكم أمهاتكم ! ما لقيت في سبيلكم اليوم من خلية رسول الله صلى الله عليه وآله ! ثم خرج أبو بكر حتى أتاهم فأشخصهم ^(١) وشيقهم ، وهو مشر وأسامه راك ، وعند الرحمن ابن عوف يقول دابة أبي بكر ، فقال له أسامة بن زيد : يا خلية رسول الله ، لتركن أو لأتركن ، فقال : والله لا تبرل ولا أرك ، وما على أن أعبر قدسي في سبيل الله ساعة ،

فإنَّ للغازي بكلِّ خطوة يخطوها ستمائة حسنة تُكتب له ، وسبعمائة درجة تُرفع له ،
وسمائة خطيئة تُمحى عنه ، حتى إذا انتهى من الأسماء : إنْ رَأَيْتَ أنْ تَعْبِيَّ بَعْمَرَ فافعل ،
فأدين له ، ثم قال : أيُّها الناس ، فَمَيِّمُوا حَتَّى أَوْصِيَكُمْ بِمَشْرٍ فَاحْطُطُوهَا عَنِّي : لَا تَحْمُوا
وَلَا تَمْدِرُوا وَلَا تَقْلُوا وَلَا تُثَلُّوا وَلَا تُقْتَلُوا حُمْلًا صَغِيرًا ، وَلَا شَيْحًا كَبِيرًا ، وَلَا امْرَأَةً ،
وَلَا نَمِيرًا نَحْلًا وَلَا تُحَرِّقُوهُ ، وَلَا تَقْطَعُوا شَجَرَةً مُثْمِرَةً ، وَلَا تَذْبَحُوا شَاةً وَلَا نَمِيرًا
وَلَا بَعْرَةً إِلَّا لِمَا كَلَّةٌ ، وَسَوْفَ تَعْمُرُونَ أَقْوَامٌ قَدْ فَرَّقُوا أَنْفُسَهُمْ لِلْعِبَادَةِ فِي الصَّوَامِعِ ،
فَدَعَوْهُمْ فَمَا مَرَّعُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ ، وَسَوْفَ تُقَدِّمُونَ عَلَى أَقْوَامٍ يَأْتُونَكُمْ بِصِحَافٍ فِيهَا أَلْوَانُ
الطُّعَامِ ، فَلَا تَأْكُلُوا مِنْ شَيْءٍ حَتَّى تَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَسَوْفَ تَلْفُونَ أَقْوَامًا
قَدْ حَصَّوْا^(١) أَوْسَاطَ رِءُوسِهِمْ وَزَكُّوا حَوْلَهَا بِمِثْلِ الصَّائِبِ ، فَاحْذَرُوا^(٢) هُمُومَ^(٣) النَّاسِ حَقًّا ؛
أَمَّا هُمُومُ اللَّهِ فَالطُّعْمُ وَالطَّاعُونَ ، سِيرُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ

وَأَمَّا هُمُومُ الشَّيْخِ أَبِي عَلِيٍّ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مِثْلُ بَكْرِ بْنِ حَرِيسٍ أَسَامَةً ، أَمْرُهُ إِتَابُهُ بِالصَّلَاةِ .
وَقَوْلُ الرِّثْصِيِّ : هَذَا اعْتِرَافٌ بِأَنَّ الْأَمْرَ بِسَمْعِدِ الْخَيْشِ كَانَ فِي الْحَالِ دُونَ مَا بَعْدَ الْوَفَاةِ ،
وَهَذَا يَنْقُصُ مَا سَيَّ عَلَيْهِ قَاضِي الْقُصَاةِ أَمْرَهُ ؛ وَفِي غَائِلٍ أَنْ يَقُولَ : إِنَّهُ لَا يَنْقُصُ مَا بَعْدَ ،
لَأَنَّ قَاضِي الْقُصَاةِ مَا قَالَ : إِنَّ الْأَمْرَ بِسَمْعِدِ الْخَيْشِ مَا كَانَ إِلَّا بِمَعْدِ الْوَفَاةِ ، بَلْ قَالَ :
إِنَّ أَمْرَهُ ، وَالْأَمْرَ عَلَى النَّوَاحِي ، فَلَوْ بَعْدَ الْحَيْثُ فِي الْحَالِ لَحَارَ ، وَلَوْ تَأَخَّرَ إِلَى بَعْدِ
الْوَفَاةِ لَحَارَ .

فَأَمَّا إِسْكَارُ الرِّثْصِيِّ أَنْ تَكُونَ صَلَاةُ أَبِي بَكْرٍ مِثْلَ مَا كَانَتْ عَنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَهَذَا دَعْوَاهُ مَا عِنْدَنَا فِي هَذَا فِيمَا تَقَدَّمَ .
وَأَمَّا قَوْلُهُ : يَحْزَنُ أَنْ يَكُونَ أَمْرُهُ بِصَلَاةٍ وَاحِدَةٍ أَوْ صَلَاتَيْنِ ، ثُمَّ أَمْرُهُ بِالسُّجُودِ بَعْدَ

(١) حص شعره : حلقه . (٢) احفظوهم : امروهم .

ذلك ، فهذا لَمَعْرَى حَازٍ . وقد يُمكن أن يقال : إنه لما خرج متحايلاً من شدة المرض فتأخر أبو بكر عن مُقَامِهِ ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وآله بالناس ، أمره بالتعود مع الجيش ، وأسكت رسول الله صلى الله عليه وآله في أثناء ذلك اليوم ، واستعر أبو بكر على الصلاة بالناس ، إلى أن توفى عليه السلام ، فقد جاء في الحديث أنه أسكت ، وإن أسامة دخل عليه فلم يستطع كلامه لكنه كلن برفع يديه ويصمهما^(١) عليه كاللداعى له .
ويمكن أن يكون رمان هذه السكنة قد امتد يوماً أو يومين ، وهذا الموضع من المواضع المشبهة عندى .

ومنها قول قاصى القصاء : إن الأمر على التراخي ، فلا يلزم من تأخر أى سكر عن التعود أن يكون عاصياً .

فأما قول المرتضى : الأمر على الفور إما لمة عند من قال به ، أو شرعاً لإجماع الكل على أن الأوامر الشرعية على الفور إلا ما خرج بالدليل ، فظاهر في هذا الموضع صحة ما قاله المرتضى ، لأن قرائن الأحوال عند من يقرأ السير وتعرف التواريخ تدل على أن الرسول صلى الله عليه وآله كان يحثهم على الخروج والسير ، وهذا هو الفور .

وأما قول المرتضى وقول أسامة : لم أكن لأسأل عنك الركن ، فهو أوضح دليل على أنه عقل من الأمر الفور ، لأن سؤال الركن عنه بعد الوفاة لا معنى له . فلقائل أن يقول : إن ذلك لا يدل على الفور ، بل يدل على أنه مأثور في الجملة بالتعود والسير ، فإن التمحيص والتأخير^(٢) موصول إلى رأيه ، ولما كان نه انسى صلى الله عليه وآله : لم تأخرت عن السير ؟ قال : لم أكن لأسير وأسأل عنك الركن ، أى انتظرت عافيتك ، ههنا إذا مرت وأنت على هذه الحال لم تكن لي قلب للاجتهاد ، بل أكون قليلاً شديد الجرع ، أسأل

(١) في د « ويصمهما » . (٢) في د « والتأخير » .

عنك الرُّكْنان ، وهذا الكلام لا يدلُّ على أنه عَقِلَ من الأمر الفَوْرَ لا مَحَالَةَ ، بل هو على أن يَدُلَّ على التراخي أظهر ، وقولُ النبي صلى الله عليه وآله : « لِمَ تَأَخَّرْتَ عن السَّيْرِ ؟ » لا يَدُلُّ على الفَوْر ؛ لأنه قد يقال مثل ذلك لمن يؤمر بالشيء على حجة التراخي إذا لم يكن سؤال إنكار .

وقول المرتضى : لأن سؤال الرُّكْن عنه بعد الوفاة لا مَنَى له ، قولٌ من هذه نَوْم على قاضي القضاة أنه يقول : إن أَسَى صلى الله عليه وآله ما أمرهم بالهَوْدِ إِلَّا بعد وفاته ، ولم يَقُلْ قاضي القضاة ذلك ، وإنما ادَّعى أن الأمر على التراخي لا غير ، وكيف يُطَنِّ بِقاصي القضاة أنه حمل كلام أسامة على سؤال الرُّكْن بعد الموت ! وهل كلُّ أسامةٍ يعم الميِّت فيقول دَاك ! وهل سأل أحدٌ عن حال أحدٍ من مرضى بعد موته !

فأما قول المرتضى عَقِبَ هذا الكلام : لا معنى لقول قاصي القضاة إنه لم يفكر على أسامة تأخُّره ، فإن الإِسْكَار قد وَقَعَ بتكرار الأمر حالًا بعد حالٍ ، فلعلَّنا أن يقول : إن قاصي القضاة لم يحمل عَدَمَ الإِسْكَار على أسامة حَقَّةً على كونه الأمر على التراخي ، وإنما جعل ذلك دَليلاً على أن الأمر كان مَشْرُوطاً بِالصَّلَاحَةِ ، وَمَنْ تَأَمَّلَ كلام قاصي القضاة الذي حكاه عنه المرتضى تحقَّق ذلك ، فلا يحور المرتضى أن يترعه من الوضع الذي أوردَه فيه ، فيَحْصَلَهُ في موضع آخر .

ومنها قولُ قاصي القضاة : الأمرُ بتعديد الحش يشح أن يكون متوَحِّهاً إلى الحديقة بعده ، والمحاطبُ لا يَدْخُلُ تحت الخطاب ، واعتراضُ المرتضى عليه بأن لفظة « الحش » يدخل تحتها « أبو بكر » فلا بدَّ من وَحُوبِ العمود عِيبِهِ ، لأنَّ عدم نُفُودِهِ يَسْلُبُ الجماعة اسم « الحش » ؛ فليس بمجيد ، لأنَّ لفظة « الحش » لفظةٌ موصوعة لجماعة من النَّاسِ قد أُعِدَّتْ للحرب ، فإذا خرج منها واحدٌ أو اثنان لم يَرَلْ مَسْمُوعُ الحش عن الباقيين ، والمرتضى

اعتقد أن ذلك مثل الماهيات المركبة ، نحو العشرة إذا عُدِم منها واحد زال مسمى العشرة ، وليس الأمر كذلك ، يبين ذلك أنه لو قال بعض الملوك لمائة إنسان : أتم جيشي ، ثم قال لواحد منهم : إذا مت فأعطي كل واحد من جيشي درهما من جِرَّانتي ، فقد حملتك أميراً عليهم لم يكن له أن يأخذ لنفسه درهما ، ويقول : أنا من جملة الجماعة الذين أطلق عليهم لَعْنَةُ الجيش .

ومنها قول قاضي القضاة : هذه القضية تدل على أنه لم يكن هناك إمام منصوص عليه ؛ وأما قول المرتضى : فقد بينا أن الخطاب إنما توجه إلى الحاضرين لا إلى القائم بالأمر بعده ، فلم يجد في كلامه في هذا الفصل بطوله ما دل فيه ذلك ، ولا أعلم على ماذا أحال ! ولو كان قد بين - على ما زعم - أن الخطاب متوجه إلى الحاضرين ، لكان الإشكال قائماً ، لأنه يقال له : إذا كان الإمام المنصوص عليه حاضراً عنده فلم توجه الخطاب إلى الحاضرين ! ألا ترى أنه لا يجوز أن يقول الملك للرعية : انصروا بين هذين الشخصين والقاضي حاضراً عنده ، إلا إذا كان قد عركه عن القضاء في تلك الواقعة عن الرعية !

فأما قول المرتضى : هذا ينقلب عليكم ، فليس بقرب ، وإنما ينقلب لو كان يريد تنعید الجيش بعد موته فقط ، ولا يريد أن وهو حي ، فكان يحى ما قاله المرتضى لينعید القائم بالأمر بمدى جيش أسامه ، فأما إذا كان يريد يعود الجيش من حين ما أمر بنفوده فقد سقط القاب ، لأن الخليفة حينئذ لم يكن قد تمّ ، لأن الاختيار ما وقع بعد ، وعلى مذهب المرتضى الإمام متين حاضراً عنده نصّ عليه ، فافرق الوصفان .

ومنها قول قاضي القضاة : إن محالة أمره صلى الله عليه وآله في النمود مع الجيش أو في إتقاء الجيش لا يكون معصية ، وبين ذلك من وجوه :

أحدها : أن أمر عليه السلام بذلك لابد أن يكون مشروطاً بالمصلحة ، وألا يعرض ما هو أهم من تقود الجيش ، لأنه لا يجوز أن يصرم بالسود وإن أعقب ضرراً في الدين ، فاما قول المرتضى : الأمر المطلق يدل على ثبوت المصلحة ، ولا يجوز أن يحمل الأمر المطلق ، فقوله جيد إذا اعترض به على الوَحْه الذي أورده قصى القصاص ، فاما إذا أورده أصحابنا على وجه آخر فإنه يندفع كلام المرتضى ، وذلك أنه يجوز تخصيص عمومات المصوص بالقياس إلى ما هو أكثر من أصحابنا ، على ما هو مذكور في أصول فقه ، فلم لا يجوز لأبي بكر أن يخص عموم قوله : « أنفذوا بث أسامة » لمصلحة عثت على ظنه في عدم نفوده نفسه ، ولفسدة عثت على نفسه^(١) في نفوده نفسه مع البعث !



وثانيها : أنه عليه السلام كان سعت التمر من اجتهاد لا عن وحى يحرم مخالفته . فاما قول المرتضى : إن للدين تعلقاً قوياً بأمثـ ذلك^(٢) ، وإسـ ليست من الأمور الدنياوية المحضة نحو أكله وشربه ونومه ، فإنه يعود على الإسلام فتوحه عز ووهة وعو كلة فيقال له : وإذا أكل اللحم وقوى صراحه بذلك ونام يوماً طبعياً يرول عنه به المرض والإعياء ، اقتضى ذلك أيضاً عز الإسلام وقوته ، فقل إن ذلك أيضاً عن وحى .

ثم إن الذي ينصيه فتوحه وعرواته وحروبه من العز وعو الكلمة لا يباى كوت تلك الفرواات والحروب باجتهاده ، لأنه لا ملاء بين اجتهاده وبين عز الدين وعو كلمته بحروبه ، وأن الذي يباى اجتهاده بأراى هو مثل فرائض الصلوات ومقادير الركاوات ومناسيك الحج ، وبحو ذلك من الأحكام التى تشعر بأنها متفقاة من محض الوحي ، وليس للرأى والاجتهاد فيها منحل ، وقد خرج بهذا الكلام الجواب عن قوله :

(١) قد دله . (٢) ١ : « هذا » .

لو جاز أن تكون الرايا والحروب عن جهده ، لجاز أن تكون الأحكام كلها عن اجتهاده . وأيضاً فإن الصحابة كانوا يراحمونه في الحروب وآرائه التي يدبرهاها ويرجع عليه السلام إليهم في كثير منها بعد أن قد رأى غيره ، وأما الأحكام فلم يكن يُراجع فيها أصلاً ، فكيف يُحمل أحدُ الباقين على الآخر .

فإنما قوله : لو كانت عن اجتهاد لوحي أن يحرم مخالفة فيها وهو حي ، لا فرق بين الحالين ؛ فنقول : القياس يقتضي ما ذكرت ، إلا أنه وقع الإجماع على أنه لو كان في الأحكام أو في الحروب والجهاد ما هو اجتهاده لما حارث مخالفته ، والممدول عن مذهبه وهو حي لم يختلف أحدٌ من المسلمين في ذلك ، وأحاروا مخالفته بعد وفائه بتقدير أن أن يكون ما صار إليه عن اجتهاد ؛ والإجماع حجة .

فإنما قول قاضي القضاة : لأن اجتهاده وهو حي أولى من اجتهاد غيره ، فلس يكاد يظهر ، لأن اجتهاده ، وهو ميت أولى منا من اجتهاد غيره ، ونعيب على طئى أنهم فرقوا بين حاكى الحياه والموت ، فإن في مخالفته وهو حي نوعاً من الأذى له ، وذاه محرم لقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤَادُوا رَسُولَ اللَّهِ ﴾^(١) ، والأذى بعد الموت لا يكون ، فأفترى الحلال .

وثالثها : أنه لو كان الإمام منصوباً عليه لجاز أن يسترد حبش أسامة أو بعضه لنصرته ؛ فكذلك إذا كان بالاختيار ، وهذا قد منع منه المرتضى ، وقال : إنه لا يجوز للمنصوص عليه ذلك ، ولا أن يؤلّى من عزله رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولا أن يعزل من ولّاه رسول الله صلى الله عليه وآله .

ورأيها : أنه عليه السلام ترك حرب معاوية في بعض الحالات ، ولم يُوجب ذلك أن يكون عاصياً ، فكذلك أبو بكر في ترك أسود في جيش أسامة .

فأما قول المرتضى : إن علياً عليه السلام كان مأموراً بحرب معاوية مع التمكن ووجود الأنصار ، فإذا عُدِمَ لم يكن مأموراً بحربه ؛ فلنقل أن يقول : أبو بكر كان مأموراً بالسعود في جيش أسامة مع التمكن ووجود الأنصار ، وقد قُدِمَ التمكن لما استُحِبَّ ، فإنه قد تحمّل أعباء الإمامة ، وتعدّر عليه الخروج عن المدينة ، التي هي دار الإمامة ، فلم يكن مأموراً والحال هذه بالسعود في جيش أسامة .

فإن قلت : الإشكال عليكم إنما هو من رَأى الاستحلاف ، كيف حار لأبي بكر أن تناحر عن السر ؟ وكيف حار له أن يرجع إلى المدينة وهو مأمور بالسير ؟ وهل نفذ لوجهه ولم يرجع ، وإن لمعه موت رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

قلت : لعل أسامة أدرك له ، وهو مأمور بضعته ، ولأنه رأى أسامة وقد عاد باللواء ، فماد هو لأنه لم يكن يُمكنه أن يسير إلى الزُّوم وحده ، وأيضاً فإن أصحابنا قالوا : إن ولاية أسامة نطقت بموت النبي صلى الله عليه وآله ، وعاد الأمر إلى رأى من ينصب للأمر ، قالوا : لأن تصرف أسامة إنما كان من جهة النبي صلى الله عليه وآله ، ثم رال تصرف النبي صلى الله عليه وآله بموته ، فوجب أن يرول تصرف أسامة ، لأن تصرفه تسع لتصرف الرسول صلى الله عليه وآله . قالوا : وذلك كالوكيل تسطل وكالته بموت الموكل ، قالوا : ويفارق الوصي لأن ولايته لا تثبت إلا بعد موت الموصي ، فهو كعهده الإمام إلى غيره لا تثبت إلا بعد موت الإمام ، ثم فرّع أصحابنا على هذا الأصل مسألة وهي : الحاكم هل يتعزل بموت الإمام أم لا ؟ قال قوم من أصحابنا : لا يتعزل ويقتوه على أن التولي من غير جهة الإمام يجوز ، فجعلوا الحاكم نائبا عن السليين أجمعين ، لا عن الإمام ،

وإن وقف تصرفه على اختياره ، وصار ذلك عندهم بمنزلة أن يختار المسلمون واحدا يحكم بينهم ، ثم يموت من رضى بذلك ، فإن تصرفه يبقى على ما كان عليه ، وقال قوم من أصحابنا : يعزل ، وإن هذا النوع من تصرف لا يستند إلا من جهة الإمام ، ولا يقوم به غيره ، وإذا ثبت أن أسامة قد بطلت ولايته لم تنق تبعته^(١) على أبي بكر في الرجوع من بعض الطريق إلى المدينة .

وحاشها : أن أمير المؤمنين عليه السلام ولي أبا موسى الحكم ، وولي رسول الله صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد السرية^(٢) ، وهذا الكلام إنما ذكره قاضي القضاة تمة لقوله : إن أمره عليه السلام يعود بمثل أسامة كل مشروطا بالصلحة ؛ قال : كما أن توليته عليه السلام أبا موسى كانت مشروطة باتباع القرآن ، وكما أن تولية رسول الله صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد كانت مشروطة بأن يعمل بما أوامره ، بخالفا ولم يعمل بالحق ، فإذا كانت هذه الأوامر مشروطة فكذلك أمره حث أسامة بالعودة كل مشروطا بالصلحة وألا يعرض ما يقتضي رجوع الجيش أو بعثه إلى المدينة ، وقد سبق القول في كون الأمر مشروطا .

وسادسها : أن أبا بكر كان محتاجا إلى مقام عمر عنده ليعاضده^(٣) ويقوم في تمهيد أمر الإمامة ما لا يقوم به غيره ، فكان ذلك أصح في باب الذين من مسيره^(٤) مع الجيش ، فجاز أن يحبس عنده لذلك ؛ وهذا الوجه محتمل بمن قال : إن أبا بكر لم يكن في الجيش ، وإصحاح عنده في حث عمر عن العودة^(٥) مع الجيش .

(١) ١ : « شيء » . (٢) لم يعناه . موضع أوقع به خالد بن الوليد في حديفة .

(٣) بعد ما ر ١ : « ويطاونه » . (٤) ١ : « سيره » .

(٥) ١ : « التمهيد » .

فأما قول المرتضى فإن ذلك غير حار ، لأن مخالفة النص حرام ، فقد قلنا : إن هذا مسمى على مسألة تخصيص العمومات الواردة في القرآن بالقياس .

وأما قوله : أي حاجة كانت لأبي بكر في عمرته بعد وقوع السِّيمة ، ولم يكن هناك تضرع ولا اختلاف ! فعجيب ، وهل كان لولا عدم عمره وحضوره في تلك المقامات يتم لأبي بكر أمر أو ينظم له حال ! ولولا عمره لما بايع على ولا الزبير ، ولا أكثر الأنصار ، والأمر في هذا أظهر من كل ظاهر .

وسأبها : أن من يصلح للإمامة ممن صمته حش أسامة بحسب تأخرهم ليجتاز للإمامة أحدهم ، فإن ذلك أهم من هودهم ، فإذا حار لهذه العلة التأخر قبل العقد حار التأخر بعده للمعاصرة وغيرها .

فأما قول المرتضى : إن ذلك الجيش لم يعصم من يصلح للإمامة ، فبناء على مذهبه في أن كل من ليس بمعصوم لا يصلح للإمامة . ثم قوله : ولو صح ذلك لم يكن عدوا في التأخر ، لأن من خرج في الجيش يمكن أن يختار ولو كان بعيدا ، ولا يمكن بعده من صحة الاختيار ، فلما نزل أن يقول : دار أبحره هي التي فيها أهل الحل والعقد ، وأقارب رسول الله صلى الله عليه وآله وأقرباء وأصحاب السقيمة ، فلا يجوز العدول عن الاحتجاج والمشاورة فيها إلى الاختيار على العدد ، وعلى حدح السر من غير مشاركة من ذكرنا من أعيان السليين .

فأما قوله : ولو صح هذا العقد لكان عدوا في التأخر قبل العقد ، فأما بعد إرامه فلا عذر فيه ؛ فلما نزل أن يقول : إذا أحرزت التأخر قبل العقد لبيع من المصلحة فأحر التأخر بعد العقد لبيع آخر من المصلحة ، وهو المعاصرة والساعة .

هذه الوجوه السبعة كلها لبيان قوله : تأخر أبي بكر أو عمر عن التفوذ في جيش أسامة ، وإن كان مأمورا بالموذ .

ثم نموذ إلى تمام أقسام الفصل .

ومنها ^(١) قول قاضي القضاة : لا معنى لقول من قال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله قصد إبادهم عن المدينة ، لأن إبادهم عنها لا يعمهم من أن يختاروا واحدا منهم للإمامة ، ولأنه عليه السلام لم يكن قاطعا على موته لا محالة ، لأنه لم يرد : مدوا جيش أسامة في حياته .

وقد أترض المرتضى هذا فقال : إنه لم يقتض معنى الطعن ، لأن الطائس لا يقول : إبادهم أبادوا عن المدينة كي لا يختاروا واحدا للإمامة ، بل يقول : إنما أبادوا لينصب بعد موته صلى الله عليه وآله في المدينة الشخص الذي ص على ، ولا يكون حاصرا بالمدينة من محالته ويبارعه ، وليس بصرا ألا يكون صلى الله عليه وآله قاطعا على موته ، لأنه وإن لم يكن قاطعا فهو لا محالة يشق ويحذف من الموت ، وعلى الخائف أن يتحرز مما يحاف منه ؛ وكلام المرتضى في هذا الموضع أحسن من كلام قاضي القضاة .

ومنها قول قاضي القضاة : إن ولاية أسامة عليهما لا تقتضي كونهما دونه في الفضل ، كما أن عمرو بن العاص لما ولي عليهما لم يقتصر كونه أفضل منهما . وقد أترض المرتضى هذا بأنه ^(٢) يقتض تقديم الموصول على الموصوف بما هو أفضل منه ، وأن تقديم عمرو بن العاص عليهما في الإمرة يقتضي أن يكون أفضل منهما بما يرجع إلى الإمرة والسياسة ، ولا يقتضي أفضليته عليهما في غير ذلك ، وكذلك القول في أسامة .

(١) الطرس ١٨٢ . (٢) د : « فإيه » .

ولفائل أن يقول : إن الملوك قد يؤمرون الأمراء على الجيوش لوحين : أحدهما أن يعيد الملك بتأشير ذلك الشخص أن يسوس الجيش ويؤذنه فصل رأيه وشيخوخته وقديم تجربته وما عُرِف من يُنمَن تقيته في الحرب وقود المساكر ، والثاني أن يؤمر على الجيش سلاماً حدثاً من عله أو من وليه أو من أهله ، ويأمر الأكار من الجيش أن يشعوه ويعلموه ، ويأمره أن يتدبر تدبرهم ، ويرجع إلى رأيهم ؛ ويكون قصد الملك من ذلك تخرج ذلك العلم وتعميقه على الإمارة ، وأن يُثبت له في نفوس الناس منزلة ، وأن يُرشحه لخلائ^(١) الأمور ومحاطم الشئون ، في الوجه الأول تفتح تقديم الفصول على السائل ؛ وفي الوجه الثاني لا تفتح ، فلم لا يجوز أن يكون تأشير أسامة عليهما من قبيل الوجه الثاني ؟ والحال تشهد لذلك ، لأن أسامة كان علامة لم يبلغ ثمان عشرة سنة حين بعث النبي صلى الله عليه وآله ، فمن أين حصل له من تجربة الحرب وممارسة الوقائع وقود المعش ما يكون به أعرف بالإمر من أي بكر وعمر وأبي عمده وسعد بن أبي وقاص وغيرهم !

ومنها قول قاصي القصاة : إن السب في كون عمر في الجيش أنه أسكر على عهد الله ابن عياش بن أبي ربيعة بسخطه بمره أسامة ، وقال : أنا أخرج في جيش أسامة ؛ فخرج من تلقاء نفسه بطيلاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله . وقد أعرضه المرتضى فقال : هداشي ؛ لم نسمعه من راوي ، ولا قرأه في كتاب ، وصديق المرتضى فيما قال ، فإن هذا حديث عريب لا يُعرف .

وأما قول عمر : دغى أصرت عمة بعد ما قرأ ؛ فهو قول مشهور لا محالة ، وإنما العريب الذي لم يُعرف كون عمر خرج من تلقاء نفسه في الجيش مُراعاة لعهد الله بن عياش ابن أبي ربيعة ، حيث أسكر ما أسكر ؛ ولعل قاصي القصاة سمعه من راوي أو نقله من كتاب ، إلا أننا نحن ما وقعنا على ذلك .

(١) ب : « بجلائل » ، وما أثبت من أ ، د . (٢) ١ : « سخطه » .

الطعن الخامس

قالوا : إنه صلى الله عليه وآله لم يؤكِّد أنه نكر الأعمال ووَلَّى غيره ، ولما ولَّاه الحجَّ بالناس وقراءة سُورَةِ رَأْدَةٍ عَلَى النَّاسِ ، عرَّاهُ عن ذلك كله . وحَمَلَ الأمرَ إِلَى أمير المؤمنين عليه السلام ، وقال : « لَا يُوَدَّى عَنِّي إِلَّا أَنَا ، أَوْ رَحِلْ مِنِّي » ، حَتَّى يَرْجِعَ أَوْ نَكِرَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

أَحَابِبُ قَاضِي الْقُصَّةِ فقال : لو سَلَّمَا أَنَّهُ مِ يُوْنُهُ ، لَمَّا دَلَّ ذَلِكَ عَلَى نَقْصٍ ، وَلَا عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَصْلُحْ لِلْإِمَارَةِ وَالْإِمَامَةِ ، بَلْ لَوْ قِيلَ . إِنَّهُ لَمْ يُوْلَّهُ لِحَاجَتِهِ إِلَيْهِ مَحْصَرَتِهِ ، وَإِنْ ذَلِكَ رَفْعَةٌ لَهُ كَانَ أَقْرَبَ ، لَا سَمِيًّا ، وَقَدْ رَوَى عَنْهُ مَا يَدَّ عَلَى أَنَّهُمَا وَرِوَاهُ ، وَأَنَّهُ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَحْتَا بِلَيْهَمَا وَإِلَى رَأْيِهِمَا ، فَلَيْتَكَ مِ يُوْلُهُمَا ، وَلَوْ كَانَ لِلْعَمَلِ عَلَى تَرْكِهِ فَصَلَّ كَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَحَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَغَيْرُهُمَا أَفْضَلُ مِنْ أَكْبَارِ الصَّحَابَةِ ؛ لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَّاهُمَا وَقَدَّمَهُمَا ، وَقَدْ قَدَّمَا أَنْ تَرِيَّتَهُ هِيَ بِمَحَسَبِ الصَّلَاحِ ، وَقَدْ يُوْلَّى الْمُفْضُولُ عَلَى الْفَاضِلِ تَارَةً وَالْفَاضِلُ أُخْرَى ، وَرَمَّا وُلَّى الْوَاحِدُ لاسْتِغْنَاءَهُ عَنْهُ مَحْصَرَتِهِ ، وَرَمَّا وَلَّاهُ لَاتِّصَالٍ بَيْنِهِ وَبَيْنَ مَنْ يُوْلَى عَلَيْهِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ . ثُمَّ ادَّعَى أَنَّهُ وَلَّى أَبَا بَكْرٍ عَلَى الْمَوْسَمِ وَالْحَجِّ قَدْ نَسْتُ مَلَا حِلَافَ بَيْنِ أَهْلِ الْأَحْصَادِ وَلَمْ يَصْغَحْ أَنَّهُ عرَّاهُ ، وَلَا يَدُلُّ رُجُوعُ أَبِي بَكْرٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْهُمْ عَنِ الْقِصَّةِ عَلَى الْقَوْلِ ؛ ثُمَّ جَعَلَ يُسْكَرُ مِنْ أَسْكَرٍ حِجَّ أَيُّ بَكْرٍ فِي تِلْكَ السَّنَةِ بِالنَّاسِ ؛ كَيْسْكَرَ عَمَدَ وَطَفِقَتِهِ أَحَدُ أُمَرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سُورَةَ رَأْدَةٍ مِنْ أَيِّ نَكَرَ . وَحَكَى عَنْ أَبِي عَلِيٍّ أَنَّ الْعَمَى كَانَ فِي أَحَدِ النُّسُورَةِ مِنْ أَيِّ نَكَرَ أَنَّ مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ أَنَّ سَيِّدًا مِنْ سَادَاتِ فَتَاهِلِهِمْ إِذَا عَقَدَ عَقْدَ الْقَوْمِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ الْعَقْدَ لَا يَتَحَلَّى إِلَّا أَنْ يُحَنَّهُ هُوَ أَوْ بَعْضُ سَادَاتِ قَوْمِهِ ، فَلَمَّا كَانَ هَذَا عَادَتَهُمْ وَأَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ يَبِيدَ^(١) إِلَيْهِمْ عَمَدَهُمْ ، وَبِقُصْ مَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ، عَلِمَ

أنه لا ينحل ذلك إلا به أو سيّد من صادات رَحْمَتِهِ، فَمَدَّلَ عَنْ أَبِي مُكَرٍّ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُقَرَّبِ فِي النَّسَبِ . ثُمَّ ادَّعَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلِيُّ أَبِي مُكَرٍّ فِي مَرَضِهِ الصَّلَاةَ ، وَدَلَّكَ أَشْرَفُ الْوَلَايَاتِ ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَالْمُسْلِمُونَ إِلَّا أَبِي مُكَرٍّ .

ثُمَّ اعْتَرَضَ نَفْسَهُ بِصَلَاتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَلَفَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ : وَأَحَابُ بَنِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِعَانًا صَلَّيْ حَلَفَهُ ، لَا أَنَّهُ وَلَّاهُ الصَّلَاةَ وَقَدَّمَهُ فِيهَا . قَالَ : وَإِنَّمَا قَدَّمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عِنْدَ عَيْتَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَصَلَّيْ بِعَمْرِئِهِ ، وَقَدْ صَاقَ الْوَقْتُ ، لِحَاجَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَصَلَّيْ حَلَفَهُ (١) .

اعترض المرتضى فقال : قد بينا أن زكاه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْوَلَايَةَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ مَعَ حَصْرِهِ وَإِمَّا كَانَ وَلَايَتُهُ وَاسْتَوْلَ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ ، مَعَ تَطَاوُلِ الزَّمَانِ وَامْتِدَادِهِ ، لَا يَدَّ مِنْ أَنْ يَقْضَى عَمَلَةُ الظَّنِّ بِأَنَّهُ لَا يَصْلُحُ لَوَلَايَةٍ ، فَكَيْفَ ادَّعَاؤُهُ أَنَّهُ لَمْ يُوَلِّهِ لَأَهْلِهِ إِبْنَهُ مُحْصَرَةً وَحَاجَتَهُ إِلَى تَنْدِيرِهِ وَرَأْيِهِ ، فَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَمْتَقِرُ إِلَى رَأْيِ أَحَدٍ لِكَمَالِهِ وَرُجْحَانِهِ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ ، وَإِنَّمَا كَانَ يُشَاوِرُ أَصْحَابَهُ عَلَى سَبِيلِ التَّعْلِيمِ لَهُمُ وَالنَّاصِيَةِ لَهُمْ ، أَوْ لِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ بِمَا قَدْ ذُكِرَ . وَإِمْدُ ، فَكَيْفَ اسْتَمَرَّتْ هَذِهِ الْحَاجَةُ ، وَانْتَصَلَتْ مِنْهُ إِلَيْهِمَا حَتَّى لَمْ يَسْتَعْنِ فِي زَمَانٍ مِنَ الْأَرْمَانِ عَنْ حَصْرِهِمَا فَيُؤَلِّمُهُمَا ! وَهَلْ هَذَا إِلَّا قَدْخُ فِي رَأْيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَبْتِهِ إِلَى أَنَّهُ كُلُّ مَنْ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يُلْقَنَ وَيُوقَفَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، وَقَدْ نَزَّهَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ ! فَكَيْفَ ادَّعَاؤُهُ أَنَّ الرِّوَايَةَ قَدْ وَرَدَتْ بِأَنَّهُمَا وَدَرِيَاهُ فَقَدْ كَانَ يَحِبُّ أَنْ يَصَحَّحَ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَتَّكِلَ عَلَيْهِ وَيَحْتَجَّ بِهِ ؛ فَإِنَّهُ نَدَفَعَهُ عَنْهُ أَشَدَّ دَفْعٍ . فَكَيْفَ وَلَايَةُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ وَحَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ فَقَدْ تَسَكَّمَا عَلَيْهِمَا مِنْ قَبْلُ ، وَبَيَّنَّا أَنَّ وَلَايَتَهُمَا تَدُلُّ عَلَى صَلَاحِهِمَا لِلْأَوْلِيَاءِ ، وَلَا تَدُلُّ عَلَى صَلَاحِهِمَا لِلْإِمَامَةِ ، لِأَنَّ شُرَائِظَ الْإِمَامَةِ لَمْ تَتَّكَمَلْ فِيهِمَا ، وَبَيَّنَّا أَيْضًا أَنَّ وَلَايَةَ الْمُعْصُولِ عَلَى الْفَاصِلِ لَا تَحْجُورُ ، فَكَيْفَ تَعْظِيمُهُ

وأكباره قول من يذهب إلى أن أبا بكر عُرِلَ عن أداء السُورة والموسم جميعاً ، وجمعه بين ذلك في السدوين إنكار عتاد أن يكون أمير المؤمنين عليه السلام أرتجع سورة براءة من أبي بكر ؛ فأول ما فيه أن لا تُكرأ يكون أكثر الأخبار واردة بأن أبا بكر حج بالناس في تلك السنة ؛ إلا أنه قد روى قوم من أصحابنا خلاف ذلك ، وأن أمير المؤمنين عليه السلام كان أمراً الموسم في تلك السنة ، وأن عزّل الرجل كل عن الأمرين معاً . واستكبار ذلك . وفيه خلاف لا مسمى له ، فأما ما حكاه عن عتاد فإن لا يعرفه ، وما نطق أحداً يذهب إلى مثله ، وليس يُمكنه إيراد ذلك حجة مذهب أصحابنا الذي حكياه ، وليس عتاد لو صحّت الرواية عنه يراه من ذكره ، فهو مل بالجهالات ودفع الضرورات . وبعد ، هو سئما أن ولاية الموسم لم تُعَمَّح لكان الكلام باقياً ، لأنه إذا كان ماولى مع تطاول الزمان إلا هذه الولاية ، ثم سلب شطرها ، والأعم الأعظم منها ، فليس ذلك إلا تنبيها على ما ذكرناه .

فأما ما حكاه عن أبي علي من أن عادة العرب ألا يحل ما عقده الرئيس منهم إلا هو أو المتقدم من رَهْطه ؛ فعتاد الله أن يُخْرِى النبي صلى الله عليه وآله سنته وأحكامه على عادات الجاهلية ، وقد بين عليه السلام لما رجع إليه أبو بكر يسأله عن أحد السُورة منه الحال . فقال : إنه أوجى إلى ألا يؤذى عني إلا أما أو رَحَلُ مني ، ولم يدكر ما أدعاه أبو علي ؛ على أن هذه العادة قد كان يمر بها النبي صلى الله عليه وآله قبل بعثته أبا بكر سورة براءة ، فأبأه لم يعتدّها في الانداء ويمت من يجوز أن يحل عقده من قومه !

فأما ادعائه ولاية أبي بكر الصلاة فقد ذكرنا فيما تقدم أنه لم يؤله إياها . فأما فصله بين صلاته حلف عبد الرحمن وبين صلاة أبي بكر بالناس ، فليس شيء ، لأننا إذا كنا قد دللنا على أن الرسول صلى الله عليه وآله ما تقدم أبا بكر إلى الصلاة ، فقد

أستوى الأمران . وبعد ؛ فأى فرق بين أن يُصلّى حنيفة وبين أن يؤكّبه ويقدمه ، ونحن نعلم أن صلّاته حنيفة إقراراً لولائه ودمها ، فقد عاد الأمر إلى أن عبد الرحمن كأنه قد صلّى بأمره وإذنه ! على أن قصة عبد الرحمن أوكد ، لأنه قد اعترف بأن الرسول صلّى حنيفة ، ولم يصلّ خلف أبي بكر ، وإن ذهب كثير من الناس إلى أنه قدمه وأمره بالصلاة قبل خروجه إلى المسجد وتحاطله .

ثم سأل المرتضى رحمه الله نفسه ؛ فقال : إن قيل : ليس يحملو النبي صلى الله عليه وآله من أن يكون سَلَمٌ في الاستدعاء سورة برّاءة إلى أنى بكر بأمر الله أو بأحتجابه ورأيه ؛ فإن كل ما أمر الله تعالى ، فكيف يجوز أن يرتفع منه السورة قبل وقت الأداء ، وعدكم أنه لا يجوز نسخ الشيء قبل تكمّلي وقت ريمه ؛ وإن كان بأحتجابه صلى الله عليه وآله ، صدّكم أنه لا يجوز أن يمتنع بها بحري هذا المهرى !

وأجاب فقال : إنه ما ستم السورة إلى أنى سكر إلا بإذنه تعالى ، إلا أنه لم يأمره بأدائها ، ولا كآله قراءتها على أهل الموسم ، لأنّ أحدا لم يُمكنه أن يفعل عنه عليه السلام في ذلك لفظ الأمر والتكليف ، فكانت ستم سورة برّاءة إليه لتقرأ على أهل الموسم ، ولم يُصرّح بذكر القارى النّوع لها في الخبر ، ولو قيل عنه تصريح لخار أن يكون مشروطاً بشرط لم يطهر .

فإن قيل : فأى فائدة في دفع السورة إلى أنى بكر وهو لا يريد أن يؤدّيها ، ثم ارتجاعها منه ؟ وهلا دُفعت في الاستدعاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام !

فيل : الفائدة في ذلك ظهور فصل أمير المؤمنين عليه السلام ومرتبته ، وأن الرجل الذي بُزعت السورة عنه لا يصلح لِمَا يصلح له ، وهذا عَرَسٌ قويٌّ في وقوع الأمر على ما وقّع عليه^(١) .

قلت : قد ذكرنا فيما تقدم القول في توبة امك بعض أصحابه ، وترك تولية بعضهم ،
وكيفية الحال في ذلك ؛ على أنه قد رَوَى أصحابُ العارِ أنه أمر أبو بكر في شعبان من سنة
سبع على سرية بعثها إلى محمد فلقوا حفاً من هَوارٍ ببيتهم^(١) ؛ فرَوَى ياسُ بنُ سلمة
عن أبيه ؛ قال : كُنْتُ في ذلك المَث ، ففتتُ يدي سعةً منهم ، وكان شعارُنا : « أَمِيتُ
أَمِيتُ » ، وقُتِلَ من أصحابِ النبي صلى الله عليه وآله قومٌ ، وخرج أبو بكر وارتث^(٢)
وعاد إلى المدينة ؛ على أن أمراءِ السرايا الذين كلَّ بعضهم صلى الله عليه وآله كانوا قوماً
مشهورين بالشجاعة ولقاء الحروب ، كـ محمد بنِ مسلمة ، وأبي دُحَّابة ، وزيد بن حارثة
ونحوهم ، ولم يكن أبو بكر مشهوراً بالشجاعة ولقاء الحروب ، ولم يكن حشاشاً ولا حواراً^(٣)
وإنما كلُّ رجلٍ مجتمع القلب عافلاً ، ذا رأى وحسن تدبر ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه
وآله يتركُ بعثه في السرايا ، لأنَّ عمره أنفعَ منه فيها ، ولا يدلُّ ذلك على أنه لا يصلحُ
للإمامة ، وأنَّ الإمامة لا تحتاج أن يكونَ صاحبُها من المشهورين بالشجاعة ، وإنَّما يحتاج
إلى ثبات القلب ، وألَّا يكونَ هليماً طائر^(٤) الخمان . وكيف يقول المرتضى . إنه صلى الله
عليه وآله لم يكن محتاحاً إلى رأى أحد ، وقد ائتمَّ الناسُ كلَّهم رجوعه من رأى إلى رأى
عند المشورة ، نحو ما جرى يوم بدر من تدبُّرِ رسولِنا أشار عليه الحبابُ بنُ المذدر ،
ونحو ما جرى يوم الخندق من فسحِ رأيه في دفعِ نثرِ تمرِ المدينة إلى عُيَيْنة بنِ حصنٍ
ليترجع بالأحزاب عنهم ، لأجل ما رآه سعدُ بنُ معاذ وسعدُ بنُ عباد من الحرب ،
والمدول عن الصَّح ، ونحو ما جرى في تنقيحِ الحبلِ بالمدينة وغير ذلك ! فأما ولايةُ
أبي بكر الموسمَ فأكثرُ الأخبارِ على ذلك ، ولم يَرَوْا عرَّله عن الموسمِ إلَّا قومٌ من الشيعة .

(١) بيتهم ؛ أي دروا أمرهم .

(٢) ارتث ، على الساء لسجهول . حل من المعركة ريثما ، أي حارباً وبه رمق .

(٣) الحوار : الضيف . (٤) الخمان : الخش المجزع .

وأما ما أنكره المرتضى من حال عتاد بن سليمان ودعيه أن يكون على أخذ راءة من أبي بكر واستغرابه ذلك عجب ، فإن قول عتاد قد ذهب إليه كثير من الناس ، ورووا أن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يدع براءة إلى أبي بكر ، وأنه بعد أن قد أبو بكر بالحجيج أتته عليا ومعه تسع آيات من براءة ، وقد أمره أن يقرأها على الناس ويؤذّنهم بنقض الهد وقطع الدنية ، فانصرف أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأعاده على الحجيج ، وقال له : أنت الأمير ، وعلى البدع ، فإنه لا يتبع عني إلا أنا أو راحل مني ، ولم يكر عتاد أمر براءة بالكلية ، وإنما أكر أن يكون النبي صلى الله عليه وآله دفعها إلى أبي بكر ثم انتزعها منه ، وطائفة عظيمة من الحديثيين يروون ما ذكرناه ، وإن كان الأكثر الأظهر أنه دفعها إليه ثم أتته بملى عليه لسلام فانتزعها منه ؛ والمقصود أن المرتضى قد تمحّب مما لا يتمحّب من مثله ، فظن أن عتادا أكر حديث راءة بالكلية ، وقد وقعت أبا على ما ذكره عتاد في هذه القضية في كتابه المعروف بكتاب " الأبواب " ، وهو الكتاب الذي نقله شيخنا أبو هاشم ، فأما عند شيخنا أبي على ، وقوله : إن عادة العرب ذلك ، واعتراض المرتضى عليه ، فإلى قوله المرتضى أصح وأظهر ، وما نسب إلى عادة العرب غير معروف ، وإنما هو تأويل نؤول به متعصو أبي بكر لانتزاع راءة منه ، وليس شيء . ولست أقول ما قاله المرتضى من أن عرض رسول الله صلى الله عليه وآله إظهار أن أبا بكر لا يصلح للأداء عنه ، بل أقول : فعمل ذلك لمصلحة رآها ، ولعل السبب في ذلك أن عليا عليه السلام من بني عبد مناف وهم حمرة قريش بمكة ، وعلي أيضا شجاع لا يُقام له^(١) ، وقد حصل في صدور قريش منه أهية الشديدة والمخافة العظيمة ، فإذا حصل مثل هذا الشجاع الطل وحوله من بني عمه وهم أهل المرأة والقوة والحمة ،

(١) ب : « لا يقال » تحريف .

كان أدعى إلى نجاته من قريش ، وسلامة نفسه وبلوغ الفرض من بئذ العهد على يده ؛
 ألا ترى أن رسول الله صلى الله عليه وآله في عمرة الحديبية بعث عثمان بن عفان إلى مكة
 يطلب منهم الإذن له في الدخول ، وبى بثه لأنه من بنى عبد مناف ، ولم يكن
 بنو عبد مناف - وخصوصاً بنى عبد شمس - لميكنوا من قتله ، ولذلك حمل بنو سعيد
 ابن العاص على نبي يوم دخل مكة وأخذ قوا به مستثمين^(١) بالسلاح ، وقالوا له : أفل
 وأذير ، ولا تحف أحداً ، بنو سعيد أعرية الحرم . وأما القول في تولية رسول الله صلى الله
 عليه وآله أبا بكر الصلاة ، فقد تقدم ، وما رآه قاصي القضاة من الفرق بين صلاة أبي بكر
 بالناس وصلاة عبد الرحمن بهم ، مع كون رسول الله صلى الله عليه وآله صلى الله عليه وسلم
 وكلام المرتضى أقوى منه . فاما السؤال الذى سألته المرتضى من نفسه فتوى ، والحوار
 الصحيح أن بحث راءة مع أبى بكر كان ما جهاد من الرسول صلى الله عليه وآله ، ولم يكن
 عن وصى ولا من حمله الشرائع التى تقتضى عن خرائيل عليه السلام ، فلم يصح نسح ذلك
 قبل تقضى وقت فعله ، وحوار المرتضى ليس بقوى ، لأنه من سعيد أن تسلم سورة
 راءة إلى أبى بكر ولا يقل له . ماذا يصنع بها ؟ بل يقال : حد هذه معك لا غير .
 والقول بأن الكلام مشروط بشرط لم يظهر خلاف الظاهر ، وفتح هذا الباب يفسد كثيراً
 من القواعد .

الطعن السادس

إن أبا بكر لم يكن يعرف انفعه وأحكام شريعة ، فقد قال في الكلالة^(٢) : أقول

(١) المستثم : لابس الأئمة .

(٢) الكلالة : من لا ولد له ولا والد ، وما لم يكن من النسب لى .

فيها برأى ، فإن يكن صواباً من الله ، وإن يكن خطأ فنى^(١) ، ولم يعرف ميراث الجدة ، ومن حاله هذه لا يصلح للإمامة .

أجاب قاضى القضاة بأن الإمام لا يجب أن يعم جميع الأحكام ، وأن القدر الذى يحتاج إليه هو القدر الذى يحتاج إليه الحاكم ، وأن القول بالرأى هو الواحد فيما لا نص فيه ، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام بالرأى فى مسائل كثيرة .

اعترض الرضى فقال : قد دللنا على أن الإمام لابد أن يكون عالماً بجميع الشرعيات ، وفرقاً بينه وبين الحاكم ، ودللنا على فساد الرأى والاحتياط . وأما أمير المؤمنين عليه السلام فلم يقل قط بالرأى ، وما يروى من خبر بيع أمهات الأولاد غير صحيح ، ولو صح لحاز أن يكون أراد بالرأى الرجوع إلى النصوص والأدلة ، ولا شبهة عندنا أن قوله كان واحداً فى الخالفين^(٢) ، وإن طهر فى أحدهما خلاف مذهبه للتقية^(٣) .

قلت : هذا الطمس مسمى على أمرين . أحدهما هل من شرط الإمامة أن يعلم الإمام كل الأحكام الشرعية أم لا ؟ وهذا مذكور فى كتبنا الكلامية ؛ والثانى هو القول فى الاحتياط والرأى حق أم لا ؟ وهذا مذكور فى كتبنا الأصولية

الطمس السابع

قصة خالد بن الوليد وقتله مالك بن نويرة ومصاحفته امرأته من ليلته ، وأن أبا بكر

(١) انتهى : فى ومن الشيطان ، وعو قوله وقد مثل عن قوله : ﴿ وَفَارَكْهُ وَأَبْنَاهُ ﴾ ، فلم يعرف معناه ، والأب : المرعى فى اللغة ، لا يبعث على أحده أدنى أسنان عربية ، وهو ميراث الحدة وأنه لم يعرف الحكم فيه ، وطائر ذلك كثيرة معروفة . (٢) ب : « القولين » . (٣) انظر الثانى ٤٢٢ .

ترك إقامة الحد عليه ، وزعم أنه سيف من سيوف الله سته الله على أعدائه ، مع أن الله تعالى قد أوجب القود وحد الزنا عموماً ، وأن عمرَ نته وقال له : اقتله ، فإنه قتل مسلماً .

أحب قاضي القضاة فقال : إن شيخنا أبا علي قال : إن الردة ظهرت من مالك بن نويرة ، لأنه جاء في الأخبار أنه ردّ صدقات قومه عليهم لما بلغه موت رسول الله صلى الله عليه وآله كما فعله سائر أهل الردة فاستحقّ القتل . فإن قال قائل : فقد كان بصلي ، قيل له : وكذلك سائر أهل الردة ، وإعنا كهمروا بالامتناع من الزكاة ، واعتقادهم إسقاط وجوبها دون غيره . فإن قيل : فلم أنكر عمر ؟ قيل : كل الأمر إلى أبي بكر ، فلا وجه لإنكار عمر ، وقد يجوز أن يمتن أبو بكر من الحال ما يمتن على عمر . فإن قيل : فما معنى ما روي عن أبي بكر من أن حالداً ما أول فأخذ ، قيل : أراد مخنته عليه بالقتل ، وقد كان الواجب عده على حالداً أن ينوقف للشبهة . واستدل أبو علي على رده بأن أخاه متمم ابن نويرة لما أشد عمرَ مرئيته أخاه قال له : وددت أني أقول الشعر فأتى أحي ريداً بمثل ما ربيت به أحاك ! فقال متمم : لو قتل أحي على مثل ما قتل عليه أخوك مارئيتك ، فقال عمر : ما عراني أحد بمثل تعريتك ، قد هدأ على أن مالكاً لم يقتل على الإسلام كما قتل زيد .

وأجاب عن تزويج حليد بامرأته بأنه إذا قتل على الردة في دار الكفر حار تزويج امرأته عند كثير من أهل العلم ، وإن كان لا يحور أن يظاها إلا بعد الاستبراء .

وحكى عن أبي علي أنه إذا قتل لأنه ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : «صاحبك» ، وأوهم بذلك أنه ليس بصاحبه ، وكان عنده أن ذلك ردة وعلم عند الشاهدة

الْقَصْد، وَهُوَ أَمِيرُ الْقَوْمِ، فَجَارَ أَنْ يُقْتَلَ وَإِنْ كَانَ الْأَوَّلَى أَلَا يَسْتَمِجِلُ، وَأَنْ يَكْشِفَ الْأَمْرَ
فِي رِدَّتِهِ حَتَّى يَتَضَعَّ، فَلِهَذَا لَمْ يُقْتَلَ أَبُو بَكْرٍ بِهِ. فَأَمَّا وَطْؤُهُ لَأَمْرَاتِهِ فَلَمْ يَكُنْ، فَلَا يَصِحُّ
أَنْ يُحْمَلَ طَعْنًا فِيهِ (١).

اعْتَرَضَ الْمُرْتَضَى فَقَالَ: أَمَّا مَنْعُ حَلِّهِ فِي قَتْلِ مَنَكُ بْنُ نُورٍ وَأَسْتِباحَةِ أَمْرَاتِهِ وَأَمْوَالِهِ
لِنَسَبِهِ إِيَّاهُ إِلَى رِدَّةٍ لَمْ تَظْهَرْ مِنْهُ، بَلْ كَانَ أَطَاهَرُ حَلَامًا مِنَ الْإِسْلَامِ، فَضَمَّ. وَيَحْرَى
مَحْرَاهُ فِي الْعِظَمِ تَعَاوُلُ مَنْ تَنَافَلَ عَنْ أَمْرِهِ، وَلَمْ يُنَمَّ فِيهِ حُكْمُ اللَّهِ تَعَالَى، وَأُقِرَّ عَلَى الْخَطَأِ
الَّذِي شَهِدَ هُوَ بِهِ عَلَى نَفْسِهِ، وَيَحْرَى عَمْرَاهُ مَنْ أَمَكَّهُ أَنْ يَعْلَمَ الْحَالَ فَأَمَّهَا وَلَمْ يَتَصَفَّحْ
مَا رَوَى مِنَ الْأَحْصَارِ فِي هَذَا النَّبِ وَنَمَّتْ لِأَسْلَافِهِ وَمَدَّه. وَكَيْفَ يَحْجُورُ عِنْدَ حَصْرِ مَا
عَلَى مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ حَخْدَ الرِّكَاتِ مَعَ الْقَامِ عَلَى الصَّلَاةِ، وَهِيَ حَيْمَى فِي قَرَرٍ (٢) لِأَنَّ الْعِيَمَ
الْعَرُورِيَّ نَأْتِيهِمَا مِنْ دِينِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَشَرِيعَتِهِ عَلَى حَدٍّ وَاحِدٍ، وَهَلْ نَسَبُ مَالِكٍ إِلَى
الرِّدَّةِ مَعَ مَا ذَكَرْنَاهُ إِلَّا قَدْخُ فِي الْأَسْوَءِ وَنَقَضُ نَسَبُ مَنَّا نَمْتَنُّهُ مِنْ أَنَّ الرِّكَاتِ مَعْلُومَةٌ ضَرُورَةٌ
مِنْ دِينِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَأَعْتَبْتُ مِنْ كُلِّ عَجِيبٍ مَوْلَاهُ: وَكَذَلِكَ سَازَرُ أَهْلَ الرِّدَّةِ، يَمْنَى أَهْلُهُمْ
كَانُوا يَصَلُّونَ وَيَحْتَدِدُونَ الرِّكَاتِ، لِأَنَّا قَدْ بَيَّنَّا أَنَّ ذَلِكَ مُسْتَحِيلٌ عَرُورِيٍّ مُحْكِنٍ، وَكَيْفَ
يَصِحُّ ذَلِكَ، وَقَدْ رَوَى جَمِيعُ أَهْلِ النُّقْلِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمَّا وَصَّى الْحَبِشَ الَّذِينَ أَنْزَلَهُمْ أَنَّ
يُؤَدُّوا وَيُؤَيَّمُوا، فَإِنْ أَدَّى الْقَوْمُ كَأَدَائِهِمْ وَنَاقَمَتِهِمْ كَقَوَاعِهِمْ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا أَعَارُوا عَلَيْهِمْ،
فَفَعَلَ أَمَارَةَ الْإِسْلَامِ وَالرَّاءَةَ مِنَ الرِّدَّةِ الْأَدَاءِ وَالْإِقَامَةِ، وَكَيْفَ يُطْلَقُ فِي سَائِرِ أَهْلِ الرِّدَّةِ
مَا أُطْلِقَ مِنْ أَهْلِهِمْ كَانُوا يَصَلُّونَ، وَقَدْ عَيَّنَّا أَنَّ أَصْحَابَ مُسَيْلَمَةَ وَطَلْحَةَ وَغَيْرَهُمَا مِمَّنْ كَانَ
أَدْعَى الْبُؤْسَ وَحَلَّ الشَّرِيعَةَ مَا كَانُوا يَرَوْنَ الصَّلَاةَ وَلَا شَيْئًا مِمَّا حَامَتْ بِهِ شَرِيعَتُنَا.
وَقِصَّةُ مَالِكٍ مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ مَنْ تَأَمَّلَ كِتَابَ السَّيَرِ وَالنُّقْلِ، لِأَنَّهُ كَانَ عَلَى صَدَقَاتٍ قَوْمِهِ بَنَى

(١) نقله الشافعي في المراسي ٤٢٢، ٤٢٣.

(٢) القرن: الجبل؛ والكلام على الاستشارة.

يَرْبُوعَ وَالْيَا مِنْ قَتَلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَلَمَّا بَلَغَتْهُ وَفَاةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَمْسَكَ عَنْ أَحَدِ الصَّدَقَةِ مِنْ قَوْمِهِ وَقَالَ لَهُمْ : تَرْتَصَوْنَ بِهِمْ حَتَّى يَقُومَ قَائِمٌ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَسْطَرَّ مَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِهِ ، وَقَدْ مَرَّحَ بِذَلِكَ فِي شَعْرِهِ حَيْثُ يَقُولُ :

| | |
|---|---|
| وَقَالَ رَحَالٌ سَدَّدَ الْيَوْمَ مَالِكٌ | وَقَالَ رَحَالٌ سَدَّدَ مَالِكٌ لَمْ يَسْدِدْ |
| فَقُلْتُ : دَعَوْنِي لَا أَنَا لِأَيْكُمْ | فَمَ أَحْطِ رَأْيَا فِي الْمَقَامِ وَلَا انْتَدِي |
| وَقُلْتُ : حَذُوا أَمْوَالَكُمْ عِزَّ حَاتِفٍ | وَلَا نَظَرِ فِيهَا بِحَيٍّ بِهِ عَدِي |
| فَدُوسِكُمُوهَا إِنَّمَا هِيَ مَالِكُمْ | مَصُورَةُ أَخْلَاقِهَا لَمْ تَحْدِدْ |
| سَاحِلُ نَفْسِي دُونَ مَا تَحْدَرُونَهُ | وَأَرْهَكُمْ نَوْمًا عَمَّا قُلْتُمْ يَدِي |
| فَارْ قَامَ بِالْأَمْرِ الْمَحْدَدِ قَائِمٌ | أَطْمَأَ وَقَلْبًا : الدَّيْنُ دِينُ مُحَمَّدٍ |

فَصَرَّحَ كَمَا رَأَى أَنَّهُ اسْتَنْقَى الصَّدَقَةَ فِي أَيْدِي قَوْمِهِ رَفَقًا بِهِمْ وَتَعَرُّفًا إِلَيْهِمْ ، إِلَى أَنْ يَقُومَ بِالْأَمْرِ مَنْ يَدْفَعُ ذَلِكَ إِلَيْهِ . وَفَدَّرَ رَوَى حَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ سَيْرٍ ، وَذَكَرَهُ الْبَطْنِيُّ فِي تَارِيخِهِ ، أَنَّ مَالِكَاً نَهَى قَوْمَهُ عَنِ الْأُحْتِمَاعِ عَلَى مَتَاعِ الصَّدَقَاتِ وَفَرَّقَهُمْ ، وَقَالَ : نَابِي يَرْبُوعَ ، إِنَّا كُنَّا قَدْ عَصَيْنَا أَمْرًا ، مَا يَدْعُونَا إِلَى هَذَا الدَّيْنِ ، وَبِضَآنَا النَّاسَ عَنْهُ ، فَلَمْ يُصْلِحْ وَلَمْ نَنْتَحِجْ ، وَإِنِّي قَدْ بَطَرْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ فَوَحَّدْتُ الْأَمْرَ بِتَأْنِي لِهَوْلَاءِ الْقَوْمِ بغيرِ سِيَاسَةٍ ، وَإِذَا أَمَرَ لَا يَسُوسُهُ النَّاسُ ؛ فَإِنِّي كَمَا وَمُعَادَاةُ قَوْمٍ يُصْطَحُّ لَهُمْ فَتَفَرَّقُوا عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَمْوَالِهِمْ ، وَرَجَعَ مَالِكٌ إِلَى مَعْرَلِهِ ، فَمَا قَدِمَ حَبِيبُ الْمَطَاحِ بَثَّ السَّرَايَا وَأَمْرَهُمْ بِدَاعِيَةِ الْإِسْلَامِ وَأَنْ يَأْتُوهُ بِكُلِّ مَنْ لَمْ يُجِبْ ، وَأَمْرَهُمْ بِنِ أُمْتَحَنَ أَنْ يَقَاتِلُوهُ ، فَجَاءَتْهُ الْحِيلُ بِمَالِكِ بْنِ نُؤَيْرَةَ فِي شَعْرِهِ مِنْ بَنِي يَرْبُوعَ ؛ وَاحْتَفَتِ اسْرِيَّةُ فِي أَمْرِهِمْ ، وَفِي السَّرِيَّةِ أَبُو قَتَادَةَ الْحَارِثُ بْنُ رَبِيعٍ ، فَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ أَتُّهُمْ أَذْبُوا وَأَقَامُوا وَحَسَبُوا ، فَلَمَّا احْتَفَلُوا فِيهِمْ

أمر بهم خالد فحسبوا وكانت ليلة باردة لا يقوم لها شيء ، فأمر خالد ماديًا يُنادي : « أدفئوا أسراكم »^(٢) ، فظنوا أنهم أمرُوا بقتلهم ، لأن هذه اللمعة تستعمل في لغة كناية للقتل ، فقتل ضِرَارُ بْنُ الْأَرْوَرِ مالكا ، وتزوج خالد زوجته أم تميم بنت المِهَال^(٣) .

وفي خبر آخر أن السرية التي نمت بها خالد لما غشيت القوم تحت الليل داعوهم ، فأخذ القوم أسلح ! قال : قلنا . إنا انصبوب ، مضوا : ونحن المسجون ، قلنا : فما بال السلاح معكم ! قلنا : فصموا السلاح ، فلما وصعوا السلاح رَظَظُوا أسارى فأتوا بهم خالد . فحدث أبو قتادة خالد بن الوليد أن القوم نادوا للإسلام ، وأن لهم أمانا ، فلم يلتفت خالد إلى قولهم وأمر بقتلهم ، وقسم سائرهم ، وحبس أبو قتادة ألا يسير تحت لواء خالد في حيش أبدا ، وركب فرسه شادا إلى أبي بكر ، فاجترأه الخبر ، وقال له : إني نهيتُ خالدًا عن قتله ، فلم يعمل قولي ، واحد شهادة الأعراب الذين عزمهم أسائهم ، وإن عمر لما سمع ذلك نكلم فيه عبد ابن بكر فأكثروا . ^(٤) بعد القصاص قد وحب عليه . ولما أقبل خالد ابن الوليد فاعلا دخل المسجد وعليه قبا له عليه صدأ الحديد ، متسجرا^(٥) نهمة له قد عرر في عمامته أسبها ، فلما دخل المسجد قام إليه عمر فزع الأسهم عن رأسه فطعمها ، ثم قال له : فاعدو نفسيه ، أعددوت على امرئ مسلم فقتلته ، ثم رزوت على امرأته ! والله نرَحُمُكَ بأحبارك . وخالد لا يكلمه ، ولا يعش إلا أن رأى أبي بكر مثل رأيه حتى دخل إلى أبي بكر وأعتذر إليه بمذره وتجاوز عنه ، فخرج خالد وعمر حاسي في المسجد فقال : هلم إلي يا ابن أم ثعلبة ! فمرو عمر أن أما بكر قد رصى عنه فلم يكلمه ، ودخل بيته^(٥) .

وقد روي أيضا أن عمر لما ولي جمع من عشرة مالك بن نويرة من واحد منهم

(١) ب : « داعو » ، صوابه في د والطري . (٢) الطري : « أسراكم » .

(٣) تاريخ الطري ٣ : ٢٧٨ (الطريف) ، مع تصرف واختصار .

(٤) اعتمر العمامة : أسبها . (٥) تاريخ الطري ٣ : ٢٧٩ . ٢٨٠ .

وأسترَحَّ ما وَجَدَ عند السَّليمان من أموالهم وأولادهم وسائرهم ، فردَّ ذلك عليهم جميعاً مع نصيبه كان منهم . وقيل : إنَّه ارتفع بمصر لسائرهم من نواحي دِمَشقَ ، وبعضهم حوامل ، فردَّهن على أزواجهن . فالأمر ظاهرٌ في خطأ خالد ، وخطأ من تجاوز عنه . وقول صاحب الكتاب : إنَّه يجوز أن يحصى عن عمر ما يظهر لأنى نكر ليس شياً ؛ لأنَّ الأمر في قصة خالد لم يكن مشدداً ، بل كان مشاهدًا معنوياً لكل من حصَّره ؛ وما تأوَّل به في القتل لا يمدَّر لأجله ، وما رأينا أن بكر حَكَمَ فيه بحكم التأوَّل ولا غيره ، ولا تلاقَ خطأه وزَلَّه ، وكونه سَيِّئاً من سيوف الله على ما دَّعا لا يسقط عنه الأحكام ، ومرتته من الآثام . وأما قول متعم : لو قُتِلَ أحيى على ما قُتِلَ عليه أحوك لما رَدَّيْتُهُ ، لا يدلُّ على أنَّه كان مرتدّاً ، فكيف يَطُنُّ عاقلٌ أن متماً يعترف برِدَّةِ أخيه وهو يطالب أبا بكر بدميه والامتناع من قانيه ، وردَّ سيِّئه ، وإنَّه أراد في الحيلة التقرب إلى عمر بتقريب أخيه ثم لو كان ظاهر هذا القول كعادته لكان إنما يقصد تمصيل قتلِهِ رَدُّه على قتلِهِ مالك ، والحال في ذلك أظهر ، لأنَّ رداً قُتِلَ في نكث السهم ذاتاً عن وخوهم ، ومالك قُتِلَ على شبهة ، وبين الأمرين فرق .

وأما قوله في السِّيِّ صَلى اللهُ عليه وآله : « صاحبك » فقد قال أهل العلم : إنَّه أراد القرشيَّةَ لأنَّ حاله قرشيٌّ . ونعم ، فليس في ظاهر إسافته إليه دلالة على نفيه له عن نفسه ، ولو كان علم من مقصده الاستحفاف والإهانة على ما ادَّعاه صاحب الكتاب لوجب أن يعتدَّ خالدٌ بذلك عند أنى بكر وعمر ويعتدَّ به أبو بكر لما طال به عمرُ بقتله ، فإنَّ عمرَ ما كان يمتنع من قتل فادح في سيرة السِّيِّ صَلى اللهُ عليه وآله ، وإنَّ كان الأمر على ذلك فأي معنى لقول أبي بكر : تأوَّل فاحصاً ! وإنما تأوَّل فاحصاً إن كان الأمر على ما ذكر (١) .

قلت : أما تعجب المرتضى من كون قوم منعموا الزكاة وأقاموا على الصلاة ودعواه أن هذا غير ممكن ولا صحيح ، فالمعجب منه كيف يُتكر وقوع ذلك ، وكيف يسكر إمكانه ! أما الإمكان فلاه لا ملارمة بين العبادتين إلا من كونهما مقترنتين في بعض المواضع في القرآن ، وذلك لا يُوجب تلازمهما في الوجود ، أو من قوله : إن الناس يعلمون كون الزكاة واجبة في دين الإسلام ضرورة ، كما تعلمون كون الصلاة في دين الإسلام ضرورة ، وهذا لا يمنع اعتقادهم سُقوط وجوب الزكاة لشبهة دخلت عليهم . فإنهم قالوا : إن الله تعالى قال لرسوله : ﴿ حَدِّثْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ سَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ (١) قالوا : فوصف الصدقة المروضة بأنها صدقة من شأنها أن يطهر رسول الله صلى الله عليه وآله الناس ويرزقهم بأحدها منهم ، ثم عتب ذلك بأن فرض عليه مع أخذ الزكاة منهم أن يصلي عليهم صلاة تكون سكنا لهم . قالوا : وهذه الصفات لا تتحقق في غيره ، لأن غيره لا يطهر الناس ويرزقهم بأحد الصدقة ، ولا إذا صلى على الناس كانت صلاته سكنا لهم ، فلم يبح علينا دفع الزكاة إلى غيره . وهذه الشبهة لا تنافي كون اركاة معلوما وحوها ضرورة من دين محمد صلى الله عليه وآله ، لأنهم ما ححدوا وحوها ، ولكهم قالوا : إنه وجوب مشروط ، وليس يُعلم بالضرورة انشاء كوها مشروطة ، وإنما يُعلم ذلك بنظر وتأويل ، فقد بان أن ما ادعاه من الضرورة ليس بدال على أنه لا يمكن أحد اعتقاد بني وجوب الزكاة بعد موت الرسول ، ولو عرِضت مثل هذه الشبهة في صلاة لصح لذهاب أن يذهب إلى أنها قد سقطت عن الناس ؛ فأما الوقوع فهو المعلوم ضرورة بالتواتر ، كما يعلم من أبا بكر وإلى الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وآله ضرورة بطريق التواتر ، ومن أورد الوقوف على ذلك فليستر في كتب التواريخ

فإنها تشتمل من ذلك على ما يشفى ويكفى . وقال أبو حمزة محمد بن حرير الطبري في التاريخ الكبير بإسناد ذكره : إن أبا بكر أقم بالمدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وتوجيه أسامة في جيشه إلى حيث قُتل أبوه زيد بن حارثة لم يحدث شيئاً ، وجاءته وفود العرب مرتدين يُقِرُّون بالصلاة ويعمون الصدقة ، فلم يقبل منهم وردهم ، وأقام حتى قدم أسامة بعد أربعين يوماً من شحوصه ، ويقال : بعد سبعين يوماً^(١)

وروى أبو حمزة قال : انتمت العرب قاطبة من أداء الزكاة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلا قرشا وثقيفاً^(٢) .

وروى أبو حمزة ، عن التري^(٣) عن شعيب ، عن سيف ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : ارتدت العرب وممت الزكاة إلا قرشا وثقيفاً ، فأما هوارز فقدمت رَحْلاً وأحرت أخرى ، أمسكوا الصدقة^(٤) .

وروى أبو حمزة ، قال : لما ممت العرب الزكاة كان أبو بكر ينتظر قدوم أسامة بالجيش ، فلم يحارب أحداً قبل قدومه إلا عتاً ودبيل ، فإنه قاتلهم قبل رجوع أسامة^(٥) .

وروى أبو حمزة ؛ قال : قدمت وفود من قاتل العرب المدينة ، فرتوا على وحوه الناس بها ، ويحملونهم إلى أبي بكر أن يقيموا الصلاة وآلا يؤتوا الزكاة ، فمرم الله لأبي بكر على الحق ، وقال : لو سمعوني عقاب نبي لحاهدتهم عليه^(٦) .

وروى أبو حمزة شمر الخطيل^(٧) بن أوس ، أخى الخطيئة في معنى منع الزكاة ، وأن

(١) تاريخ الطبري ٣ : ٩٧٠ .

(٢) تاريخ الطبري ٣ : ٢٤٢ . (٣) م : « السدي » ؛ صوابه ن ، أ ، د وتاريخ الطبري .

(٤) تاريخ الطبري ٣ : ٢٤٢ . (٥) تابع الطبري ٣ : ٢٤٣ .

(٦) تابع الطبري ٣ : ٢٤٤ . والحال : الخيل التي كان يقبل به البحر الذي كان يؤخذ في الصدقة

(٧) في الأصول : « العطل » ، وصوابه من تاريخ الطبري .

أبا بكر ردّ سؤال العرب ولم يُجِبْهم من مُجَلَّتِهِ :

أَطْعَمْنَا رَسُولَ اللَّهِ إِذْ كَانَ يَبْسَا فَيَا لَمِيَاذِ اللَّهِ مَا لَأَنَّى نَكْرًا^(١)
أَيُورِثُهَا بِكَرٍّ إِذَا مَاتَ بَعْدَهُ وَتِلْكَ لَعَمْرُ اللَّهِ قَاصِمَةُ الطَّهْرِ
فَهَلَّا رَدَدْتُمُ وَعْدًا يَأْتِيهِ وَهَلَّا حَسِبْتُمْ مَهْ رَاسِيَةَ الْكَرِّ
فَإِنَّ الَّذِي سَمَّاوَكُمُ فَمَسْتُمْ لَكَاتَمَرُ أَوْ أَحَلَّى خَلْفَ بَنِي هِزْرِ^(٢)

وروى أبو حمزة قال : لما قَدِمَتِ العربُ المدينةَ على أبي بكرٍ فكلّموه في إسقاط الزكاة ، تَزَلُّوا على وحوه الناس بالمدينة فلم يبقَ أحدٌ . لَّا وَأَرْبَلُ عَلَيْهِ نَاسًا مِنْهُمْ ، إِلَّا الْعَاصِ ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، ثُمَّ اجْتَمَعَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ السَّمَوِيُّ ، فُخِوْهُ نَاسَ الْقَرَبِ وَاجْتَمَعَهَا ، قَالَ رِصْرَادُ بَنِي الْأَدُورِ : فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَبْسُ رَسُولَ اللَّهِ - أَمَلًا يَحْمَرُّ شَعْوَاءَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ فَجَعَلْنَا^(٣) مَحْوَرَهُ^(٤) وَرَوَّعَهُ ، وَكَثَبْنَا بِهَا بِحَبْرِهِ بِمَالِهِ لَا مَاعْلِيَهُ ، وَاجْتَمَعَتِ كُلُّهُ السُّلَمِيُّ عَلَى إِحَادَةِ الْعَرَبِ إِلَى مَا طَلَسَتْ ، وَأَبَى أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَقْبَلَ إِلَّا مَا كَانَ يَفْعَلُهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْ يَأْخُذَ إِلَّا مَا كَانَ يَأْخُذُ ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا بِوَمَا وَبَيْلَةٍ ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِالْانْصِرَافِ ، وَطَارُوا إِلَى عَشَائِرِهِمْ^(٥) .

وروى أبو حمزة ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَمَثَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ إِلَى عُثْمَانَ قُلُ مَوْتِهِ ، فَمَاتَ وَهُوَ بِهَا ، فَاقْبَلَ قَدَمًا إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَوَجَدَ الْعَرَبَ قَدْ صَعَتِ الزَّكَاةَ ، فَجَلَّ فِي بَنِي عَامِرٍ عَلَى قُرْتِهِ مِنْ هَبْرَةٍ ، وَفَرَّةٍ يَفْدُمُ رِجْلًا وَيُؤْخَرُ أُخْرَى ، وَعَبَى ذَلِكَ سَوَاعِمَ كُلِّهِمْ إِلَّا الْخَوَاصَّ . ثُمَّ قَدِمَ الْمَدِينَةَ ، فَطَلَفَتْ بِهِ غَرِيضٌ ، فَأَحْبَرَهُمْ أَنَّ الْمَسَاكِرَ مُعْسِكِرَةٌ حَوْلَهُمْ ، فَتَفَرَّقَ السَّمَوِيُّ ، وَتَحَقَّقُوا خَلْفًا ، وَأَقْبَلَ عَمْرٍو بْنُ الْحَطَّابِ ، فَرَّ بِمَحَلَّةٍ

(١) أورد صاحب الأعيان السب الأول والثاني (٢ - ١٥٧ - صفة دار الكتب) وسبها إلى المصنفه .

(٢) الطبري ٣ : ٢٤٦ ، ومعه : « أَوْ أَحَلَّى إِلَى مِنْ الْبَرِّ » .

(٣) ب : « يَجْعَلُنَا » ، وموافق من الطبري ، « . (٤) الطبري : « نَحْرَهُ » .

(٥) تاريخ الطبري ٣ : ٢٥٨ .

وهم يتحدثون فيما سَمِعُوا من عمرو ، وفي تلك الحفنة على عثمان وطححة والزبير وعبد الرحمن ابن عوف وسعد ، فلما دنا عمرُ منهم سَكَنُوا ، فذر . في أي شيء أنتم ؟ فلم يُجروه ؛ فقال : ما أعلمني بالذي حلَّوْتم عليه ! فمصب طححة وقال : الله يأس الخطاب ! إنك لتعلم الغيب ! فقال : لا يعلم الغيب إلا الله ، ولكن 'ص' قلتم : ما أخوفنا على قريش من العرب وأحلقهم ألا يقرؤا بهذا الأمر . قالوا : صدقت ، فقل : فلا تخافوا هذه المرة ، أنا والله منكم على العرب أخوف مني عليكم من العرب ^(١) .

قال أبو حمزة : وحديثي الرزي ، قال : حدثني شعيب ، عن سيف ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : رل عمرو بن العاص بمصر فقه من عثمان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مقره بن هيرة بن سلمة بن يسير ، وحوله عساكر من أهلهم ، فدفع له ، وأكرم منزله ، فلما أراد الرحلة حلاله وقال : يا هذا ؛ إن العرب لا تطيب لكم أمسا بالإتاوة ، فإن أنتم أعيشتموها من أخذ أموالها فاستمع وصنع ، وإن أنيتم فإنها تجمع عليكم ؛ فقال عمرو : أتوعدنا بالعرب وتخوفنا بها ! موعدنا جيش أمك ، أما والله لأوطئته عليك الخيل ، وقدم على أبي بكر والسليمان فاجبرهم ^(٢) .

وروى أبو حمزة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قرى عماله في بني تميم على قبض الصدقات فجعل الزبير بن عبد العوف والرباب ، وقيس بن عاصم على مقاعيس والبطون ، وصعوان بن صعفوان وسبرة بن عمرو على بني عمرو ، ومالك بن نويرة على بني حنظلة ، فلما ثوى رسول الله صلى الله عليه وسلم صرَب صعوان إلى أبي بكر حين وقع إليه الخبر بموت النبي صلى الله عليه وسلم بصدقات بني عمر ، وبما ولي منها ، وما ولي سبرة ، وأقام سبرة في قومه لحدث إن ناب ، وأطرق قيس بن عاصم يَطْرُما الزرقان صانع ؟ فكان له عدوا وقال وهو ينتظره ويبتظر ما يصنع : وبني عليه ! ما أدري ما أصنع إن أنا

بأيتُّ أبو بكر وأثبته بصدقات قومي حتى فهم فساءني عندهم ، وإن رددتها عليهم فبئس
أبو بكر فيسوءني عنده ، ثم عزم بئس على قسمتها في مُعاعيس والبطلون ، فعل وعزم الزُّرقان
على الوفاء ، فأتبع صفوان بصدقات عوف والرباب حتى قديم بها المدينة وقال شمرا بمرض
فيه بئس بن حاصم ، ومن حملته :

وفيتُّ بأدوادِ الرسول وقد أتتُ سعاة فلم يرُّدُّدُ بصيراً أميرها
فلما أرسل أبو بكر إلى قيس الملاء بن الحصري أحرص الصدقة ، فأتاه بها وقدم معه
إلى المدينة (١) .

وفي تاريخ أبي جعفر الطبري من هذا الكثير الواسع ، وكذلك في تاريخ غيره من
التواريخ ، وهذا أمرٌ معلوم بأسطرار ، لا يجوز لأحد أن يُخالف فيه .

فأما قوله : كيف يصح ذلك ، وقد قال لهم أبو بكر : إذا أدبوا وأقاموا كأداسكم وإقامتكم ،
فكفوا عنهم ، فحمل أمارَةَ الإسلام والبرامة من الرِّدة الأدان والإقامة ، فإنه قد أسقط
بعض الخبر ، قال أبو جعفر الطبري في كتبه : كانت وصيته لهم : إذا زلتم فادَّبوا وأقيموا ،
فإن أدب القوم وأقاموا فكفوا عنهم ، فإن لم يفعلوا فلا شيء ، إلا الفارة ، ثم اقتلوا كل قتلة ؛
الخرق فاسواء ، وإن أحابوا داعية الإسلام فاسألوا ، فإن أقرؤا بالزكاة فأقبلوا منهم ،
وإن أبوا فلا شيء إلا الفارة ، ولا كلمة (٢) .

فأما قوله : وكيف يُطلق قاضي الفصاة في سائر أهل الرِّدة ما أطلقه من أنهم كانوا
يصلون ومن أجلهم أصحابُ مُسيلة وطححة وإنما أراد قاضي الفصاة بأهل الرِّدة هاهنا
ما نعى الزكاة لا غير ، ولم يُرد من حشد الإسلام بالكلية .

فأما قصة مالك بن نويرة وحظير بن الوليد فإنها مشبهة عدى ، ولا غرو فقد
أُشبهت على الصحابة ، وذلك أن من حضرها من العرب اختلفوا في حال القوم : هل كل

عليهم شعار الإسلام أولاً ؟ وأختلف أبو بكر وعمر في خالد مع شدة اتفاقهما ، فأما الشعر الذي رواه المرتضى لمالك بن نويرة فهو معروف إلا البيت الأخير ، فإنه غير معروف ، وعليه عمدة المرتضى في هذا المقام ، وما ذكره بعد من قصة القوم صحيح كله مطابق لما في التواريخ إلا موبضعات بسيرة :

منها قوله : إن مالكا نعى قومه عن الاجتماع على منع الصدقات ، فإن ذلك غير منقول وإنما المنقول أنه نعى قومه عن الاجتماع في موضع واحد ، وأمرهم أن يتفرقوا في ميابهم ؛ ذكر ذلك الطبري ولم يذكر سببه وإنما عن الاجتماع على منع الصدقة ، وقال الطبري : إن مالكا تردد في أمره : هل يحمل الصدقات أم لا ؟ فجاءه خالد وهو متحيزٌ سبيح .

ومنها أن الطبري ذكر أن صراد بن الأزور قتل مالكا عن غير أمر خالد ، وأن خالدا لما سمع الواقعة حرج وقد فرغوا منهم ، فقال : إذا أراد الله أمراً أصابه ؛ قال الطبري : وغضب أبو قتادة لذلك ، وقال لخالد : هذا عملك وفارقه وأتى أبا بكر فأخبره فعضب عليه أبو بكر حتى كلمه فيه عمر ، فلم يرض إلا أن يرجع إلى خالد ، فرجع إليه حتى قدم معه المدينة^(١) .

ومنها أن الطبري روى أن خالدا لما تزوج أم نعيم بنت المنهل امرأة مالك لم يدخل بها وتركها حتى تنقض طهرها ، ولم يذكر المرتضى ذلك . ومنها أن الطبري روى أن متمما لما قدم المدينة طلب إلى أبي بكر وسئله ، فكتب له رد السبي ؛ والمرتضى ذكر أنه لم يرد إلا في خلافة عمر . فأما قول المرتضى : إن قول متمم : لو قتل أحى على مثل ما قتل عليه أحوك لما ركبته ،

لا يدلّ على رِدَّتِه ، صحيح ، ولا ربّ أنه قصّد تقريباً ريّذ بن الخطاب وأن يُرغِي عمرُ أحماء بذلك . ويعني قال المرتضى ! إن بين القتلين فرقا طاهرا ، وإليه أشار متمم لا محالة .

فأما قول مالك : صاحبك ، يعني النبي صلى الله عليه وآله ، فقد روى هذه اللفظة الطبري في التاريخ ، قال : كان خالدٌ يعتذر عن قتله ، فيقول : إني قال له وهو يراخه : ما إحالُ صاحبكم إلّا قال كذا وكذا ، فقال له خالد : أو ما نعدّه لك صاحباً^(١) ! وهذه لعمري كلمة حافية ؛ وإن كان لها سحرٌ في التأويل ، إلّا أنه مُستكره ، وقرائن الأحوال يبرّرها من شأدها وتعميها ، فإذا كان خالدٌ قد كلّ يعتذر بذلك ، فقد أدفعَ بقول المرتضى : هلا اعتذر بذلك ! ولست أرى حسداً عن الخطأ ، وأعلم أنه كان ختاراً فاسكاً لا بُرّاق الدين فيما يحمله عليه العصب وهوّى منه ، ولقد وقع منه في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله مع بني حديصة بالغضب العظيم ممّا دفع منه في حقّ مالك بن نويرة ، وعمّا عنه رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن غضب عليه مُدّة وأعرّض عنه ، وذلك انعم هو الذي أظلمه حتى قتل النبي يربوع ما فعل بالسطاح .

الطعن الثامن

قولهم : إن ممّا يؤثّر في حاله وحال عمر دفعهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله في بيّته ، وقد مع الله تعالى اسكلّ من ذلك في حال حياته - فكيف بعد المات - بقوله تعالى : ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾^(٢) .

أحلب قاصي القصّة بأن الموضع كل منسكا لمائشة ، وهي حُجْرَتُهَا التي كانت

(١) تاريخ الطبري ٣ : ٢٨٠ . (٢) سورة الأحزاب ٣٣ .

معروفة بها ، والحجبرُ كلُّها كانت أملاً كما لأرواح النبي صلى الله عليه وآله ، وقد نطق القرآنُ بذلك في قوله : ﴿ وَفَرَّغَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ ^(١) ، وذكر أن عمرَ استأذن عائشةً في أن يدفن في ذلك الموضع ، وحتى قال : إن لم تأذن لي فادفِنوني في السبع ، وعلى هذا الوجه يُحتمل ما روي عن الحسن عليه السلام أنه لما مات أوصى أن يدفن إلى حبس رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإن لم يترك في السبع ، فعاً كان من مروان وسعيد بن العاص ما كان دُفن في السبع . وإما أوصى بذلك بإذن عائشة ؛ ويحور أن يكون علم من عائشة أنها حملت الموضع في حكم الوصف ، فاستباحوا ذلك لهذا الوجه ؛ قال : وروى عنه عليه السلام في ذلك الموضع ما يدل على قصر أبي بكر ، لأنه عليه السلام لما مات اختلفوا في موضع دفنه ؛ وكثر القول حتى روى أبو بكر عنه صلى الله عليه وآله أنه قال ما يدل على أن الأنبياء إذا ماتوا دُفِنوا حيث ماتوا ، فقال الخلاف في ذلك ^(٢) .

اعترض الرنصي فقال : لا يجوز موضع دفن النبي صلى الله عليه وآله من أن يكون مائتاً على منكبه عليه السلام ، أو يكون أسيراً في حياته إلى عائشة على ما ادَّعاه ؛ فإن كان الأول لم يحمل أن يكون ميراثاً بعده أو صدقة ؛ فإن كان ميراثاً فما كان يحمل لأبي بكر ولا لغيره من بعده أن ياترأ بدوهم فيه إلا بمدبراء الوارثة الذين هم على مدحهما فاطمة وجماعة الأرواح ، وعلى مدحهم هؤلاء ، والباس ، ولم يجد واحداً منهما حامل أحد من هؤلاء الوارثة على ابتياع هذا المكان ولا استئجاره عنه شمس ولا غيره . وإن كان صدقة فقد كان يجب أن يرخص عنه جماعة المسلمين ويشتاعه منهم ؛ هذا إن حار الأتباع لما يتجرى هذا المجرى ، وإن كان انتقل في حياته فقد كان يجب أن يظهر سب أئتماله والخلة فيه ، وإن فاطمة عليها السلام لم يقنع منها في انتقال ذلك إلى منسكها بقولها ، ولا شهادة من

قبيدها. فإما تعلقه بإضافة البيوت إليهن في قوله : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ ؛ فمن ضميم الشبهة ؛ لأننا قد بينا فيما مضى من هذا لكتب أن هذه الإضافة لا تقتضي الملك ، وإما تقتضي السكنى ، والعادة في استعمال هذه اللفظة في باد كرماء طاهرة ، قال تعالى : ﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ﴾ ^(١) ؛ ولم يرد الله تعالى إلا حيث يسكن ويترن دون حيث يملك وما أشبهه ، وأظرف من كل شيء تقدم قوله : إن الحسن عليه السلام استأذن عائشة في أن يدفن في البيت حتى سمعه مروان وسعيد بن العاص ؛ لأن هذه مكاراة منه ظاهرة ، فإن المانع للحسن عليه السلام من ذلك لم يكن إلا عائشة ، ولعل من ذكره من مروان وسعيد وغيرهما أعانها واتسع في ذلك أمرهم ، وروى أنها حرجت في ذلك اليوم على فعل حتى قال ابن عباس : يوماً على تفضل ويوماً على حمل فكيف تدين عائشة في ذلك ، وهي مالكة الموضع على قولهم ، ويصح منه مروان وغيره ممن لا ملك له في الموضع ولا شركة ولا يد ! وهذا من صحيح ^(٢) ما يرتك . وأى فصل لا يكر في روايته عن النبي صلى الله عليه وآله حديث الدفن ! وعلمهم بقوله إن سح من سدهن صاحب الكتاب وأصحابه المعسل ببحر الواحد العدل في أحكام الدبر العظيمة ، فكيف لا يعمل بقول أبي بكر في الدفن وهم يعملون بقول من هو دونه فيما هو أعظم من ذلك ^(٣) !

قلت : أما أبو بكر ؛ فإنه لا يلحقه بدفيه مع الرسول صلى الله عليه وآله دم ؛ لأنه ما دفن نفسه ، وإنما دفعه الناس وهو ميت ، فإن كان ذلك خطأ فالإثم والدم لاحتقان بمن فعل به ذلك ، ولم يثبت عنه بأنه أوصى أن يدفن مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإنما قد يمكن أن يتوحد هذا الطمس إلى عمر ، لأنه سأل عائشة أن تدفن في الحجرة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وأبي بكر . والقول عدى مشته في أمر حجرة الأزواج :

(١) سورة الطلاق ١ . (٢) العاقب : ٥ أفصح . (٣) الثاني ٤٢٤ .

هل كانت على يلك رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن تُوفى، أم مَلَكَها نساؤه؟ والذي
تُطْلَقُ به التواريخ أنه لما خرج من فناء ودخل المدينة وسكن منزل أبي أيوب،
اختط السجد واحتط حُجَر سائه ومثانه، وهذا يدل على أنه كان المالك للمواضع،
وأما خروجها عن ملكه إلى الأرواح وابتدت فتا لم أفت عليه. وبحوز أن تكون
المصحابة قد همت من قرآن الأحوال وبت شاهدوه عليه السلام؛ أنه قد أقر كل بيت
منها في يد روحه من الزوحت على سبيل الهبة والعطية، وإن لم يُقبل عنه في ذلك صيغة
لفظ مُعْتَى، والقول في بيت فاطمة عليها السلام كذلك، لأن فاطمة عليها السلام لم تكن
تملك مالا، وعلى عليه السلام بتمها كل قبرا في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله
حق إنه كان يستحق الماء ليمود بيده، يسي بانيهم لقوت يدفعونه إليه، فمن أين
كان له ما يتناع به حجرة يكن فيها فهو وزوجته^(١) والمول في كثير من الزوحت
كذلك أسمن كن قيراب مدفعات^(٢) نحو سفينة بنت حبي بن أخطب، وخويرية بنت
الحارث، وميمونة، وعمرهن، فلا وجه بممكن أن يملك منه هؤلاء النسوة والبنت
الحجرة؛ إلا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وهبها لهن؛ هذا إن ثبت أنها خرجت
عن ملكيته عليه السلام، وإلا فهي ماقية على ملكيته باستصحاب الحال. والقول في
حجرة ريت بنت رسول الله صلى الله عليه وآله كذلك، لأنه أقدمها من مكة معارفة
لبعلها أبي العاص بن الربيع، فأسكنها المدينة في حجرة مسعدة حالية عن بن، فلا بد
أن تكون تلك الحجرة بمقتضى ما يتغلب على الظن ملكا له عليه السلام، فيستدام
الحكم بملكها لها إلى أن نجد دليلا يتقنا عن ذلك. وأما رقية وأم كلثوم زوجتا عثمان،
فإن كان مثيرا ذا مال فيجوز أن يكون يتناع حجرة سكنت فيها الأولى منهما، ثم
الثانية بعدها.

(١) ب : روحه .

فَأَمَّا أَحْتِجَاجُ قَاضِي الْقِصَاةِ فَقَوْلُهُ : ﴿ وَفَرَنْ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ ؛ فَاعْتِرَاضُ الْمُرْتَضَى عَلَيْهِ قَوِيٌّ ، لِأَنَّ هَذِهِ الْإِصَافَةَ إِنَّمَا تَقْتَضِي التَّحْصِيصَ فَقَطْ لَا التَّمَايُكَ ، كَمَا قَالَ : ﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ﴾ ^(١) ؛ وَبِحُجُورِ أَنْ يَكُونَ أَبُو مَكْرٍ لَمَّا رَوَى قَوْلَهُ : « لَمْ يَحْنِ لَا بُورَثَ » تَرَكَ الْحَجَرَ فِي أَيْدِي الزَّوْجَاتِ وَابْتَدَأَ عَلَى سَبِيلِ الْإِنْفِصَاعِ لَمْ لَا التَّمْلِيكَ ، أَيْ أَمَّا حَنْ السُّكُونِ لَا التَّصَرُّفِ فِي رِقَابِ الْأَرْضِ وَالْأُتْبِيَةِ وَالْآلَاتِ ، لِمَا رَأَى فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَصْلَحَةِ ، وَلِأَنَّهُ كُلُّ مَنْ التَّهَيَّجَنَ الْقَبِيحَ إِحْرَاحُحَنَ مِنَ الْبُيُوتِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَذَلِكَ ؛ فَإِنَّهَا قَرِيبَةٌ كَبِيرَةٌ دَاتُ مَخْلٍ كَثِيرٍ حَارِجَةٌ عَنِ الْمَدِينَةِ ، وَلَمْ تَكُنْ مَطْمَئَةً مُتَصَرِّفَةً فِيهَا مِنْ قَبْلِ تَفْسِهَا وَلَا بِوَكِيلٍ ، وَلَا رَأَتْهَا قَطً ، فَلَا تُشَبِّهُ بِهَا حَالُ الْحَجَرِ وَأَيْضًا لِإِبَاحَةِ هَذِهِ الْحَجَرِ وَزَارَةِ أَثْمَانِهِمْ ، فَإِنَّهَا كَانَتْ مَبْنَةً مِنْ طِينٍ قَصِيرَةِ الْحِدْرَانِ ، فَلَمَّا أَبَا مَكْرٍ وَالصَّحَابَةَ اسْتَحَقَرُّوْهَا ، فَأَفْرَقُوا النِّسَاءَ فِيهَا وَعَوَّصُوا السُّلَاطِينَ عَنْهَا بِالشَّيْءِ الْبَسِيرِ مِمَّا يَضَعِي الْحِسَابَ أَنْ يَكُونَ مِنْ سَهْمِ الْأَرْوَاحِ وَالسَّعْيِ عِنْدَ مِثْمَةِ الْفَقْرِ .

وَأَمَّا الْقَوْلُ فِي الْحَسَنِ وَمَا حَرَّكَهُ مِنْ طَائِفَةٍ وَمِنْ أُمِّيَّةٍ فَمَدَّ تَقْدِيمَ ؛ وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي الْحَجَرِ الْمَرْوِيِّ فِي دَفْنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَكَانَ أَبُو الْمَطَرِ هَهُنَا اللَّهُ بْنُ الْوُسْوَیِّ صَدْرَ الْحَرْنِ الْمَعْمُورِ ، كَلَّمَ فِي أَبْنَامِ الْعَاصِرِ لِدَفْنِ اللَّهِ إِذَا حَدَّثَتْهُ حَدِيثَ وَهَامَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَرَوَاةِ أَبِي مَكْرٍ مَارُوهَ مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « الْأَنْبِيَاءُ يُدْفَنُونَ حَيْثُ يَمُوتُونَ » ، يَحْتَلِفُ أَنْ أَبَا مَكْرٍ افْتَعَلَ هَذَا الْحَدِيثَ فِي الْحَالِ وَالْوَقْتِ ، لِيُدْفَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي حُجْرَةِ ابْنَتِهِ ، ثُمَّ يُدْفَنَ هُوَ مَعَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ ، عِلْمًا مِنْهُ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ عَمْرِهِ إِلَّا مِثْلُ ظِلْمٍ ^(٢) الْحَجَارِ ، وَأَنَّهُ إِذَا دُفِنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي حُجْرَةِ ابْنَتِهِ فَإِنَّ ابْنَتَهُ تَدْفِنُهُ لَا مَحَالَةَ فِي حُجْرَتِهَا عِنْدَ بَعْلِهَا ، وَأَنَّ دَفْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي مَوْضِعٍ

(١) سُورَةُ الْعَلَقِ ١ .

(٢) يُقَالُ : مَا بَقِيَ مِنْهُ إِلَّا ظِلْمٌ الْحَجَارِ ؛ أَيْ شَيْءٌ بِسِرٍّ لِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَفْضَلَ طِلْثًا مِنْهُ .

آخرَ فرُبما لا يَتَبَيَّنُ له أن يُدْفَنَ عنه ، فرأى أن هذا القور بهذا الشرف العظيم ، وهذا المكان الجليل ، مما لا يفتنني حسن التدبير فوته ، وإن انتهار الفرصة فيه واحب ، فرَوَى لهم الخبر ، فلا يُمكنهم مدَّ روايته ألا يعمَلوا به ، لاسيما وقد صار هو الخليفة ، وليه السلطان والنفع والصرر ، وأدرك ما كل في نفسه ، ثم نَسَحَ عمرُ على منواله ، فرَعِبَ إلى عائشة في مثل ذلك ، وقد كان يُكرِّمها ويقدمها على سائر الزوجات في العطاء وغيره ، فأحابتَه إلى ذلك ، وكان مُطاعاً في حياته وبعد مماته ، وكل يقول : واعجباً للحسن وطَمِئِه في أن يُدْفَنَ في حُجْرَةِ عائشة ! والله لو كان أبوه الخليفة يومئذ لما تَبَيَّنَ له ذلك ، ولانتم لنعصر عائشة لهم ، وحسد الناس إياهم ، وتغالوا بني أمية وغيرهم من قريش عندهم ! ولهذا قالوا : يُدْفَنُ عثمانُ في حَشٍّ كوك^(١) ، ويُدْفَنُ الحسنُ في حُجْرَةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف والخليفة مَدُوبَةٌ والأمراء بالمدينة سوامية ، وعائشة صاحبة الموضع ، والناصرُ لِنِي هاشم قليل ، والشأنُ كثير .

وأنا أستغفر الله مما كل أبو المظفر يُخَيِّفُ عليه ، وأعلم وأطن طناً شديداً بالعلم أن أنا نكر ما رَوَى إلا ما سَمِعَ ، وأنه كل أنى لله من ذلك

الظمن التاسع

قولهم : إِنَّهُ نَصَّ على عمرَ بالخلافة ؛ تخالف رسول الله صلى الله عليه وآله على رَفْعِهِ ، لأنه كان يرْعُمُ هو ومن قال بقوله أن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يستخلف .

(١) حش كوكب : موضع بمدينة .

والجواب أن كونه لم يستحلف لا يدل على تحريم الاستحلاف ، كما أنه من لم يركب الفيل لا يدل على تحريم ركوب الفيل . فإن قالوا : ركوب الفيل فيه منفعة ولا مضرة فيه ولم يرد نص بتحريمه ، فوجب أن يحسن . قيل لهم : والاستحلاف مصلحة ، ولا مضرة فيه ؛ وقد أجمع المسلمون أنه طريق إلى الإمامة ، فوجب كونه طريقاً إليها ، وقد روي عن عمر أنه قال : إن استحلف فقد استخلف من هو خير مني . يعني أبي بكر - وإن أترك فقد ترك من هو خير مني - يعني رسول الله صلى الله عليه وآله . فأما الاجتماع المشار إليه فهو أن الصحابة أجمعوا على أن عمر إمام بنص أبي بكر عليه ، وأتقوا أحكامه ، واتقوا إليه لأجل نص أبي بكر لا شيء سواه ، فلو لم يكن ذلك طريقاً إلى الإمامة لما ألتفتوا إليه . وقد اختلف الشيعة أبو علي وأبو هاشم في أن نص الإمام على إمام بعده ؛ هل يكفي في انعقد إمامته ؟ فقال أبو علي : لا يكفي ، بل لابد من أن يرضى به أئمة حتى بحري عهده إليه بحري عهد الواحد رصد أئمة ؛ فإذا قاربه رسا أئمة صار بذلك إماماً ، ويقول فيبيعة عمر : إن أنا بكر أحضر جماعة من الصحابة لما نص عليه ، ورجع إلى رسام بذلك ، وقال أبو هاشم : بل يكفي نعمته عليه ، ولا يُراعى في ذلك رسا غيره به ، ولو ثبت أن أبا بكر فعله لكان على طريق التسع للنص ، لا أنه يؤثر في إمامته مع العهد ؛ ولعل أبا بكر إن كان فعل ذلك فقد استطاب به نفوسهم ، ولهذا لم يؤثر فيه كراهية طلحة حين قال : ولت عليماً قطعاً عديلاً . ويبين ذلك أنه لم ينقل استئناس العقد من الصحابة لعمر بعد موت أبي بكر ولا اجتماع جماعة لعقد البيعة له ، والرسا به ، فدل على أنهم اكتفوا بعهد أبي بكر إليه .

الطعن المباشر

قولهم : إنه متى نفسه بحليمة رسول الله صلى الله عليه وآله ، لاستخلافه إياه بعد موته ، مع اعترافه أنه لم يستخلفه .

والجواب أن الصحابة ممنه حليمة رسول الله صلى الله عليه وآله لاستخلافه إياه على الصلاة عند موته ، والاستخلاف على الصلاة عند الموت له منزلة على الاستخلاف على الصلاة حال الحياة ، لأن حال الموت هو الحال التي تكون فيها اليهود والنصاريا وما يهتم به الإنسان من أمور الدنيا والدين ، لأنها حال المعارقة . وأما فإن رسول الله صلى الله عليه وآله ما استخلف أحدا على الصلاة بالمدينة وهو حاصر ، وإنما كان يستخلف على الصلاة قوما أيتام عتيبه عن المدينة ، فلم يحصل الاستخلاف المطلق على الصلاة بالناس كلهم ، وهو صلى الله عليه وآله حاضر بين الناس حتى إلا لأبي بكر ، وهذه مرتبة طهيرة على سائر الاستخلافات في أمر الصلاة ، فذلك ممنوه حليمة رسول الله صلى الله عليه وآله . وبعد ، فإذا ثبت أن الإجماع على كون الاختيار طريقا^(١) إلى الإمامة وحقيقة ، وثبت أن قوما من أصل الصحابة اختاروه للخلافة ، فقد ثبت أنه حليمة رسول الله صلى الله عليه وآله ، لأنه لا فرق بين أن يوصى الرسول صلى الله عليه وآله على شخص معين ، وبين أن يشير إلى قوم فيقول : من اختار هؤلاء القوم فهو الإمام ؛ في أن كل واحد منهما يصح أن يطلق عليه حليمة رسول الله صلى الله عليه وآله^(٢) .

الطعن الحادى عشر

قولهم : إنه حرق الفُجاءة السُّنِّيَّة بالدار ، وقد نهى النبي صلى الله عليه وآله أن يُحرق أحد بالنار .

والجواب أن الفُجاءة جاء إلى أبي بكر كما ذكر أصحاب التواريخ فطلب منه سلاحاً يتقوى به على الجهاد في أهل الردَّة ، فأعطاه ، فما حرق قطع الطريق ونهب أموال المسلمين وأهل الردَّة جميعاً ، وقتل كلَّ من وَحَّد ، كما فعلت الخوارج حيث حرقت ، فلما طفر به أبو بكر رأى حرقة النار إرهاباً لأمثاله من أهل نضاد ، ويحور للإمام أن يخصَّ النصَّ العام بالقياس الجليِّ عندنا^(١) .



الطعن الثانى عشر

قولهم : إنه تكلم في الصلاة قبل التسليم ، فقال : لا يفعلنَّ حالداً أمرته ؛ قالوا : ولذلك حرَّ عند أى حنيفة أن يجرح الإنسان من الصلاة بالكلام وغيره من معصيات الصلاة من دون تسليم ، وبهذا احتجَّ أبو حنيفة .

والجواب أن هذا من الأخبار التى تنمرد بها الإمامية ، ولم تثبت ؛ وأما أبو حنيفة فلم يذهب إلى ما ذهب إليه لأجل هذا الحديث ، وإنما احتجَّ بأن التسليم خطاب آدمي ، وليس هو من الصلاة وأدكرها ، ولا من أركانها ، بل هو صدَّها ، ولذلك يسطلها قبل التمام ، ولذلك لا يسلم المسموق نعماً لسلام الإمام ، بل يقوم من غير تسليم ؛ فدلَّ على أنه صدَّ للصلاة وجميع الأصداد بالنسبة إلى رَفَعَ الصَدَّة على ويره واحده ، ولذلك استوى الكلُّ في

(١) الجلى : الواضح .

الإبطال قبل التمام ، فيستوى الكلّ في الانتهاء بعد التمام . وما يذكره القوم من سب كلام أبي بكر في الصلاة أمرٌ بعيد ، ولو كان أبو بكر يريد ذلك لأمر خالد أن يفعل ذلك الفعل بالشخص المعروف وهو نائم ليلاً في بيته ، ولا يعلم أحد من الفاعل .

الطعن الثالث عشر

قولهم : إنه كتب إلى خالد بن الوليد وهو عتي الشام يأمره أن يقتل سعد بن عباد ، فكس له هو وآخر معه ليلاً ، فلما مرّ بهما رمياه فقتلاه ، وهتف صاحب خالد في صلام الليل بمد أن الميأ سعدا في ثر هناك فيها ماء سبتين :

نحن قتلنا سيد الحز رج سعد بن عباد
ورمياه بسهمي ن فلم تُخطِر فؤاده

يوهم أن ذلك شعر الجنّ ، وأن الجنّ قتل سعد ، فلما أصبح الناس فعدوا سعدا ، وقد سمع قوم منهم ذلك الهاتف فطلبوه ، فوجدوه بعد ثلاثة أيام في تلك الثر ، وقد اخضرّ ، فقالوا : هذا منيس الجنّ ؛ وقال شيطانُ الحق لسائل سألّه : ما منع علياً أن يُخاصم أنا نكر في الخلافة ؟ فقال : يا ابن أخي ، خف أن تقتله الجنّ .

والجواب ، أما أنا فلا أعتقد أن الجنّ قتلت سعدا ، ولا أن هذا شعر الجنّ ، ولا أرتاب أن البشر قتلوه ، وأن هذا الشعر شعر الشر ، ولكن لم يثبت عدى أن أبا بكر أمر خالد ، ولا أستبعد أن يكون فعله من تقاء نفسه ليرضى بذلك أبا بكر - وحاشه - فيكون الإثم على

خالد ، وأبو بكر برىء من إثمه ؛ وما ظلك من أفعال خالد بعيد .

الظمن الرابع عشر

قولهم : إنه لما استخلف قطع لنفسه على بيت المال أجرة كل يوم ثلاثة دراهم ، قالوا : وذلك لا يجوز ، لأن مصارف أموال بيت المسلمين لم يذكر فيها أجرة للإمام .
والجواب أنه تعالى جعل في جملة مصروف أموال الصدقات العاملين عليها ، وأبو بكر من العاملين . وأعلم أن الإمامية لو انصفت لرات أن هذا الظمن بأن يكون من مناف أبي بكر أولى من أن يكون من مساويه ^(١) ومثاليه ، ولكن التمسبة لا حيلة فيها .

الظمن الخامس عشر

قولهم : إنه لما استخلف صرخ مناديه في الدينة : من كان عنده شيء من كلام الله فليأتنا به ؛ فإننا نأزيمون على جمع القرآن ، ولا بأنا بشيء منه إلا ومعه شاهدا عدل ؛ قالوا : وهذا خطأ ، لأن القرآن قد بان بفصاحته عن فصاحة البشر ، فأى حاجة إلى شاهدي عدل !
والجواب ، أن المرتضى ومن تابعه من الشيعة لا يصح لهم هذا الظمن ؛ لأن القرآن عديم ليس بمُعْجَزَا بفصاحته ، على أن من جعل معجزته للفصاحة لم يقل : إن كل آية من القرآن هي مُعْجِزَةٌ في الفصاحة ، وأبو بكر إنما طلب كل آية من القرآن لا السورة بتمامها وكاملها التي يتحقق الإعجاز من طريق الفصاحة فيها . وأيضا فإنه لو أحضر إنسان آية أو آيتين ولم يكن معه شاهد ، فربما تختلط العرب : هل هذه في الفصاحة بالغة

مبلغ الإعجاز اللفظي ، أم هي ثابتة من كلام العرب بثبوته ؛ غير مألوفة إلى حد الإعجاز ؟ فكان يلتبس الأمر ويقع التراجع ، فاستظهر أبو بكر بطلب الشهود تأكيداً ، لأنه إذا انضمت الشهادة إلى انصاحة الظاهر ثبت أن ذلك الكلام من القرآن .

الأصل :

ومن هذا الكتاب :

إِنِّي وَاللَّهِ لَوَ تَقِيَّتُهُمْ وَاحِدًا وَهُمْ طِلَاحٌ لِّأَرْضٍ كُنْهًا مَا نَلَيْتُ وَلَا اسْتَوْحِشْتُ ؛ وَإِنِّي مِنْ صَلَاحِهِمُ الَّذِي هُمْ بِهِ ، وَالْمُهْدَى الَّذِي بِيَدِي ، لَمَلِي تَصِيرَةٌ مِنْ نَفْسِي ، وَبِقِسْمٍ مِنْ رَبِّي . وَإِنِّي إِلَى إِيْقَافِ اللَّهِ نَشْأَنُ ، وَلِبُحْسِ ثَوَائِهِ لَمُسْطَرٌّ رَاحٍ ؛ وَلِلْكَيْسِيِّ آتَى أَنْ يَبِيَّ هَدِيهِ الْأُمَّةَ سَمَافُوهَا وَمَعَارُهَا ، فَيَسْجِدُوا مَالَ اللَّهِ دَوْلًا ، وَعِبَادَهُ حَوْلًا ، وَالصَّالِحِينَ حَرْبًا ، وَالْمُسْلِمِينَ حِرْمًا ؛ فَبِرِّ مَنَّهُمُ الَّذِي شَرِبَ مِنْكُمْ الْحَرَامَ ، وَخَبِدَ حَدًّا فِي الْإِسْلَامِ . وَإِنْ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُسْلِمْ حَتَّى رُضِيتَ لَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ الرِّضَا نَحْ ؛ فَنُؤَلِّهِ ذَلِكَ مَا كَثُرَتْ تَأْيِيدُكُمْ وَتَأْيِيدُكُمْ ، وَتَحْقِيقُكُمْ وَتَحْقِيقُكُمْ ، وَلَتَرْكُكُمْ إِذَا أَرَيْتُمْ وَوَيْتُمْ .

أَلَا تَرَوْنَ إِلَى أَطْرَافِكُمْ قَدِ انْتَقَصَتْ ، وَإِلَى أَمْصَارِكُمْ قَدِ افْتَتِحَتْ ، وَإِلَى مَمَالِكِكُمْ تَرَوْنَ ، وَإِلَى بِلَادِكُمْ تُعْرَى !

انْفِرُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ ، وَلَا تَشَاقُّوا إِلَى الْأَرْضِ فَتَقْرُوا بِالْحَسَفِ ، وَسُوءِ مَا بِالْأُفُقِ ، وَيَكُونُ نَصِيحَتُكُمْ الْأَحْسَنُ ؛ وَإِنْ أَحَا الْحَرْبُ الْأَرِقَ وَمَنْ نَامَ لَمْ يَمُ عَنَّهُ ، وَالسَّلَامُ .

البُزْجُ :

طِلَاعُ الْأَرْضِ : مَدُّهَا ، وَمِنْهُ قَوْلُ عُمَرَ : لَوْ أَنَّ لِي طِلَاعَ الْأَرْضِ دَهَبًا لَافْتَدَيْتُ بِهِ
مِنْ هَوْلِ الْمَطْلَعِ .
وَأَسَى : أَحْزَنَ .

وَأَكْثَرُ تَأْيِيسِكُمْ : تَحْرِيبُكُمْ وَإِعْرَاقُكُمْ بِهِ . وَالتَّائِبُ : أَشَدُّ اللَّوْمِ .
وَوَيْبَتُمْ : صَغُفْتُمْ وَفَقَرْتُمْ . وَتَمَالِكُمْ تَزْوِي ، أَيْ تَقْمَضُ .
وَلَا تَتَّقِلُوا ، بِالتَّشْدِيدِ ، أَصْلُهُ « تَتَّقِلُوا » . وَتَمَرُّوا بِالْحَسَفِ : تَمَرُّوْا بِالصَّيْمِ
وَتَصَرُّوْا لَهُ . وَتَوَّعُّوا بِاللَّيْلِ : تَرَحَّمُوا بِهِ . وَالْأَرِيقُ : الْبَدْيُ لَا يَنَامُ . وَمِثْلُ قَوْلِهِ عَلَيْهِ
السَّلَامُ : « مَنْ نَامَ لَمْ يَنْتُمْ عَنْهُ » قَوْلُ الشَّاعِرِ :

لَهُ دَرْكٌ مَا أَرَدْتُ شَارِبٌ حَرَّارٌ لَيْسَ عَنِ الثَّرَاتِ بِرَاقِدٍ ^(١)

أَسْهَرْتَهُ ثُمَّ اصْطَبَجَتْ وَلَمْ يَنْتُمْ حَسَمًا عَلَيْكَ وَكَيْفَ تَوْنُ الْحَافِدِ ١

فَأَمَّا الَّذِي رُضِيَ لَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ الرِّضَا نَحْ ، فَمَا وَبِئْسَ : وَالرِّضَا نَحْ : شَيْءٌ قَلِيلٌ يُطْلَقُ
الْإِنْسَانُ يُصَاحَبُ بِهِ عَنْ شَيْءٍ ^(٢) يُطْلَبُ مِنْهُ كَالْأَخْرِ ، وَدَلَّكَ لِأَنَّهُ مِنَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمُ الَّذِينَ
رَغِبُوا إِلَى الْإِسْلَامِ وَالطَّاعَةِ بِحِمَالٍ وَشَاءَ دُفِعَتْ إِلَيْهِمْ ، وَهُمْ قَوْمٌ مَعْرُوفُونَ كَمَا وَبِئْسَ وَأَحْيَاهُ
يُرِيدُ ، وَأَبِيهِمَا أَبِي سُفْيَانَ ، وَحَكِيمُ بْنُ حِرَامٍ ، وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو ، وَالْمُثَارِثُ بْنُ هِشَامٍ
ابْنُ الْمَيْمُونَةِ ، وَخُوَيْطِيبُ بْنُ عَبْدِ الْمَرْزُوقِ ، وَالْأَحْمَسِيُّ بْنُ شَرِيْقٍ ، وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ ،
وَعُمَيْرُ بْنُ وَهَبٍ الْحَمَتِيُّ ، وَعُيَيْبَةُ بْنُ حَصْنٍ ، وَالْأَفْرَعِيُّ بْنُ حَاسٍ ، وَعَتَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ
وَعَبِيدُ بْنُ رِيْحٍ . وَكَانَ إِسْلَامُ هَؤُلَاءِ لِلطَّمَعِ وَالْأَعْرَاضِ الدِّيَاوِيَّةِ ، وَلَمْ يَكُنْ عَنْ أَصْلٍ وَلَا عَنْ
يَقِينٍ وَعِلْمٍ .

(١) الثَّرَاتُ : جَمْعُ تَرْدٍ ، وَهِيَ الْأَحْذَى بِالتَّأَرُّ . (٢) وَدَدٌ أَمْرٌ .

وقال الراوندى : عَنِ نَقُولِهِ : « رُصِخَتْ لَهُ الرِّصَاحُ » عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ ، لِأَنَّهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ لَمْ يُسَمِّ بِعَدِ الْفَتْحِ ، وَأَصْحَابُ الرِّصَاحِ كُلُّهُمْ أَسَمُوا بِمَدِّ الْفَتْحِ ، صَوَّبُوا عَلَى الْإِسْلَامِ بِغَنَائِهِمْ حَبِيبِينَ . وَأَمْرِي بِإِسْلَامِ عَمْرُو كَانَ مَدْحُولًا أَيْضًا ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَنْ رَضِيخَةٍ ، وَإِنَّمَا كَانَ لِمَعْنَى آخَرٍ . فَأَمَّا الَّذِي شَرِبَ الْحَرَامَ ، وَحَدَّثَ فِي حَدِّ الْإِسْلَامِ ، فَقَدْ قَالَ الرَّائِدِيُّ : هُوَ الْمَعِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ ، وَأَحْظَ فِيهَا قَالَ ، لِأَنَّهُ مَعِيرَةُ إِنَّمَا أَتَاهُمُ بِالزَّيْلِ وَلَمْ يُحَدِّثْ وَلَمْ يَحْجِرْ الْمَعِيرَةَ دَكْرًا فِي شُرْبِ الْخَمْرِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ خَمْرُ الْمَعِيرَةِ مُسْتَوْقٍ ، وَأَيْضًا فَإِنَّ الْمَعِيرَةَ لَمْ يَشْهَدْ صِدْقًا مَعَ مَعَاوِيَةَ وَلَا مَعَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَمَا لِلرَّائِدِيِّ وَلِهَذَا ! إِنَّمَا يَعْرِفُ هَذَا النَّاسُ أَرْنَاهُ . وَآدَى سَأَلَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُصَيْبٍ ، وَكَانَ أَشَدَّ الْعَاصِ عَلَيْهِ وَأَبْدَنَهُمْ تَحْرِيسًا لِمَعَاوِيَةَ وَأَهْلِ الشَّامِ عَلَى حَرْبِهِ .

[أَخْبَارُ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ]

وَمِنْ بَذَرَ حَرَّ الْوَلِيدِ وَشُرْبَهُ الْخَمْرَ مَثُولًا مِنْ كِتَابِ « الْأَعْيَانِ » لِأَبِي الْقَرَّحِ عَلَى بْنِ الْحُسَيْنِ الْأَصْمَهَانِيِّ ؛ قَالَ أَبُو الْقَرَّحِ : كَانَ سَبْعَ مِائَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ الْكُوفَةَ لَعْنَانًا مَا حَدَّثَنِي بِهِ أَحَدٌ مِنْ عَبْدِ الْعَرِيزِ الْجَوْهَرِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ شُعْبَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَرِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ حَكِيمٍ ، عَنْ خَالِدِ بْنِ سَمِيدٍ عَنْ عَمْرُو بْنِ سَمِيدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : لَمْ يَكُنْ يَجْلِسُ مَعَ عُثْمَانَ عَلَى سَرِيرِهِ إِلَّا الْعَاصُ بْنُ عَبْدِ الصَّطْبِ ، وَأَبُو سُهَيْبٍ بْنُ حَرْبٍ ، وَالْحَكَمُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ ، وَالْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ ، وَلَمْ يَكُنْ سَرِيرُهُ يَسَعُ إِلَّا عُثْمَانَ وَوَاحِدًا مِنْهُمْ ، فَأَقْبَلَ الْوَلِيدُ يَوْمًا فَجَلَسَ ، فَجَاءَ الْحَكَمُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ فَأَوْمَأَ عُثْمَانُ إِلَى الْوَلِيدِ ، فَرَحَلَ لَهُ عَنْ مَجْلِسِهِ ، فَلَمَّا قَامَ الْحَكَمُ قَالَ الْوَلِيدُ : وَاقِفْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ تَدَجَّلْتَ فِي صِدْقِي بَيْنَنَا فَلْتَمَهْمَا حِينَ رَأَيْتُكَ آثَرْتَ ابْنَ عَمَّتِكَ عَلَى ابْنِ ثَمَّتِكَ . وَكَانَ الْحَكَمُ عَمَّ عُثْمَانَ ، وَالْوَلِيدُ أَخُوهُ

لأُمّه - فقال عثمان : إن الحكم شيخ قريش ؛ فما البيهاس ؟ فقال :

رَأَيْتُ لَعَمَّ الرَّءِ دُلَعَى قُرَابِيَّةَ دُوَيْنِ أَحِيَه حَدَثًا لَمْ يَكُن قَدِيمًا

فَأَمَلْتُ عَمْرًا أَنْ يَشِبَّ وَحَدَا لَكِي بِدَعْوَانِي يَوْمَ نَائِبَةِ عَمَّا

يعنى صبراً وخالداً أبى عثمان . قال : فرق له عثمان وقال : قد وليتكَ الكوفة ، فأخبرحه إليها ^(١) .

قال أبو الفرج : وأحضرني أحمد بن عبد العزيز ، قال : حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثني بعض أصحابنا ، عن أبي ^(٢) ذاب قال : لما ولي عثمان الوليد بن عمة الكوفة قديمها وعليها سعد بن أبي وقاص ، فأحير قدومه ولم يعلم أنه قد أمر ، فقال : وما سمع ؟ قالوا : وقف في السوق فهو يحدث الناس هناك ، ولما سكر شيئاً من أمره ، فلم يكد أن حاده بصم النهار ، فاستأذن على سعد ، فؤذن له ، فتم عليه بالإمرة ، وحضر معه ، فقال له سعد : ما أقدمك يا أبا وهب ؟ قال : أصيب ريربك ؛ قال : وعلى ذلك ، أحتت ريدا ؟ قال : أنا أردن من ذلك ، ولكن القوم احتاحوا إلى عملهم فسرّحوني إليه ، وقد أستعملني أمير المؤمنين على الكوفة . فسكت سعد طويلاً ، ثم قال : لا والله أدرى أصدحت بعدنا أم فددنا بعدك ! ثم قال :

رَكَايَنِي وَخُرَيْبِي ضِبَاعُ وَأَشْرِي مَخْمُ أَمْرِي لَمْ يَشْهَدْ الْيَوْمَ نَاصِرُهُ

فقال الوليد : أما والله لآنا أقول للشمر منك ، وأروى له ، ولو شئت لأحتتكَ ، ولكني أدع ذلك لما تعلم . نعم والله لقد أكرمت بحاستك ، والتطري في أمر عتلك . ثم بحث إلى عمال سعد فحبسهم وضيّق عليهم ، فكتبوا إلى سعد يستغيثون به ، فكأّمه فيهم فقال له : أو للمعروف عندك موضع ؟ قال : نعم ، فحقّ سبيلهم ^(٣) .

(١) الأمان ٤ : ١٧٤ (سأسى) . وق د « فأخرج » .

(٢) ق د « عن زاذان » .

(٣) الأمان ٤ : ١٧٥ ، ١٧٦ (سأسى) .

قال أحمد^(١) : وحدثني عمر ، عن أبي بكر الناهلي ، عن هشيم ، عن العوام ابن حوشب . قال : لما قدم الوليد على سعد قال له سعد : والله ما أدري كسنت بعدنا أم حفنا بعدك ! فقال : لا تخرجنّ ما أما إسحاق ، فإنه الملك يتفداه قوم ويتمشاه آخرون . فقال سعد : أراكم والله ستجعلونه مملوكا^(٢) .

قال أبو الفرج : وحدثنا أحمد قال : حدثني عمر قال : حدثني هارون بن معروف ، عن ضمرة بن ربيعة ، عن ابن شاذب قال : سأل الوليد بأهل الكوفة الفداء أربع ركعات ، ثم التفت إليهم فقال : أريدكم ؟ قال عبد الله بن مسعود : ما زلنا معك في ريادة منذ اليوم^(٣) .

قال أبو الفرج : وحدثني أحمد قال : حدثني عمر ، قال : حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا حريز ، عن الأجلح ، عن الشعبي قال : قال الحطيئة يذكر الوليد :
 شهد الحطيئة يوم يلقى ربه أن الوليد أحق بالمدح^(٤)
 نادى وقد تمت سلاهم "ريدكم - سكرأ - ولم يدّر"^(٥)
 فابوا أبا وهب ولو أدروا لقرت بين الشعم والوتر^(٦)
 كعموا عنانك إذ حريت ولو تركوا عنانك لم تركل تحري^(٧)

(١) هو أحمد بن عبد العزيز الطوحي .

(٢) الأغانى ٤ : ١٧٦ .

(٣) الأغانى ٤ : ١٧٦ . (٤) الأغانى ٤ : ١٧٦ و ١٧٧ . (٥) حى يذكر ربه .

(٦) الديوان : « أريدكم فلا » .

(٧) الديوان : « ليريدهم حيرا ولو قلوا » .

(٨) الديوان : « حنموا عنانك » ؛ وبه :

ورأوا شمائل ما حدى أبى
 يعطى على اليسور والعسر
 قرعت مكدوبا عليك ولم
 ترد إلى عدى ولا فقير

وقال الخطيئة أيضاً :

تَكَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ وَرَادَ فِيهَا عِلَاقَةً وَأَعْلَى بِالْمَعْقَدِ (١)
وَمَجَّ الْحُمْرَ فِي سَعْرِ الْمَصَلَّى وَنَادَى وَالْجَمِيعُ إِلَى افْتِرَاقِ
أَرِيدُكُمْ عَلَى أَنْ تَحْمَدُونِ فِي لَكُمْ وَمَالِي مِنْ خَلْقٍ (٢)

قال أبو الفرج : وأحضرنا محمد بن حنف وكيع قال : حدثنا حماد بن إسحاق ، قال :
حدثني أبي قال : قال أبو عبيدة وهشم بن أسكل والأصمعي : كان الوليد زانياً
يشرب الخمر ، فشرب بالكوفة وقام ليصلي بهم الصبح في المسجد الجامع ، فصلّى بهم
أربع ركعات ثم التفت إليهم فقال : أريدكم ؟ وثقياً في الخراب بعد أن قرأ بهم راصاً
صوته في الصلاة :

عَلَى الْقَلْبِ الرَّفَافَا بَعْدَ مَا شَأَتْ وَشَارِ

فشخص أهل الكوفة إلى عثمان فأخبروه بحره ، وشهدوا عليه شرب الخمر ،
فوثق به ، فأمر رجلاً من المسلمين أن يصرفه الحدة ، فلما دنا منه قال : شذنتك الله
وقرائتي من أمير المؤمنين ! فركه ، فحلف عتي بن أبي طالب عليه السلام أن يعطل الحدة ،
فقام إليه فحده بيده ، فقال أبو سبيد : شذنتك الله والفراسة ! فقال أمير المؤمنين عليه السلام :
اسكت أبا وهب ، فإنما هلك سر إسرائيل لتمطيطهم الحدود ؛ فقد صرته ومرع منه قال :
لقد دعوني فريش بعدها خلاداً . قال إسحاق : وحدثني مصعب بن الزبير قال : قال الوليد
بعد ما شهدوا عليه فخلد : اللهم إني قد شهدوا عليّ برؤور ، فلا ترصهم عن أمر ،
ولا ترص عنهم أميراً ، قال : وقد عكس الخطيئة أبيانها جعلها مدحاً للوليد :
شَهِدَ الْخَطِيئَةُ حِينَ يَلْقَى رُتَبَهُ أَنَّ الْوَلِيدَ أَحَقُّ بِالْعُدْرِ

(١) ملحق ديوانه ١١٩ ، وفيه : « واهم بالنعاق » .

(٢) الأغاني ٤ : ١٧٦ .

كفوا عنانك إدا حرث ولو تركوا عنك لم تزل تهري
ورأوا شائل ماحد أمي يطي على اليسور والعسر
فترعت مكدونا عليك ولم نزع على طمع ولا دغر^(١)
قال أبو الفرج : وسخت من كتاب هرون بن الزباب بحظه ، عن عمر بن شبة ؛
قال : شهد رجل عبد أبي العجاج - وكان على قبة البصرة - على رجل من المعيطين
بشهادة ، وكان الشاهد سكران ، فقال الشهود عليه ، وهو المعيطي : أعرك الله آتيا
القاضي ، إنه لا يحسن من الشكر أن يقرأ شيئا من القرآن ، فقال الشاهد : بلى أحسن ،
قال : فقرأ ، قال :

خلق القلب الزباب بعد ما شابت وشابا

نحن^(٢) ذلك ، ويحكى ما قاله الوليد في الصلاة ، وكان أبو العجاج أحمق ،
عقل أن هذا الكلام من القرآن ، فجمع يقول : صدق الله ورسوله ، وبكم ، كم
تعملون ولا تعملون^(٣)

قال أبو الفرج : وأحترني أحمد بن عبد البر ، قال : حدثنا عمر بن شبة ، عن
الدائني ، عن مبارك بن سلام ، عن طرس حبيبة ، عن أبي الصبحي ، قال : كان من
أهل الكوفة يتطأون عثر الوليد بن عقبة ، منهم أبو ربيب الأزدي ، وأبو موزع ،
فجاء يوما ولم يحضر الوليد الصلاة ، فسأله ، فتذقنا حتى علمنا أنه يشرب ، ففتح الدار
فوجدناه نقي ، فاحتلناه وهو سكران حتى وصاه على سريره ، وأخذ حاتم من يده ،
فألق ، فافتقد حاتم ، فسأل عنه أهله ، فقرو : لا بدى ، وقد رأينا رجلا دخل علينا

(١) الأمانى ٤ : ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٢) يعنى : يقول قولاً لا يدري ما عاقبه ؛ ومنه ناعى ، وفي الأمانى : «ورعا ناعى» .

(٣) الأمانى ٤ : ١٢٧ ، ١٢٨ .

فاحتَمَلَاكَ فَوَصَّاهُ عَلَى مَرْوَكٍ . فقال : صفوها لى ، فقالوا : أحدهما آدم ^(١) طُوالٌ حَسَنُ
الوجه ، والآخر عريضٌ مَرْنُوعٌ عليه خَبِيسَةٌ ^(٢) ، فقال : هدا أبو زَيْبٍ ، وهذا أبو مَرْوَعٍ ؟
قال : ولقيَ أبو زَيْبٍ وصاحبه عبدُ الله بنُ جُبَيْشٍ الأَسَدِيُّ وَعَلَقْمَةُ بنُ يَزِيدَ البَكْرِيُّ
وغيرَهما ، فأخبروهم ، فقالوا : اشخصوا إلى أميرِ المؤمنين فاعلموه ، وقال بعضهم : إنه لا يقبل
قولكم في أخيه ، فشَحَصُوا إليه ، فقالوا : إنا حُثْنَاكَ في أمرٍ ، ونحن نُحَرِّجُوه إليك من
أَعْنَانَا ، وقد قيل : إِنَّكَ لا تقبله ، قال : وما هو ؟ قالوا : رأينا الوليدَ وهو سَكْرَانٌ من
خمرٍ شَرَبَهَا ، وهذا حاتمُ أَخْذُهُ من يَدِهِ وهو لا يَعْقِلُ . فأرْسَلَ عُمَانُ إلى عليٍّ عليه
السلام فأخبره ، فقال : أَرَى أَنْ تُشَحِّصَهُ ، فإِذَا شَهِدُوا عليه بمحضَرٍ منه حَدَّثْتَهُ . فكثب
عُمَانُ إلى الوليدِ ، فَقَدَّمَ عليه ، فَشَهِدَ عليه أبو زَيْبٍ وأبو مَرْوَعٌ وَخُذْبُ الأَرْدِيِّ وسعد
ابن مالِك الأَشْجَرِيُّ ، فقال عُمَانُ لعليٍّ عليه السلام : فَمَا أَمَّا الْحَسَنُ فَأَخْلَدَهُ ، فقال عليٌّ عليه
السلام للحَسَنِ أَيْبَهُ : فَمَا ضَرَبَهُ ؟ فقال الحسنُ : مَالِكٌ وَلَهْدَا ، يَكْمِيكَ عَرَكٌ ؛ فقال عليٌّ
لعبدِ الله بنِ حمَظٍ : فَمَا ضَرَبَهُ ، فَضَرَبَهُ بِمُخَصَصَةٍ ^(٣) فِيهَا سَيْرٌ لَهُ رَأْسَانِ ، فَلَمَّا بَعَثَ أَرْبَعِينَ
قال : حَسْبُكَ .

قال أبو الفرج : وحدثني أحمدُ قال : حدثنا عمرُ قال : حدثني المدائنيُّ
عن الواقسيِّ ، عن الزَّهْرِيِّ قال : خرج رَهْطٌ من أهل الكوفة إلى عُمَانَ في أمرِ الوليدِ ،
فقال : أَكَلَمَا عَصِبَ رَجُلٌ عَلَى أَمِيرِهِ رَمَاهُ بِالطَّائِلِ ! لَنْ أَصْبَحْتُ لَكُمْ لِأَسْكُنَ بِكُمْ ،
فاستَحَارُوا عَائِشَةَ ، وَأَصْبَحَ عُمَانُ فَسَمِعَ مِنْ حُجْرَتِهَا صَوْتًا وَكَلَامًا فِيهِ بَعْضُ الْفُظْلَةِ ،
فقال . أَمَا يَحْدُثُ بَيْنَ الْمَرَاتِقِ وَمُرَاقِبِهَا مَدْحًا ؛ لَا يَتِ عَائِشَةُ ! فسمعتُ ، فرفعتُ نعلَ رسولِ
الله صلى الله عليه وآله وقالت : تَرَكْتَ سِتْرَ سَيِّدِ هَذَا النَّمْلِ . وتسامع الناسُ فجاءوا حتى
مَلَأُوا الْمَسْجِدَ ، فَمِنْ قَائِلٍ : قَدْ أَحْسَنْتُ ، وَمِنْ قَائِلٍ : مَا لِلنِّسَاءِ وَلِهَذَا ! حَتَّى تَخَاصَمُوا

(١) الأدم : الأسمر . (٢) الخبيصة : كساء أسود مربع له علان .

(٣) المخصرة : ما احتصره الإنسان يده فأمسك من عصا أو مفرعة أو عكازة وما أشبهها .

وَتَصَارَبُوا بِالْعَمَالِ، وَدَخَلَ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَثَانَ فَقَالُوا لَهُ:
اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَمُطِلْ الْخُدُودَ، وَاعْزِلْ أَحَاكَ عَنْهُمْ؛ فَعَمِلَ^(١).

قال أبو الفرج: حدثنا أحمد قال: حدثني عمر، عن المدائني، عن أبي محمد الناجي،
عن مطر الوراق، قال: قَدِمَ رَحْلٌ مِنْ أَهْلِ سَكُوفَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَقَالَ لِعَثَانَ: إِنِّي صَلَّيْتُُ
صَلَاةَ الْمَدَاةِ حَلْفَ الْوَلِيدِ، فَاتَّفَقْتُ فِي الصَّلَاةِ إِلَى النَّاسِ، فَقَالَ: أَرِيدُكُمْ، فَإِنِّي أَحَدُ الْيَوْمِ
بِشَاعَا؟ وَشَمِمْنَا مَعَهُ رَائِحَةَ الْخَمْرِ، فَصَرَبَ عَثَرُ الرَّحْلِ؛ فَقَالَ النَّاسُ: عَطَلَتِ الْخُدُودُ،
وَضَرَبَتِ الشُّهُودُ^(٢).

قال أبو الفرج: وحدثنا أحمد، قال: حدثنا عمر قال: حدثنا أبو بكر الباهلي، عن
بعض من حدثته قال: لَمَّا شَهِدَ عَلَى الْوَلِيدِ عِنْدَ عَثَانَ بِشُرْبِ الْخَمْرِ كَتَبَ إِلَيْهِ بِأَمْرِهِ
بِالشُّحُوصِ، فُحِرِحَ وَحُرِحَ مَعَهُ فَوْمٌ بِعَذْرُوهُ، مِنْهُمْ عَدِيٌّ بْنُ حَاتِمِ الطَّائِي، فَقَرَلَ الْوَلِيدُ
يَوْمًا يَسُوقُ بِهِمْ، فَارْتَجَزَ وَقَالَ:

لَا نَحْسَبَا قَدْ سَيَا الْأَحْقَافُ^(٣) وَالْمَشَوَاتِ مِنْ مُعْتَقٍ صَافٍ

• وَعَزَّفَ قَبِيْلَاتٍ عَلَيْنَا مُزَاتٍ •

فَقَالَ عَدِيٌّ: فَأَيْنَ تَذْهَبُ بَنَا إِدْنَ! فَأَقَمَ^(٤).

قال أبو الفرج: وَقَدْ رَوَى أَحَدٌ عَنْ عُمَرَ، عَنْ رَحَالِهِ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، عَنْ حُذَيْبِ
الْأَزْدِيِّ قَالَ: كُنْتُ فِيْمَنْ شَهِدَ عَلَى الْوَلِيدِ عِنْدَ عَثَانَ، فَلَمَّا أَسْتَمْتُمْنَا عَلَيْهِ الشَّهَادَةَ حَسَّهَ
عَثَانَ. ثُمَّ ذَكَرَ بَاقِيَ الْخَبْرِ وَصَرَّفَ عَلَى عِيَةِ السَّلَامِ إِلَيْهِ، وَقَوْلَ الْحَسَنِ ابْنِهِ: «مَالِكُ
وَلَهْدَا»، وَرَادَفِيهِ، وَقَالَ عَلَى عِيَةِ السَّلَامِ: لَسْتُ بِدُنِّ مُسِيْمَا؛ أَوْ قَالَ: مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

(١) الْأَعْنَى ٤ : ١٧٨ . (٢) الْأَعْنَى ٤ : ١٧٨ .

(٣) الْأَعْنَى : « الْإِيجَاب » ؛ وَهُوَ صَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ .

(٤) الْأَعْنَى ٤ : ١٧٨ ، ١٧٩ . (٥) الْأَعْنَى ٤ : ١٧٩ .

قال أبو الفرج : وأحبرني أحمد ، عن عمر عن رحالة ، أن الشهادة لما تمت قال عثمان
لعلِّي عليه السلام : دونك ابن عمك فأقيم عليه الحد . فأمر علي عليه السلام أباه الحسن
عليه السلام ، فلم يفعل ، فقال : يكفيك عبرة ! فقال علي عليه السلام : بل سمعت ووهنت
وعجزت ؛ قم يا عبد الله بن حمير فاحيده ، فقام فحده ، وعلي عليه السلام بعد حتى بلغ
أربعين ، فقال له علي عليه السلام : أميت حنك ، حذر رسول الله صلى الله عليه وآله
أربعين ، وحذر أبو بكر أربعين ؛ وكنتها عمر ثمانين ، وكل سنة (۱) .

قال أبو الفرج : وحدثني أحمد ، عن عمر ، عن عبد الله بن محمد بن حكيم ، عن خالد
ابن سميد ، قال : وأحبرني بذلك أيضاً إبراهيم بن محمد بن أيوب ، عن عبد الله بن مسلم ،
قالوا جميعاً : لما ضرب عثمان الوليد الحد ، قال : بك لتصرسي اليوم شهادة قوم ليقتلوك
عاماً قاتلاً (۲) .

قال أبو الفرج . وحدثني أحمد بن عبد الرحمن الموهري ، عن عمر بن شبة ،
عن عبد الله بن محمد بن حكيم ، عن خالد بن سميد . وأحبرني أيضاً إبراهيم بن
عبد الله ، قالوا جميعاً : كان أبو ربيعة العناني ندباً للوليد بن عتبة أيام ولايته الكوفة ،
فلما شهدوا عليه بالسكر من الخمر حرج عن الكوفة مقرولاً ، فقال أبو ربيعة يتذكر
آيامه ورياسته :

من يرى العير أن تمشي على ضف ر امرؤ زى خداهن عجال
ناعمات والبيت أتى وه ب حلال تحر فيه الشال
يعرف الجاهل المصل أن السدهر فيه السكر والزلزال
ليت شعري كذاكم العهد أم كا وا أماناً كمن يرول هراوا !

(۱) الأغانى ۴ : ۱۷۹ . (۲) الأغانى ۴ : ۱۷۹ .

(۳) ابن أروى ، هو الوليد بن عتبة ؛ وأروى هي أم عثمان بن عفان .

بعد ما تعلمين يا أم عمرو كُنْ فِيهِمْ هِزْلاً لَنَا وَحَالُ
 وَوَحْشٍ تَوَدُّ مَا مَشَرَقَاتُ وَبِوَالٍ إِذَا أُريدَ التَّوَالُ
 أَصْبَحَ الْمَيْتُ قَدْ تَدَلَّ بِالْحَيِّ وَحَوْهَا كَثْنُهَا الْأَقْيَالُ^(١)
 كُلُّ شَيْءٍ يَحْتَالُ فِيهِ الرَّحَانُ غَيْرَ أَنْ لَيْسَ لِلْمَايَا احْتِيَالُ
 وَلَعَمْرُ الْإِلَهِ لَوْ كُلُّ لَيْسَ عَفْ مَمْنَاءَ وَلِلَّسَانِ مَقَالُ^(٢)
 مَا تَنَاسَيْتُكَ الصَّمَاءُ وَلَا الْوَدَّ وَلَا حَالُ دُونِكَ الْإِشْفَالُ
 وَلِحَرَمَتِ لِحْكَ التَّمَصُّي صَلَّةٌ ضَلَّ حِجْمُهُمْ مَا اعْتَالُوا^(٣)
 قَوْلُهُمْ شُرْبُكَ الْحَرَامُ وَفَدَاكَ نَ شَرَابٌ سِوَى الْحَرَامِ حَلَالُ
 وَأَبَى ظَاهِرُ اِعْدَاوِهِ وَالشَّيْءُ كَأَبَى بِلَا مَقَالٍ مَا لَا يُقَالُ
 مِنْ رَحَالٍ تَقَارَصُوا مُتَّكِرَاتِهِ لِيُنْكَالُوا الَّذِي أَرَادُوا فَالُوا
 غَيْرَ مَا طَالِبِينَ دَخْلًا وَلَكِي مَالٌ دَهْرٌ عَلَى أُمَاسٍ قَدَلُوا
 مِنْ يَحْمُكَ الصَّمَاءُ أَوْ تَمْدَرُ أَوْ بَرُّلٌ مِثْلَ مَا يَرُولُ الْطَّلَالُ
 فَاعْدِيْ أَبَى أَحْوَكَ أَحْوَالُودَ حَيَاتِي حَتَّى تَزُولَ الْحَبَالُ
 لَيْسَ يُجَلَى عَلَيْكَ يَوْمًا عَدَسٌ أَدَاً مَا أَقْلٌ سَلَاً يَقَالُ^(٤)
 وَلَكِ النَّصْرُ بِاللَّسَانِ وَبِالْكَفِّ إِذَا كَانَ لِلْيَدَيْنِ مَصَالُ^(٥)

قال أبو لمرج : وحدّثني أحمد قال : حدّثني عمرُ قال : لما قدم الوليد بن عُقبة
 الكوفة قدم عليه أبو رُئيد فأنزله دار عَقِيْبٍ بن أبي طالب على باب المسجد ، وهي التي

(١) الأقيال : ملوك الخبيرون . وفي الأعمى . « الأفتال » جمع قتل ؟ وهو المدو
 (٢) الأعمى . « مصال » ، يقال : صال على قرنه ، وإذا وثب عليه واستطال .
 (٣) التَّمَصُّي : التَّقَطُّعُ والتَّفَرُّقُ . (٤) قال النحل : رعام بين الإصبع والى نيتها .
 (٥) الأغاني ٤ : ١٧٩ ، ١٨٠ .

تُعرف بدار القِبْطِي ، فكان مما احتج به عليه أهل الكوفة أن أبا زبيد كان يخرج إليه من داره وهو نصراني يَحْتَرِقُ المسجد فيجعله طريقاً (١) .

قال أبو الفرج : وأخبرني محمد بن العباس البريدي قال : حدثني عمي عبيد الله ، عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي ، أن أبا زبيد وفد على الوليد حين استعمله عثمان على الكوفة ، فأنزله الوليد دار عقيل بن أبي طالب عند باب المسجد ، واستوفى بها منه ، فوهمها له ، وكان ذلك أول الطعن عليه من أهل الكوفة ، لأن أبا زبيد كان يخرج من داره حتى يشق المسجد إلى الوليد فيسمر عنده ، ويشرب معه ، ويخرج فيشق المسجد وهو سكران ، فذاك نهيهم عليه . قال : وقد كان عثمان ولى الوليد صدقة بني ثعلبة ، فسلمه عنه شمر بن ذر الجعفي ، فمركله . قال : فلما ولّاه الكوفة اختص أبا زبيد الطائي وقربه ، ومدحه أبو زبيد شمر كثير ، وقد كان الوليد يستعمل الربيع بن مري بن أوس بن حارثة بن لأم الطائي على الحلي فيما بين الحريرة وظهر الحيرة ، فأحدث الحريرة ، وكان أبو زبيد في بني ثعلبة نارلاً ، فخرج بأهلهم ليرعيهم ، فأتى عليهم الربيع بن مري ومعه ، وقال لأبي زبيد : إن شئت أُرْعِيكَ وَحَدِّكَ ففعلت ؛ فأتى أبو زبيد إلى الوليد فشكاه ، فأعطاه بين القصور الحرم من الشام ، إلى القصور الحرم من الحيرة ، وحملها له حتى ، وأحدها من الربيع بن مري ، فقال أبو زبيد يمدح الوليد ، والشعر يدل على أن الحلي كان بيد مري بن أوس ، لا بيد الربيع ابنه ، وهكذا هو في رواية عمر بن شبة :

لعمري أليك يا بن أبي مري نمرُك من أبا ح لنا الديار (٢)

أباح لنا أبرق ذات قور ورعى القف منها والقفار (٣)

(١) الأمان ٤ : ١٨٠ . (٢) الأغاني : ١ لها الديار .

(٣) الأبرق جمع الأبرق ، وهو الأرض النسيطة فيها حجارة ورمل وطين مختلطة . والقف ما ييس من القول وتناثر حبه وورقه ؛ ترعاه الإبل وتسمن عليه .

بحمد الله ثم فتى فريش أبى وهب غدت بُدْنا عِزارا^(١)
 أباح لنا ولا نحى عايكم إذا ما كنتم سنةً حزارا
 قال : يقول : إذا أحدثتم فإننا لا نحجبها عايكم ، وإذا كنتم أساتم وحيتموها عينا .
 فتى طالت يده إلى المال وطحطحت الجذمة القصارا^(٢)
 قال : ومن شعر أبى ربيد فيه يدكر نصره له على مري بن أوس بن حارثة :
 يا ليت شمري بأساء أسوها قد كل يمتى بها صدري وتقديري
 عن امرئ ما يرده الله من شرف أفرح به ومري غير مرور
 بن الوليد له عندي وحق له ود الحيل ونصح غير مدحود
 لقد دعاني وأذاني وأظهرني على الأعداء بنصر غير تقرير
 وشدة عموم عني غير مكترش حتى ناهوا على رغم ونصير
 تسي فداه أبى وهب وقل له يأمُ هموم حتى اليوم أو سيري^(٣)
 وقال أبو ربيد يمدح الوليد ويتلم لمرافه حين عُرل عن الكوفة :

لعمري لئن أُمسى الوليد ببلدة سوى لقد أمسيتُ للدهر معورا^(٤)
 حلا أن رزق الله عادٍ ورائح وإن له راحٍ وإن سار أشهراً
 وكان هو الحصن الذي ليس مسلمي إذا أنا بالسكراء هتجتُ معشراً
 إذا صادفوا دوني الوليد فأنما يروُن بوادي ذي حاس مَزَعُرا^(٥)

(١) عزاراً : جمع حريرة ؛ وهي من الإبل الكثيرة اللبن .

(٢) طحطح الرجل ماله : فرقه . (٣) الأعاني ٤ : ١٨٠ .

(٤) المعور : الذي لا حائط له .

(٥) ذو حاس : موضع تلقاء عرعر ، أو مأسدة والمرعر : الأسد الورد ، وبه في الأعاني :

خصيب بنان ما يزال براك يحب وضاحي جلده قد تقشراً

وهي طويلة يصف فيها الأسد^(١).

قال أبو الفرج : وحدثنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن رباح ، عن الوليد قال : لما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكة حمل أهل مكة يأنونه بصيائهم ، فيسعدوهم بالبركة ، ويمسح يده على رؤوسهم ، فحى إلى يبه وأما محقق ، فلم يحسنى ، وما منعه إلا أن أرى حاتمى محقق ، فلم يحسنى من أهل الخلق^(٢).

قال أبو الفرج : وحدثني معاذ بن بن الأعمش ، عن خبيش بن ميسر ، عن عبد الله بن موسى ، عن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن سعيد بن حبيب ، عن ابن عباس قال : قال الوليد بن عتبة لعلى بن أبي طالب عليه السلام : أنا أحد منك سياب ، وأسط منك لسان ، وأملأ للكمينة ؛ فقال علي عليه السلام : سكنت به فاسق ، فدل القرآن فيهما : ﴿ إِنْ كَانَ مُؤْمِنًا كُنَّ كَان فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾^(٣).

قال أبو الفرج : وحدثني أحمد بن عبد العزيز ، عن عمر بن شبة ، عن محمد بن حاتم ، عن يونس بن عمر ، عن سنان ، عن يونس ، عن قتادة بن قولة بن عالى . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ فَاكْفُرُوا ﴾^(٤) . قال : هو الوليد بن عتبة ، بعثه النبي صلى الله عليه وآله مصدقا إلى بني النضير ، فلما رأوه أقبلوا نحوه ، فهاهم ، فرجع إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال له : إني ارتدوا عن الإسلام ، فبعث النبي صلى الله عليه وآله عليه وسلم خالد بن الوليد ، فعلم عليهم ، وأمره أن يقتل ، وقل له : الطاق ولا تمحل ، فطلق حتى أتاهم ليلا ، وأبعد عيونهم ، فهاهم أحذروه أنهم متمسكون بالإسلام وسمع أذانهم وصلاتهم ، فلما أصبح أتاهم فرأى ما بعثه ، فرجع إلى الرسول صلى الله عليه وآله فأخبره ، فزلت هذه الآية^(٥).

(٢) الأعمش ٤ : ١٨٢

(٣) سورة المجرات ٦ .

(١) الأعمش ٤ : ١٨٢

(٢) سورة النجدة : ١٨

(٥) الأعمش ٤ : ١٨٢

قلت : قد كُتبَ ابنُ عبدِ الرَّحْمَنِ صاحبُ كتابِ " الاستيعاب " في هذا الموضع نكتةً حَسَنَةً ، فقال في حديثِ الخَلْقِ : هذا حديثٌ مضطربٌ منكرٌ ، لا يصحُّ ، وليس يمكن أن يكونَ مَنْ هَمَّه النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ مُدَّةً صَبِيحًا يومَ الفَتْحِ ؛ قال : ويدلُّ أيضًا على فسادِهِ أَنَّ الزَّيْرَ بْنَ بَكَّارٍ وعِيرَهُ من أهلِ ائِمَّةِ السَّيْرِ والأَخْبَارِ ذَكَرُوا أَنَّ الْوَلِيدَ وَأَخَاهُ مُهْمَارَةَ أَبْنَى عُثْمَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ خَرَجَا مِنْ مَكَّةَ لِيُرِدَا أَحْتَمَاهَا أُمَّ كَثُومَ عَنِ الْهَيْجَرَةِ ، وَكَانَتْ هُمُوتُهَا فِي الْهَدْنَةِ اتَى بَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَبَيْنَ أَهْلِ مَكَّةَ ، وَمَنْ كَانَ عَلَامًا مُخَلَّفًا مَا لَخَلْقٍ يَوْمَ الْفَتْحِ لَيْسَ بِحَيٍّ مِنْهُ يَمِثُلُ هَذَا . قال : ولا خلافَ بينِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ أَنَّ قَوْلَهُ عَرَّ وَحَلَّ : ﴿ إِنْ هَاءُ كُمْ فَاسِقٌ رَسِيكٌ فَتَبَيَّنُوا ﴾ أُرِلَتْ فِي الْوَلِيدِ لَمَّا كَتَمَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ مُدَّةً ، فَكَذَّبَ عَلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَقَالَ : إَسْهَمُوا ارْتَدُّوا وَامْتَنَعُوا مِنْ آدَاءِ الْمُدَّةِ (قَالَ أَبُو عَمْرٍَا) وَفِيهِ وَفِي عِلَّةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرَّلَ : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ (١) فِي قِصَّتِهِمَا الْمَشْهُورَةِ . قال : ومن كَانَ صَبِيحًا يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَحْيَى مِنْهُ يَمِثُلُ هَذَا ، فَوَحِبَ أَنْ يُنْظَرَ فِي حَدِيثِ الْخَلْقِ ، فَإِنَّهُ رَوَايَةُ جَعْفَرِ بْنِ رِفَاقٍ ، عَنْ ثَابِتٍ ، عَنْ الْحُجَّاجِ ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْهَمْدَانِيِّ ؛ وَأَبُو مُوسَى مَجْهُولٌ لَا يَصِحُّ حَدِيثُهُ .

ثمَّ نَعُودُ إِلَى كِتَابِ أَبِي الْفَرَّاحِ الْأَصْبَهَانِيِّ ؛ قَالَ أَبُو الْفَرَّاحِ : وَأَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعْبَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى ، عَنْ نَعِيمِ بْنِ حَكِيمٍ ، عَنْ أَبِي صَدِيمٍ ، عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَنَّ امْرَأَةَ الْوَلِيدِ بْنِ عُثْمَةَ جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَشْتَكِي إِلَيْهِ الْوَلِيدَ ، وَقَالَتْ : إِنَّهُ يَضْرِبُنِي ، فَقَالَ لَهَا : ارْحَمِي إِلَيْهِ وَقُولِي لَهُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَدَا أَحَارَنِي ، فَأُطْلَعْتُ ، فَكُنْتُ سَاعَةً ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَقَالَتْ : إِنَّهُ

ما أفلح عني ، فظلع رسول الله صلى الله عليه وسلم هُدْبَةً^(١) من ثَوْبِهِ وَقَالَ : ادْهَبِي بِهَا إِلَيْهِ وَقُولِي لَهُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَحَارَنِي ، وَصَلَقْتُ شَكَّتْ سَاعَةً ثُمَّ رَحِمَتْ فَقَالَتْ : مَرَادَنِي إِلَّا صَرْبًا ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَدَهُ ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ عَلِيكَ بِالْوَلِيدِ » مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا^(٢) .

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ : وَاحْتَصَى الْوَلِيدُ مَا كَانَ وَبِهَا بِالْكُوفَةِ سَاحِرًا كَادَ يَمَيِّنُ النَّاسَ ، كَانَ يُرِيهِ كَتِيبَتَيْنِ تَفْتَتِلَانِ مَتَّحِمِلٍ أَحَدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَتَهْزِمُهَا ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ أَيْسَرُكَ أَنْ أُرِيكَ الْمَهْزِمَةَ تَغْلِبُ الْعَالِيَةَ فَهَرَمُهَا ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، فَجَاءَ حُدْبُ الْأَدَى مُشْتَمِلًا عَلَى سَيْمِهِ ، فَقَالَ : أَفْرِحُوا لِي ، فَأَفْرِحُوا مَصْرَهُ حَتَّى قَتَلَهُ ، فَحَسَّ الْوَلِيدُ قَبِيلًا ثُمَّ تَرَكَهُ^(٣) .

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ : وَرَوَى أَحْمَدُ عَنْ هَمْرٍ ، عَنْ رِجَالِهِ ، أَنَّ حُدْبًا لَمَّا قَتَلَ السَّاحِرَ حَسَّهَ الْوَلِيدُ ، فَقَالَ لَهُ دِسَارٌ دِسَارٌ فِيمَ جِئْتَ هَذَا ، وَهَذَا قَتَلَ مِنْ أَعْلَى السَّحَرِ دِينَ عَمْدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ ثُمَّ مَضَى إِلَيْهِ فَأَخْرَجَهُ مِنَ الْحَسَنِ ، فَأَرْسَلَ الْوَلِيدُ إِلَى دِسَارِ بْنِ دِينَارٍ فَفَتَلَهُ^(٤) .

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ : حَدَّثَنِي عَمِّي الْحَسَنُ بْنُ عَمْدٍ قَالَ : حَدَّثَنِي الْحَرَارُ ، عَنْ الْمَدَائِنِيِّ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ رُوْمَانَ ، عَنْ الزُّهْرِيِّ وَعِصْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا انْصَرَفَ عَنْ مَرَّةٍ مِنَ الْمُصْطَلِقِ نَزَلَ رَحْلًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَسَاقَ بِالْقَوْمِ وَرَجَزَ ، ثُمَّ آخَرَ فَسَاقَ بِهِمْ وَرَجَزَ ، ثُمَّ مَدَّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ يُوَاسِيََ أَصْحَابَهُ ، فَأَنْزَلَ فَسَاقَ بِهِمْ وَرَجَزَ ، وَحَمَلُ يَقُولُ فَمَا يَقُولُ :

حُدْبٌ وَمَا جُنْدَبٌ وَالْأَفْطَحُ زَيْدُ الْخَلِيدِ

(١) الاستيعاب . (٢) الأغامي ٤ : ١٨٣ .

(٣) الأغامي ٤ : ١٨٣ . (٤) الأغامي ٤ : ١٨٣ .

فدنا منه أصحابه فقالوا: يا رسول الله، ما يسمنا سيرنا مخافة أن تنهشك دابة، أو تمسك نكبة. فرك ودعوا منه وقالوا: قلت قولاً لا يدري ما هو؟ قال: وما ذاك؟ قالوا: كنت تقول: جندب وما جندب، والآن قطع ريد الخير.

فقال: رجلان يكومان في هذه الأمة يصير أحدهما ضربة يفرق بين الحق والباطل، وتقطع يد الآخر في سبيل الله، ثم يتبع الله آخر حسده مأوله، وكن ريد، هو زيد بن صوحان، وقطعت يده في سبيل الله يوم حنولاء، وقتل يوم الجمل مع علي بن أبي طالب عليه السلام؛ وأما جندب هذا فدخل على الوليد بن عتبة وعنده ساحر يقال له: أبو شيخان، يأخذ عين الناس، فيخرج مصارين تطعمهم ثم يردها، فجاء من خلفه فضر به فقتله، وقال:

الن وليداً وأما شيخان وابن حشيش راكب الشيطان

• رسول قومك إلى هامل (١) •

قال أبو العرج: وقد روي أن هذا الساحر كل يدخل عند الوليد في خوف بقرة حية، ثم يخرج منها؛ فراه جندب منهج إلى بيته، فاشتعل على سيف، فلما دخل الساحر في البقرة قال جندب: ﴿أفتأتون السحر وأنتم تُصيرون﴾ (٢)، ثم ضرب وسط البقرة فقطعها وقطع الساحر معها، دعر الناس، فسجنه الوليد، وكتب بأمره إلى عثمان (٣).

قال أبو العرج: فروي أحمد بن عبد العزيز، عن حجاج بن نصير، عن قرة، عن

(١) الأغانى ٤: ١٨٣، ١٨٤. (٢) سورة الأنبياء ٣.

(٣) الأغانى ٤: ١٨٤.

محمد بن سيرين ، قال : انطلق جندب بن كعب الأزدى قاتل الساحر بالكوفة إلى السج، وعلى السج رجل نصراني من قيس الوليد ، وكان يرى جندب بن كعب يقوم بالليل ويصبح صائماً ، فوكل السج رجلاً ، ثم خرج فسال الناس عن أفضل أهل الكوفة ، فقالوا : الأشعث بن قيس ، فأستضافه ، فحمل برأه ينام الليل ثم يصبح فيدعوه فدأه ، فخرج من عنده وسأل : أى أهل الكوفة أفضل ؟ قالوا : حرير بن عبد الله ، فذهب إليه فوجده يوم الليل ثم يصبح فيدعوه فدأه ، فاستقر القصة ، وقال : ربي جندب ، وديني دين جندب . ثم أسلم^(١) .

قال أبو الفرج : هذا نزع عثمان الوليد عن الكوفة أمر عليها سميد بن العاص ، فلما قدمها قال : اعسلوا هذا المر ، فإن الوليد كان رجلاً محساً ، فلم يصمده حتى عسل . قال أبو الفرج : وكان الوليد أسن من سميد بن العاص ، وأسنى نقساً ، وألين حساً ، وأرصى عديم ، فقال بعض شعرائهم :

وحد ما يس بعده سميد^(٢) ينقص في الصاع ولا يريد

وقال آخر منهم :

قررت من الوليد إلى سميد كأهل الحثري إذ قرعوا جباروا

يكسا من غريش كل يوم أمير يحدث أو مستشار

لنا نار تحرقنا فنخشى وليس لم نولا يحشون - نار^(٣)

قال أبو الفرج : وحدنا أحد ، قال : حدثنا عمر ، عن المدائني ، قال : قدم الوليد بن

(١) الأغاني ٤ : ١٨٣ . (٢) أول الرجز في الأغاني :

* يا وبتنا قد ذهب الوليد *

(٣) الأغاني ٤ : ١٨٤ .

عقة الكوفة في أيام معاوية راثرا للخبيرة بن شمة ، فأناء أنشرف الكوفة فسلموا عليه .
وقالوا : والله ما رأينا بعدك مثلك ؛ فقال : أحبباً أم شرّاً ؟ قالوا : بل حبباً ، قال : ولكي
ما رأيت بعدكم شرّاً منكم . فاعادوا الشاء عليه ، فقال : بعض ما تأتون به ! فوالله إن
بفصم لتلف ، وإن حكم لصلف^(١) .

قال أبو الفرج : ورَوَى عمرُ بنُ شَمة ؛ أنَّ قَبِيصَةَ بنَ جَابِرٍ كانَ ممنَ كَثُرَ^(٢) على الوليد ،
فقال معاويةُ يوماً والوليدُ وقَبِيصَةُ عنده : يا قَبِيصَةُ ، ما كانَ شَأْنُكَ وشأنُ الوليدِ ؟ قال :
حربُنا أميرَ المؤمنين ، إنَّه في أوَّلِ الأمرِ وسَّلَ الرَّحِمَ ، وأحسَنَ الكلامَ ، فلا سألَ عن
شُكْرِهِ وحُسْنِ ثَناءٍ ، ثمَّ عَصَى على الناسِ وعَصَوْا عليه ، وكنا معهم ، فإما طالمونَ فستغفِرُ
اللهُ ، وإما مظلومونَ فيغفِرُ اللهُ لَهُ ؛ فعدَدُي غيرُ هذا يا أميرَ المؤمنين ، فإنَّ الحديثَ يُسَيِّئُ
القديمَ . قال معاوية : ما أعلمُه إلا قد أحسنَ السَّيرةَ ، ونَسَطَ الحِيزَ ، وقَسَمَ الثَّرةَ . قال :
فأنت يا أميرَ المؤمنين اليومَ أقدرُ على ذلكَ فافعله ، فقال : انكُ لا سَكَتَ ، فسَكَتَ
وسَكَتَ القومُ ، فقال معاوية مدَّ يَسِيرَ : ما نك لا تفكِّمُ يا قَبِيصَةُ ؟ قال : سَهَيْتَنِي عما كنتُ
أحبُّ فسَكَتَ مما لا أُحِبُّ .

قال أبو الفرج : ومات الوليدُ بنُ عُقَّةَ فُورَيقَ الرَّقَّةَ ، ومات أبو زُبَيْدٍ ههنا ، ودُفِنَا
جميعاً في موضعٍ واحدٍ ، فقال في ذلكَ أشجعُ السُّنَمِيِّ وقد مرَّ بِقَبْرَيْهِمَا :
مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ عِظَامُ أَبِي زُبَيْدٍ وَقَدْ لاحتُ بِدَقْمَةٍ صَلَوِدٍ
فَكَانَ لَهُ الْوَلِيدُ نَدِيمَ صِدْقِي هَدَمَ قَبْرُهُ قَبْرَ الْوَلِيدِ
وَمَا أَذْرِي بِنِ تَبْدُو الْمَايَا بِحَمْرَةٍ أَمْ بِأَشْجَعِ أَمْ بِزَيْدٍ !
قيل : هم إخوتُه ، وقيل : نَدَمَاؤُهُ^(٣) .

قال أبو الفرج : وحدثني أحمدُ بنُ عبدِ الرزير ، عن محمد بنِ رَكِيَّةَ العِلَانيِّ ،

(١) الأغانى ٤ : ١٨٤ . (٢) كندى ١ ، د ، و ، ب : ذكره . (٣) الأغانى ٤ : ١٨٥ .

عن عبد الله بن الصَّحَّاح ، عن هشام بن محمد ، عن أبيه ، قال : وقد الوليدُ بنُ عتبة - وكان جواداً - إلى معاوية ، فقيل له : هذا الوليدُ بنُ عتبة بالباب ، فقال : والله لبرحمنٍ مغيظاً غيرَ مُعطى ، فإنه الآن قد أتانا يقول : عني دينٌ وعني كذا ، اتدب له ، فأذن له ، فسأله وتحدث معه ، ثم قال له معاوية : أما والله بن كذا لنحب إتيان مالك بالوادي ، ولقد كان يُعجب أمير المؤمنين ، فإن رأيت أن تهبه ليريد فاعمل ، قال : هو ليريد ، ثم حرج وحمل يختلف إلى معاوية ، فقال له يومئذ : انظر يا أمير المؤمنين في شأني ، فإن علي مؤونة ، وقد أرهقني ديني ، فقال له : ألا نستحي لبيك وحسبك ، تأخذ ما تأخذه فتدبره ، ثم لا تنمك نكوداً فقال الوليد : أفر ، ثم أطلق من مكانه ، فسار إلى الحريرة ، وقال يحاطب معاوية :

إِذَا سَمِعْتَ قَوْلَ : « لَا » وَإِذَا سَأَلَ قَوْلَ : هَاتِ
تَأْتِي فَعَالَ الْحَسْرَ لَا تُرَوِّى وَأَمْتَ عَلَى الْفَرَاتِ
أَفْلا تَمِيلُ إِلَى « نَعَمْ » أَوْ تَرُكِ « لَا » حَتَّى الْمَاتِ !
وَبَلَغَ مَعَاوِيَةَ شُحُوصُهُ إِلَى الْحَرِيرَةِ حَتَّى ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ : أَقْبِلْ ، فَكَتَبَ :
أَعِيفٌ وَأَسْتَعْفِي كَمَا قَدْ أَمَرْتَنِي فَأَعْطِ سِوَايَ مَا بَدَا لَكَ وَأُجَحِّدْ
سَأُحْدُو رِكَازِي عَنْكَ إِنْ فَرِغْتَنِي إِذَا تَأْتِي أَمْرٌ كَسَلَهُ مُصْلِدْ
وَإِنِّي أَمْرٌ لِلنَّأْيِ مَتَى تَطْرُبُ وَلَيْسَ شَأْنًا قُلْتُ عَلَى بَقْعَلِ
ثُمَّ رَجَلَ إِلَى الْحِجَازِ ، فَبِثَّ إِلَيْهِ مَعَاوِيَةَ بِجَارَةِ (١) .

وَأَمَّا أَبُو هُرَيْرَةَ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ فَإِنَّهُ ذَكَرَ فِي "الاستيعاب" في باب الوليد، قال: إنَّ له أخباراً فيها شناعة تقطع على سوء حاله ، وقُصَّحَ أمره ؛ عَمَرَ اللَّهُ لِمَا وَلَهُ ؛ فَلَقْدَ كَانَ مِنْ رِحَالِ قُرَيْشٍ

ظرفاً وحِلماً وشجاعةً وحُوداً وأدباً ، وكان من أشعراء الطبعين . قال : وكان الأصمعي وأبو حُبَيْدة وابنُ الكلبي وغيرهم يقولون : به كان فاسقاً شَرِيبَ حَجَرٍ ، وكان شاعراً كريماً . قال : وأصاَرُهُ في شُرْبِهِ الحَمَرِ ومَادَمَتِهِ أبا رُبَيْدٍ الطائِي كثيرةٌ مشهورة ، وَيَسْمَعُ شَاذِكُرُهَا ، وَلَكِنَّا نَذْكُرُ مِنْهَا طَرَفًا . ثُمَّ ذَكَرَ مَا ذَكَرَهُ أَبُو الفَرَجِ في الأَغَانِي ، وقال : إِنَّ حَبْرَ الصَّلَاةِ وَهُوَ سَكْرَانٌ ، وقوله : « أُرِيدُكُمْ ؟ » خبرٌ مشهورٌ رَوَتْهُ الثَّقَاتُ من تَقْلَةِ الحديث .

قال أبو عمر بن عبد البر : وقد ذكر الطبري في روايته أنه تَفَصَّصَ عليه قومٌ من أهل الكوفة حَدَا وَبَفِيَا ، وشهدوا عليه شُرْبَ الحَمَرِ ، وقال : إِنَّ عَثْمَانَ قال له : يَا أَخِي اصْبِرْ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَأْخُزُكَ وَيَمُوتُ الْقَوْمُ بِإِعْثِكَ .

قال أبو عمر : هذا الحديث لا يَصِحُّ عند أهل الأخبار وتَقْلَةِ الحديث ، ولا له عند أهل العلم أصل ؛ والصحيحُ ثبوتُ الشهادةِ عليه عندَ عَثْمَانَ ، وحَدُّهُ الحَدَّ ، وأنَّ عليّاً هو الَّذِي حَدَّهُ . قال : ولم يَحْلِدْهُ بِيَدِهِ ، وَإِنَّمَا أَمَرَ بِحَدِّهِ ، فَحَسِبَ الْحَلْدُ إِلَيْهِ .

قال أبو عمر : ولم يَرَوْا الوليدُ من السِّتَةِ ما يَحْتَاجُ فِيهَا إِلَيْهِ ، وَلَكِنْ حَارِثَةُ بْنُ مُضَرَّبٍ رَوَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : « مَا كَانَتْ بَيُوتُهُ إِلَّا كُلُّ بَعْدَهَا مُنْكَ »^(١) .

(١) الاستيعاب ١٥٥٢ وما بعدها (طبعة نفخة مصر) .

(٦٣)

الأصل :

ومن كتابه عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري وهو عامله على الكوفة ،
وقد بلغه عنه تشييطه الناس عن الخروج إليه لما بدهم لحرب أصحاب الجمل :

مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَا عَمْرُؤُا إِنَّهُ نَزَلَ بِكَ : أَمَّا تَعْلَمُ ، فَقَدْ تَدْعُنِي
عَنْكَ قَوْلٌ هُوَ لَكَ وَعَلَيْكَ ، فَإِذَا قَدِمَ عَلَيْكَ رَسُولِي فَأَرْفَعْ دَيْثُكَ ، وَاشْدُدْ مِنْ ذَلِكَ ،
وَاحْرُجْ مِنْ جُحْرِكَ ، وَانْدُبْ مَنْ مَعَكَ ، فَإِنْ حَقَّقْتَ فَأَعُدْ ، وَإِنْ تَعَشَّتْ فَأَعُدْ ،
وَإِنَّمَا اللَّهُ لَتَوَلَّيْتُ مِنْ حَيْثُ أَنْتَ ، وَلَا تُتْرَكُ حَتَّى تُحْطَ رُبُّكَ بِمَحَارِبِكَ ، وَدَارِثُكَ
بِحُمُودِكَ ، وَحَتَّى تَمُجِّلَ عَنْ قِمَدَتِكَ ، وَتَحْدَرَ مِنْ أَمَامِكَ ، كَحَدَرِكَ مِنْ حَلَقَتِكَ ،
وَمَا مَيَّ بِالْمُؤَيَّسِ الَّتِي رَخُو ، وَبِكَيْفِ الدَّاهِيَةِ الْكَرَى ، يُرَكَّبُ نَحْمَا ، وَيُذَلَّ
صَعْمَا ، وَيُسَهَّلُ حَسْمَا . فَأَعِثْ أَعْمَلَكَ ، وَأَمِثْ أَمْرَكَ ، وَحُدْ نَصِيبَكَ وَحَطَّكَ ، فَإِنْ
كَرِهْتَ فَتَمَحَّ إِلَى غَيْرِ رَحْبٍ ، وَلَا فِي بَجَاةٍ ، فَيَلْحَرِي لَتَكْمَلِي وَأَنْتَ تَأْتِمُ حَتَّى لَا يُقَالَ
أَيْنَ فُلَانٌ ! وَاللَّهِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مَعَ الْحَقِّ وَمَا يُبَالِي مَا صَنَعَ الْمُتَحِدُّونَ ! وَالسَّلَامُ .

الشيخ :

المراد بقوله : « قَوْلٌ هُوَ لَكَ وَعَلَيْكَ » ، أن أبا موسى كان يقول لأهل الكوفة :
إن علياً إمامٌ هُدًى ، وبيعتنه صحيحة ، إلا أنه لا يجوز القتال معه لأهل القِيلة ، وهذا القول
بعضه حق ، وبعضه باطل .

وقوله : « فارفع ذبلك » ، أى تهمر للشهوس معى واللحاق بى ، لنشهد حرب أهل البصرة ، وكذلك قوله : « وأشدد متركك » ، وكاتهما كائتان عن الحد والشهير فى الأمر .

قال : « وأخرج من حورك » ، أمر له بالخروج من منزله للتحاق به ، وهى ركابة فيها عصى من أى موسى وأسنانة له لأنه لو أراد إعصاته لقال : وأخرج من جيبك^(١) ، أو من غيبك^(٢) كما يقال للأسد ، ولكنه حملته تحت أوصاله .

قال : « وأدب من معك » ، أى ، وأدب رعيتك من أهل الكوفة إلى الخروج معى واللاحاق بى .

ثم قال : « وإن تحققت بعد » أى أمر له مسي على الشك ، وكلامك فى طاعتى كالمتناقص ، فإن حققت لزوم طاعتى لك فاعذ ، أى سر حتى تقدم على ، وإن أفت على الشك فأعزل العمل ، فقد عزلتكم .

قوله : « وإيم الله لتؤتن » معناه إن أمت على الشك والأسراة وشيطر أهل الكوفة عن الخروج إلى وقولك لهم : لا يحزنكم من السيف لا مع على ولا مع طلحة ، والزمايويتكم ، واكسروا سيوفكم ، ليأتيكم . وأنتم فى منزلكم الكوفة أهل البصرة مع طلحة ، ويأتيكم من أهل المدينة والحد ، فيجتمع عليكم سيفان من أمامكم ومن خلفكم ، فتكون ذلك الداهية الكرى أتى لا شوة لها .

قوله : « ولا تترك حتى يملط زبدك بحائر » تقول للرجل إذا ضربته حتى أتمنته : لقد ضربته حتى حطت رنده بحائره ، وكذلك حتى حطت دائه بحامديه ، والحائر : اللبن العليط ، والزبد خلاصة اللبن وصفوته ، فإذا أتممت الإنسان صرنا كنت كأنك

(١) الخبي : مرس الأسد (٢) العين : شعر الكثير الثلب .

خلطت ما رَقَّ ولَطُف من أخلاطه بما كَثُف وعَصَّ منها ، وهذا مثل ، ومعناه لتَمَسُدَنَّ حالَكَ ولتُخَلِّطَنَّ ، وليضربَنَّ ما هو الآن منتظماً من أمرك .

قوله : « وحتى تُنَحِّلَ عن قِمَدَتِكَ » ، بَقِذَّة بأكسر هيئة القمود كالجلسة والرُّكْبة أى وليسحبك الأمرُ عن هيئة قمودك ، يصعب شدة الأمر وصعوبته .

قوله : « ونحذر من أمانك كحذرنا من حَقِّكَ » ، يعنى يَأْتِيكَ مِنْ حِلْمِكَ إِنْ أَقْبَتَ عَلَى مَنَعٍ سِيسَ عَنْ الْحَرْبِ مَعَهُ وَمَعَهُمْ أَهْلُ بَصْرَةَ وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ ، فتكون كما قال الله تعالى : ﴿ إِذْ حَاوَسْتُمْ مِنْ فَوَيْكُمُ الْمَيِّمَ سُقِّلَ مِنْكُمْ ﴾ (١) .

قوله : « وما هى بالهَوَيسَى التى ترحو » ، هَوَيسَى تصمير « الهوى » التى هى أُنْثَى « أَهْوَوْنَ » ، أى ليست هذه الداهية واجباثة التى أدكرها لك « لشيء الهين الذى ترحو اندفاعه ومسهولته » .

ثم قال : بل هى الداهية الكبرى ستعمل لا محالة إن استمرت على ما أنت عليه ، وكفى عن قوله : « ستعمل لا محالة » بقوله : « يركب حملها » وما بعده ، وذلك لأنها إذا رُكِبَ حملها ، ودلَّ صعبها وسهل وعثرها فقد فُتت ، أى لا تقبل : هذا أمرٌ أعظمٌ صعبٌ المرام ، أى فصد الحيوش من كلا الحارين الكوفة ، فإنه إن دام الأمرُ على ما أشرتَ إلى أهل الكوفة من التخادُل والحلوس والسيوت ، وقولك لهم : « كن عبد الله المقتول » لننقمن بموجب ما ذكرته لك ، وليرتكبن أهل الحجار وأهل البصرة هذا الأمرُ المستعصم ، لأننا نحن نطلب أن نملك الكوفة ، وأهل البصرة كذلك ، فيجتمع عليها الفريقان .

ثم عاد إلى أمر الجروح إبيه فقال له : « فعقل عَقْلُكَ ، وأملك أمرك » ، وحذ نصيبك

وَحَطَّكَ » ، أى من الطاعة ، واتَّاعَ الإمامَ الَّذِى لَزِمَتْكَ بَيْعَتُهُ ، فَإِنْ كَرِهْتَ ذَلِكَ ،
فَتَنَحَّ عَنِ الْعَمَلِ فَقَدْ عَزَلْتُكَ . وَابْعُدْ عَنَّا لَا فِى رَحْبٍ ، أَيْ لَا فِى سَعَةِ ، وَهَذَا خِذٌّ قَوْلِهِمْ :
مَرْحَبًا .

ثُمَّ قَالَ : فَجَدِيرٌ أَنْ تَكْفَى مَا كُفِّتَهُ مِنْ حَضُورِ الْحَرْبِ وَأَمْتٌ بِأَثْمٍ ، أَيْ لَسْتُ
مَعْدُودًا عِنْدَنَا وَلَا عِنْدَ النَّاسِ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِينَ تَعْتَقِرُ الْحُرُوبَ وَالتَّذْيِيرَاتِ إِلَيْهِمْ ،
فَسُيُنَى اللَّهُ عَنْكَ وَلَا يُقَالُ : ابْنُ فُلَانٍ ؟

ثُمَّ أَقْسَمَ أَنَّهُ لِحَقٍّ ، أَيْ أَتَى فِى حَرْبٍ هَؤُلَاءِ لَمَلَى حَقٌّ ، وَإِنْ مِنْ أَطَاعَى مَعَ إِمَامٍ
مُحَقِّقٍ لَيْسَ يُبَالَى مَا سَمِعَ الْمُلْحِدُونَ ، وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ :
« اللَّهُمَّ أَدِرِ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُمَا دَارَ » .

(٦٤)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية جوابا عن كتابه * :

أَمَّا نَعْدُ ، فَإِنَّا كُنَّا نَحْنُ وَأَنْتُمْ عَلَى مَادَّ كَرْتَ مِنَ الْأُلَمَةِ وَالْجَمَاعَةِ ، مَعَرَّقَ بَيْتَا
وَبَيْتِكُمْ أَمْسِ أَنَا آمَنَّا وَكُفَرْتُمْ ، وَالْيَوْمَ أَنَا اسْتَقَمْتُ وَفُتِنْتُمْ ، وَمَا أَسْلَمَ مُسْلِمُكُمْ
إِلَّا كَرِهًا ، وَبَعْدَ أَنْ كَانَ أَنَا الْإِسْلَامَ كُنْهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَرْنَا ،
وَذَكَرْتَ أَنِّي قَتَلْتُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ ، وَشَرَّدْتُ بِعَائِشَةَ ، وَنَزَلْتُ بَيْنَ الْمَصْرَيْنِ ،
وَذَلِكَ أَمْرٌ بَعَثَ عَنْهُ ، فَلَا عَلَيْكَ ، وَلَا الْعُذْرُ بِهِ إِلَيْكَ .

وَذَكَرْتَ أَنَّكَ رَأَيْتَ فِي حَمْعِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَقَدْ انْقَطَعَتِ الْهِجْرَةُ يَوْمَ
أَسِرَ أَحْوَكَ ، فَإِنْ كَانَ فِيكَ عَجَلٌ فَسَرِّفِهِ ، فَإِنْ إِنْ أُرْرَكَ فَذَلِكَ خَيْرٌ أَنْ يَكُونَ
اللَّهُ إِيَّاهُ بَعَثَنِي إِلَيْكَ لِلنِّقْمَةِ مِنْكَ ، وَإِنْ تَرُزِّي فَكَمَا قَالَ أَخُو بَنِي أُسْدٍ :

مُسْتَقْبِلِينَ رِيَّاحَ الصَّيْفِ تَصْرِفُهُمْ بِحَصْبِ بَنِي أَعْوَارٍ وَجُلُودِ
وَمِنْ دِي السَّيْفِ الَّذِي أَفْصَحْتُهُ بِمَحْدُوكَ وَحَايِكَ وَأَحْيَيْكَ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ .

فَإِنَّكَ وَاللَّهِ مَا عَلِمْتَ الْأَعْلَفُ الْقَلْبَ ، الْمُقَارِبُ الْمُقْلَ ، وَالْأَوَّلَى أَنْ يُقَالَ لَكَ :
إِنَّكَ رَقِيتَ سُلْمًا أَطْلَعَكَ مَطْلَعُ سُوءٍ عِنْدِكَ لَا لَكَ ، لِأَنَّكَ نَشَدْتَ عَيْرَ ضَالَّتِكَ ،
وَرَعَيْتَ عَيْرَ سَارِمَتِكَ ، وَطَلَسْتَ أَمْرًا لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَلَا فِي مَعْدِيهِ ، فَمَا أَبْعَدَ قَوْلَكَ
مِنْ فِعْلِكَ !

وَقَرِيبٌ مَا أَشْهَتْ مِنْ أَفْهَامٍ وَأَحْوَالٍ ! سَحَّتْهُمْ الشَّقَاوَةُ وَتَمَنَّى الْبَاطِلُ ، عَلَى
الْحُجُودِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَصُرِعُوا مَصَارِعَهُمْ حَيْثُ عَلِمْتَ ، لَمْ يَدْفَعُوا
عَظِيمًا ، وَلَمْ يَمْنُومُوا حَرِيمًا ، يَوْفَعُ سُيُوفٍ مَا حَلَا مِنْهَا الْوَعَى ، وَلَمْ تُنَاشِهَا
الْمُؤَيَّنَى .

وَقَدْ أَكْثَرْتَ فِي قِتَالَةِ عُشَمَاءَ ؛ فَادْخُلْ فِيهَا دَحَلَ فِيهِ النَّاسُ ، ثُمَّ حَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَى ،
أَحْلِكَ وَإِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَمَّا تَيْتُ أَلَّتِي تُرِيدُ ؛ فَإِنَّهَا خُدَعَةُ الصَّبِيِّ عَنْ الْأَبَوِ
فِي أَوَّلِ الْعِصَالِ ، وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ .

الْبَرْخُ :

[كِتَابُ مَعَاوِيَةَ إِلَى عَلِي]

أَمَّا الْكِتَابُ الَّذِي كَتَبَهُ إِلَيْهِ مَعَاوِيَةُ ، وَهَذَا الْكِتَابُ حَوَاهُ ، فَهُوَ :

مِنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَعْيَانَ ، إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ :

أَمَّا بَعْدَ ، فَإِنَّا بَيْنِي عَمْدَ مَنْافٍ لَمْ تَزَلْ تَرْعُ مِنْ قَلْبٍ وَاحِدٍ ، وَنَحْرِي فِي حَلْبَةٍ وَاحِدَةٍ ،
لَيْسَ لِنَعْمَنَا عَلَى بَعْضِ فَصْلٍ ، وَلَا لِنَقَائِمِنَا عَلَى قَاعِدٍ خَرٍ ؛ كَلَّمْتَ مَوْثِقَةً ، وَأَلَقْتَنَا طَامِعَةً ،
وَدَارُنَا وَاحِدَةً ، بِحِمْمِنَا كَرَمِ الْعِرْقِ ، وَبِخَوِينَةِ شَرِّ النَّجَارِ ، وَيَحْشُرُ قَوْثِنَا عَلَى ضَعِيفِنَا ،
وَيُوَاسِي غَنِيَّتِنَا فَقِيرِنَا ، قَدْ حَلَمْتَ قُلُوبَ مَنْ وَعَلَ الْحَسَدَ ، وَطَهَّرْتَ أَنْفُسَنَا مِنْ خُبْثِ
النِّيَّةِ ، فَلَمْ تَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى كَانَ مِنْكَ مَا كَانَ مِنَ الْإِدْهَانِ فِي أَمْرٍ ابْنِ عَمَّتِكَ ، وَالْحَسَدُ لَهُ ،
وَنُصْرَةُ النَّاسِ عَلَيْهِ ، حَتَّى قُتِلَ مُشْهَرٌ مِنْكَ ؛ لَا تَدْفَعُ عَنْهُ بِلِسَانٍ وَلَا يَدٍ . فَلَيْتَكَ

أظهرت نصره ، حيث أسردت خبره ، فكنت كالمعلق بين الناس بعدد^(١) وإن ضعف ،
والثبري من دمه بدفع وإن وهن ، ولكنت حسنة في ذلك تدس إليه الدواهي ،
وترسل إليه الأفاعي ؛ حتى إذا قصيت وطرك منه ، أظهرت ثماته ، وأبدت ملاقاة ،
وحسرت للأمر عن ساعدك ، وشمزت عن ساقك ، ودعوت الناس إلى نفسك ،
وأكرهت أعيان المسلمين على بيعتك ، ثم كل منك بعد ما كل من قتلك شيخى المسلمين
أبى محمد طلحة وأبى عبد الله الزبير ، وهما من الموعودين بالجنة ، والشر فآل أحدهما بالآر
في الآخرة ، هذا إلى تشريدك بآثم التوسيع عائشة وإحلالها محل الهون ، مستدلة بين أيدي
الأعراب وفقه أهل الكوفة ، فمن بين مشر لها ، وبين شامت بها ، وبين ساحر منها .
تري ابن عمك كان بهذه لو رآه راضيا ، أم كان يكون عليك ساعطا ، ولك عنه راجرا !
أن تؤدى أهله ونسرك بحليلته ، وتسلك دماء أهل بيته . ثم ترك دار الهجرة التي قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها : « إن المدينة لتتقن حتمها كما يقن الكير »^(٢) حث الحديد ،
فلم ترى لقد صبح وعدده وصدق قوله ، ولقد نفت حتمها ، وطردت عنها من ليس بأهل أن
يستوطنها ، فآثت بين المصريين ، وتعدت عن ركة الحرمين ، ورضيت بالكوفة بدلا
من المدينة ، ومحاورة الخوارج والخيرة عوف عن محاورة حاتم السوئة ، ومن قبل ذلك ما
عنت حليتي رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام حياتهما ، فعدت عنهما وألست عليهما ،
وامتنعت من بيعتهما ، ورمت أمر الميرك الله تعالى له أهلا ، ورقيت سلما وعرا ، وحاولت
مقاما دحضا ، وأدعيت ما لم تجد عليه ناصرا ؛ وعمري لو وليتها حينئذ لما اردادت
إلا فسادا واضطرابا ، ولا أعقت ولا يتكلم إلا انتشارا وارتدادا ؛ لإنيك الشامخ بأفقه ،
الذاهب بنعمه ، المستطير على الناس بسانه وبده ؛ وما أبا سائر إليك في جمع

(١) : « بدو » .

(٢) الكير : زق ينفع فيه الحديد .

من الهاجرين والأنصار تحمهم سيوف شامية ، ورمح فخطائية ، حتى يحاكموك إلى الله .
فانظر لنفسك وللمسلمين ، وادفع إلى قتلة عثمان ، فيهم حطيتك وحلصاؤك والمحدثون بك ،
فإن آيت إلا سلوك سبيل اللجاج ، والإصرار على امي والصلال ، فعلم أن هذه الآية إنما
نزلت فيك وفي أهل العراق معك : ﴿ وَصَرَّتْ اللَّهُ مَثَلًا قَرِيَةً كَانَتْ أُمَّةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا
رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَرَرَتْ ثُمَّ اللَّهُ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ
بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (١) .

ثم نعود إلى تفسير ألفاظ الفصل ومعايه ، قال عليه السلام : لعمرى إنا كنا بنتاً واحداً
في الجاهلية ، لأننا بنو عبد مناف ، إلا أن الفرقة بيننا وبينكم حصلت منذ بعث الله محمداً
صلى الله عليه وآله ، فإنا أما وكعرتكم ، ثم لما كادت الفرقة اليوم نأثنا استقصا على مساهم
الحق وفتنتم .

ثم قال : « وما أسلم من أسلم منكم إلا كرهاً » ، كأبي سفيان وأولاده يريد ومعاوية
وغيرهم من بني عبد شمس .

قال : « وبعد أن كل أئمة الإسلام محارباً لرسول الله صلى الله عليه وآله » أي في
أول الإسلام ، يقال : كان ذلك في أئمة دولة بني فلان ، أي في أولها ، وأئمة كل شيء
أوله وطرفه ، وكان أبو سفيان وأهله من بني عبد شمس أشد الناس على رسول الله صلى
الله عليه وآله في أول المحقرة ، إلى أن فتح مكة ، ثم أحابه عن قوله : « قتلت طلحة
والزبير ، وشردت عائشة ، ورت بين المصريين » بكلام مختصر أعرض فيه عنه

هَوَاتًا بِهِ ، فقال : هذا أمرٌ عبتَ عنه ، فليس عيبك كان العدوان الذي تَزَنُّمُ ، ولا العذرُ إليك لو وجب على العذرُ عنه .

فأما الحوَابُ المَعَصَلُ فأن يقال : إن طلحة والزبير قَتَلَا أَنفُسَهُمَا بَيْنَهُمَا وَكُنْتُهُمَا ، ولو استقاما على الطريقة لَسَلِمَا ، ومن قَتَلَهُ الْحَقُّ قَدِمَهُ هَدَرٌ ، وأما كونُهُمَا شَيْخَيْنِ مِنْ شِيُوخِ الْإِسْلَامِ فَمِيرٌ مَدْفُوعٌ ؛ وَلَكِنْ الْعَيْبُ يَحْدُثُ ، وَأَصْحَابُنَا يَدْهَبُونَ إِلَى أَنَّهُمَا تَابَا وَهَرَقَا الدُّنْيَا نَادِمِينَ عَلَى مَا صَعَمَا ، وَكَذَلِكَ نَقُولُ نَحْنُ ؛ فَإِنَّ الْأَحْبَارَ كَثُرَتْ بِذَلِكَ ، فَهَمَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَتَوْتُهُمَا ، وَلَوْ لَا تَوْتُهُمَا لَكُنَا هَا لَكُنْ كَمَا هَلَكَ عِبْرُهُمَا ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَحْبِى أَحَدًا فِي الطَّاعَةِ وَالتَّقْوَى ، ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ^(١) ﴾ .

وَأَمَّا الرَّعْدُ هَا بِالْحَنَّةِ فَشُرُوطُ بَسَامَةِ الْعَاقِبَةِ ، وَالْكَلَامُ فِي سَلَامَتِهِمَا ، وَإِذَا نُسِيتَ تَوْتُهُمَا فَقَدْ صَحَّ الْوَعْدُ لَهَا وَنَحَقَّ ؛ وَقَوْلُهُ : « بَشْرٌ قَاتِلُ ابْنِ صَفِيَّةٍ بِاللَّارِ » ، فَقَدْ اِحْتَمَلُ فِيهِ ، فَقَالَ هُوَ مِنْ أَرْبَابِ السَّيْرِ وَعَطَاءُ الْحَدِيثِ : هُوَ كَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَمْرٍ مَرْفُوعٌ ، وَقَوْمٌ مِنْهُمْ جَعَلُوهُ مَرْفُوعًا ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَهُوَ حَقٌّ ، لِأَنَّ ابْنَ جُرْمُورٍ قَتَلَهُ مَوْلِيًّا خَرَجًا مِنَ الصَّفِّ ، مَعَارِقًا لِلْحَرْبِ ؛ فَقَدْ قَتَلَهُ عَلَى تَوْبَةٍ وَإِنَابَةٍ وَرَحْوَةٍ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَقَاتِلُ مَنْ هَذِهِ حَالُهُ فَاسِقٌ مُسْتَحَقٌّ لِللَّارِ ، وَأَمَّا أُمُّ الْيُوسُفِ عَائِشَةُ فَقَدْ صَحَّتْ تَوْبَتُهَا ، وَالْأَحْبَارُ الْوَارِدَةُ فِي تَوْبَتِهَا أَكْثَرُ مِنَ الْأَحْبَارِ الْوَارِدَةِ فِي تَوْبَةِ طَلْحَةَ وَالزَّبِيرِ ، لِأَنَّهَا عَاشَتْ رَمَامًا طَوِيلًا ، وَهِيَ لَمْ يَنْتَقِهَا ، وَالَّذِي خَرَى لَهَا كَانَ حَقًّا مِنْهَا ، فَتَى دَبُّ لَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَلِكَ ! وَلَوْ أَقَامَتْ فِي مَنْزِلِهَا لَمْ تَبْتَدِلْ بَيْنَ الْأَعْرَابِ وَأَهْلِ الْكُوفَةِ ؛ عَلَى أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَكْرَمَهَا وَصَانَهَا وَعَظَّمَ مِنْ شَأْنِهَا ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقِفَ عَلَى مَا فَعَلَهُ مَعَهَا فَلْيَطَالِعْ كِتَابَ السَّيْرَةِ . وَلَوْ كَانَتْ فَعَلَتْ بِعَمْرٍ مَا فَعَلَتْ بِهِ ، وَشَقَّتْ عَصَا الْأَمَةِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ ظَنَرَتْ بِهَا ، لَقَتَلَهَا وَمَرَقَهَا إِدْبًا إِدْبًا ، وَلَكِنْ عَلَيَّا كَانَ حَلِيمًا كَرِيمًا .

وأما قوله : « لو عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرئ بك هل كان يرضى لك أن تؤذى حيلته ! » فلعلى عليه السلام أن يقب الكلام عليه ، فيقول : أضرأه لو عاش أكان يرضى لحيلته أن تؤذى أحده ووصيه ! وأيضاً أترأه لو عاش أكان يرضى لك يا بن أبي سفيان أن تُتأزَع عليا الخلافة وتغرق جماعة هذه الأمة ! وأيضاً أترأه لو عاش أكان يرضى لطلحة والزبير أن ييايما ، ثم ينكثا لاسب ، بل فالأ : حشاً يطلبُ الدرهم ، فقد قيل لنا : إن بالبصرة أموالاً كثيرة ! هذا كلام يقوله مشهما !

فأما قوله : « تركت دار المحصرة » ، فلا عيبَ عليه إذا انقضت عليه أطرافُ الإسلام بالبنى وانفساد أن يخرُج من المدينة إليها ، ويهدب أهلها ؛ وليس كلُّ من خرج من المدينة كان حشاً ، فقد خرج عنها عمرُ مراراً إلى الشام ، ثم لعلى عليه السلام أن يقب عليه الكلام فيقول له : وأنت يا معاوية ؛ قد سَفَتَكَ المدينةُ أيضاً عنها ، فأت إدأ حش ، وكذلك طلحة والزبير وعائشة الدين تنقض لهم ونمحق على الناس بهم ، وقد خرج عن المدينة الصالحون ، كابن مسعود وأبي ذرٍّ وغيرهما ، ومانوا في بلادٍ مائية عنها .

وأما قوله : « بعدت عن حرمة الحرمين » ، وبجأورة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلام إقناعي ضميم ، والواحد على الإمام أن يقدم الأهم فالأهم من مصالح الإسلام ، وتقديم قتال أهل البنى على المقام بين الحرمين أولى . فأما ما ذكره من جدلانه عثمان وشمانته به ودعائه الناس بعد قتله إلى نفسه وإكراهه طلحة والزبير وغيرها على بيعته فكله دعوى والأمر بخلافها ، ومن نظر كتب السير عرَف أنه قد بهته وادعى عليه ما لم يقع منه .

وأما قوله : « التويت على أبي بكر وعمر » ، وقعدت عنهما ، وحاولت الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن علياً عليه السلام لم يكن يبعد ذلك ولا يُنكره ، ولا ريب

أنه كان يدعى الأمر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله لنفسه على الجلالة ، إنما لتعريف
كما تقوله الشيعة ، أو لأمر آخر كما يقوله أصحابنا . « ما قولك : لو وليها حينئذ لفسد الأمر
وأضطرب الإسلام » ، فهذا علم عيب لا يعلمه إلا الله ، ولمن له وليها حينئذ لاستقام الأمر
ومسح الإسلام وتمتد ، فإنه ما وقع الاضطراب عند ولايته بعد عثمان إلا لأن أمره هان
عندهم متأخره عن الخلافة ، وتقدم غيره عليه ، فصغر شأنه في العوس ، وقرّر من تقدمه
في قلوب الناس أنه لا يصلح لها كل الصلاحية ، والناس على ما يحصل في قلوبهم ، ولو كان
وليها ابتداء وهو على تلك الحالة التي كان عليها أيام حياة رسول الله صلى الله عليه وآله
وتلك المرحلة الرمية والأحتصاص الذي كان له ، لكان الأمر غير الذي رأينا عند ولايته
بعد عثمان . « ما قولك : لأنك الشامخ بأمره » ، « ما قولك بنفسه » ، فقد أسرف في وصفه بما
وسمه به ، ولا شك أن علياً عليه السلام كان عنده هو لكن لا هكذا ، وكان عليه
السلام مع رفقوه أطف الناس خلقاً

ثم رجع إلى تفسير ألفاظه عليه السلام ؛ قوله : « ودكرت أنك زائر في جمع من
المهاجرين والأنصار » ، وقد أقطعت المحجرة يوم أسير أخوك « هذا الكلام تكذيب له
في قوله : « في جمع من المهاجرين والأنصار » ، أي ليس معك مهاجر لأن أكثر من معك
ممن رأى رسول الله صلى الله عليه وآله هم أسماء الطلقاء ، ومن أسم بعد الفتح ، وقد قال
النبي صلى الله عليه وآله : « لا هجرة بعد الفتح » .

وعبر عن يوم الفتح بعبارة حسنة فيها تفريع لمعاوية وأهله بالكفر ، وأنهم ليسوا
من فوى السوابق ، فقال : « قد أقطعت المحجرة يوم أسير أخوك » ، يعني يريد بن أبي
سفيان أسير يوم الفتح في باب الخدمة ، وكان خرج في نفر من قريش يحاربون ويمتنعون

من دخول مكة ، قُتِلَ منهم قومٌ وأمير يزيدُ بنُ أبي سفيان ، أسره خالدُ بنُ الوليد ،
نقله أبو سفيان منه ، وأدخله داره ؛ فأمن لأن رسول الله صلى الله عليه وآله قال يومئذ :
« من دخل دارَ أبي سفيان فهو آمن » .


[ذكر الخبر عن فتح مكة]

ويجب أن نذكر في هذا الموضع ملخص ما ذكره الواقدي في كتاب " المغازي " ،
في فتح مكة ، فإن الموضع يقتضيه ؛ لقوله عليه السلام : « ما أسلم ملأكم إلا كرها » ،
وقوله : « يوم أسير أخوك » .

قال محمد بن عمر الواقدي في كتاب " المغازي " :
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد جدهن غرشاء في عام الحديبية عشر سنين ،
وحمل حراة داخلة معه ، وحملة قريش بنى بكر بن عبد مائة من كنانة داخلة معهم ،
وكان بين بني بكر وبين حراة يرات في الجاهلية وبعاء ، وقد كانت حراة من قبل
حلفت عبد المطلب بن هاشم ، وكان معها كتاب منه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله
يعرف ذلك ، فلما تم صلح الحديبية وأمن الناس ، سمع علام من حراة إساناً من
بني كنانة يقال له : أس بن زيم الدؤلي (١) يُشيد بها له في رسول الله صلى الله عليه وآله ،
فصر به فشجّه ، فخرج أس إلى قومه فأداهم شجته فثار بينهم الشر ، وتذاكروا أحقادهم
القديعة ، والنوم مجاورون عكة ، فسجدت بكر بن عبد مائة (٢) قريشاً على حراة ،
فمن قريش من كره ذلك وقال : لا أنقض عهد محمد ، ومنهم من حب إليه . وكان أبو سفيان
أحد من كره ذلك ، وكان صفوان بن أمية وخويط بن عبد العزى ومكرّر بن حصص

(١) أ الدليل . (٢) ب : « مناف » ، وصوابه ن ا ، د .

عمن أمان بنى بكر ، ودسوا إليهم الرجال بالسلاح سرا ، وبيتوا خراعة ليلا ، فأوقعوا بهم ، فقتلوا منهم عشرين رجلا ، فلما أصبحوا عانوا قريشا ، فحدثت قريش أنها أعات بكرا ، وكذبت في ذلك ، وتبرأ أبو سفيان وقوم من قريش مما جرى ، وشخص قوم من خراعة إلى المدينة مستصرخين برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخلوا عليه وهو في المسجد ، فقام عمرو بن سالم الخزاعي فأشده :

لا هم إني ناشد محمدا حنفت أبنا وأبيه الأندلا^(١)
 لكنت والدأ وكنا ولدا^(٢) نمت أسلف ولم سرع يدأ
 إن قريشا أخلفوك للوهدأ وقضوا ميثاقتك التوكدا
 هم بيتونا بالوتير هجدا^(٣)  حلوا القرآن روكما وشجدا
 ورعوا أن لست تدعو أحدا وهم أدل وأصل غددا
 فاصر هداك الله نصرأ أيدا^(٤) وانزع عباد الله يأتوا مددا^(٥)
 في فيلق كالبحر يجرى مريدا^(٦) بهم رسول الله قد تحردا
 * قوم لقوم من قروم أصيدا *

ثم ذكروا له ما أثار الشر ، وقالوا له : إن أس بن رنيم هحاك ، وإن صفوان ابن أمية وفلانا وفلانا دسوا إلينا رجال قريش مستصرين ، فبيتونا بمنزلنا بالوتير فقتلونا ، وجشاك مستصرحين بك ، فرعوا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قام معضبا يجر رداءه ويقول : « لا نصرت إن لم أنصر خراعة فيها أنصر منه نسي ! » .

(١) في الأصول : « الأملدا » وصوابه من ابن هشام ٤ : ١٠ . والأند : القديم .

(٢) ابن هشام : « قد كتم ولدا » . (٣) الوتر : اسم ماء بعينه .

(٤) أيدا . قويا ؛ وفي يد : « أيدا » ؛ والصواب ما في ابن هشام .

(٥) للدد : اللون . (٦) الفلق : السكر .

قلتُ : فصَادَفَ ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله إِيثَارًا وَحُثًّا لِقَضَى المَهْدِ ، لأنه كلُّ يَريد أن يفتح مَكَّةَ وهمَّ بها في عام الحَدَبِيَّةِ فَعَصَدَ ، ثمَّ همَّ بها في عُمُرَةِ القَضِيَّةِ ، ثمَّ وقف لأجل المَهْدِ والميثاق الذي كلُّ عَقَدَهُ معهم ، فلَمَّا جرى ما جَرَى على خُرَاجِهِ أُعْتَقَ مَعَهَا .

قال الواقدي : فكتب إلى جميع الساس في أقطار الحجاز وغيرها يأمرهم أن يكونوا بالمدينة في رمضان من سنة ثمان للهجرة ، فوافقتهم الوفود والقبائل من كلِّ جهة ، فخرج من المدينة بالناس يوم الأربعاء لعشر حَتُونٍ من رمضان في عشرة آلاف ، فكان المهاجرون سبعمائة ، ومعهم من الحيل ثمانمائة فرسٍ ، وكانت الأنصار أربعة آلاف ، معهم من الحيل خمسمائة ، وكانت مَرِيَّةُ ألفاً ، فيها من الحيل مائة فرسٍ ، وكانت أسلم أربعمائة ، فيها من الحيل ثلاثون فرساً ، وكانت خُمَيْمَةُ ثمانمائة معها خمسون فرساً ، ومن سائر الناس تمام عشرة آلاف ، وهم بنو ضَمْرَةَ وبنو عَمِيْرٍ وَأَشْجَعٍ وبنو سُلَيْمٍ وبنو كَثَبٍ بن عمرو وغيرهم . وعَقَدَ للمهاجرين ، ثلاثة ألوية : لواء مع عليٍّ ، ولواء مع الزبير ، ولواء مع سعد ابن أبي وقاص ، وكانت الرايات في الأنصار وغيرهم ، وكتم عن الناس الخبر ، فلم يعلم به إلا حواشي ، وأما قريش عَمَكَةُ فَنَدِمَتْ على ما صنعتُ بِمُزَاعِمَةِ ، وعرفت أن ذلك انقضاء ما بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم من المَهْدِ ، ومشي الحارث بن هشام وعبدُ الله بنُ أبي ربيعة إلى أبي سُفْيَانَ فذَلَّاهُ : إنَّ هذا أمرٌ لا بدَّ له أن يُصْلَحَ ، والله إنَّ لم يُصْلَحْ لا يَرُوعُكُمْ إِلَّا مُحَمَّدٌ في أَسْمَاءِهِ . وقال أبو سُفْيَانَ : قد رأتُ هِنْدُ بنتَ عُتْبَةَ رؤيا كرهتها وأفظمتها ، وخفتُ من شرِّها ، قالوا : ما رأت ؟ قال : رأت كأنَّ دماً أقبل من الحجون يسيل حتى وقف بالخدمة مَلِيًّا ، ثمَّ كانَ ذلك الدم لم يكن ؛ فَكَرِهَ القومُ ذلك وقالوا : هذا شرٌّ .

قال الواقدي : فلما رأى أبو سُفْيَانَ ما رأى من الشرِّ قال : هذا والله أمرٌ لم أشهده

ولم أعِب عنه ، لا يَحْمِلُ هذا إلا على ، ولا والله ما شُورِت ولا هُوتَ^(١) حيث بلغني ، والله ليغزونا محمدٌ إن صدق ظني وهو صادق ، ومالي بُدٌّ أن آتي محمداً فأَكَلِمه أن يريد في الهدنة ، ويحدد العهد قبل أن يسلّمه هذا الأمر . قالت قريش : قد والله أصبت ؛ وندمت قريشٌ على ما صنعت بحُرّاعة وعرفت أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله لابد أن يفرّوها ؛ تخرج أبو سُعيانَ وحرّاجٌ معه مولًى له على راحتين ، وأسرعَ السيرَ وهو يرى أنه أوّل من خرج من مكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الواقدي : وقد رُوِيَ الخبر على وجهٍ آخر ، وهو أنه لما قدِمَ رَكْبُ حُرّاعةٍ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجبروه عن قتلِهم ، قال لهم : عن بُيُوتكم وطلتكم ؟ قالوا : بنو بكر بن عبدِ مَساة ، قال : كأنها ؟ قلّوا : لا ، ولكن تهمتنا بنو نُباعة فصرّة^(٢) ، ورأسهم نوفل بن معاوية الضعّاني ؛ فقال : هذا بطنٌ من بكر ، فأباعت إلى أهل مكة فسألتهم عن هذا الأمر ، وعيّرهم في خصال . فبحث إليهم صمّره يُحترّم بين إحدى حلال ثلاث : بين أن يدّوا حُرّاعة ، أو يبرءوا من حلفِ بُاعة ، أو يبيد إليهم على سواء . فأبام صمّرة فخيّرهم بين الحلال الثلاث ، فقال قُرَيْبَةُ بن عبد عمرو الأعمى : أمّا أن تدي قتل حُرّاعة ، فإنّا إن ودّينا لم ينق لنا سُدٌّ ولا لَدٌ^(٣) ، وأمّا أن يبرأ من حلفِ بُاعة ، فإنه ليس قبيلة تحجّ هذا البيت أشدّ تعظيماً من بُاعة ، وهم حُلُفاؤنا فلا يبرأ من حلفهم ، ولكنّا نُنسِدُ إليه على سواء . فعاد صمّرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، وندمت قريشٌ أن ردّت صمّره بما ردّته به .

قال الواقدي : وقد رُوِيَ غيرُ ذلك ؛ رُوِيَ أن قريشاً لما ندمت على قتل حُرّاعة وقالت : محمد عازبنا ، قال لهم عبدُ الله بن سعد بن أبي سرح — وهو يومئذ كافر مرته —

(١) ب . « هويت » ، وأثبت « وا ، د » . (٢) فصرّة : أي هم دون غيرهم .

(٣) يقال : ما له سيد ولا لد ؛ أي لا قليل ولا كثير .

عندهم : إن عندى رأياً ؛ إن محمداً ليس يمزوكم حتى يُغدير إليكم ويُخبركم في خصال كلها أهون عليكم من عزوه ، قالوا : ما هي ؟ قال : يرسل إليكم أن تدوا قتل حُرَاعة ، أو تزوموا من حلف من نقض العهد وهم بنو نفاثة ، أو يبذل إليكم العهد . فقال القوم : أخيراً بما قال ابن أبي سرح أن يكون ! فقال سهيل بن عمرو : ما حصنة أيسر علينا من أن نبرأ من حلف نفاثة ، فقال شيبة بن عثمان التميمي : حطت أخوالك ^(١) حُرَاعة ، وغصت لهم ! قال سهيل : وأى قريش لم تلد حُرَاعة ! قال شيبة : لا ، ولكن ندي قتل حُرَاعة فها أهون علينا . فقال قريظة بن عبد عمرو : لا والله لا نديهم ولا نبرأ عن نفاثة أبرّ العرب بنا ، وأمرهم لتبت رثا ، ولكن ندد إليهم على سواء . فقال أبو سفيان : ما هذا شيء ، وما الرأي ! إلا جعند هذا الأمر أن تكون قريش دخلت في نقض العهد ، أو قطع مسدة ، فإن قطعه قومٌ ندير هوى منا ولا مشورة منا علينا ! قال الراعي : هذا هو الرأي ، لا رأى إلا الحجد لكل ما كان من ذلك ، فقال : أما أسمي لم أشهد ولم أقامر ، وأما صادق ، لقد كرهت ما حسمت ، وعرف أن سيكون له يوم خميس ^(٢) ، قالت قريش لأبي سفيان : فأخرج أنت بذلك ؟ فخرج .

قال الواقدي : وحدثني عبد الله بن عامر الأسدي ، عن عطية بن أبي مروان ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة صليحة الليلة التي أوفقت فيها عائشة وقريش بحُرَاعة بالوتير : يا عائشة لقد حدث الليلة في حُرَاعة أمر ، فذلت عائشة : يا رسول الله ، أرى قريشا تحترق على نقض العهد بينك وبينهم ! أيتقصون وقد أمانهم السيف ! فقال : العهد لأمر يريد الله بهم ، فقالت : خير أم شر ؟ يا رسول الله ؟ فقال : خير .

قال الواقدي : وحدثني عبد الحميد بن حنبل ، قال : حدثني عمران بن أبي أنس ، عن ابن عباس ، قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يجزّ طرف رداءه ويقول :

(١) ب : د إخوانك ، وما أثبتته من أ ، د . (٢) يوم خميس ، أى شديد .

« لَا نُصِيرْتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرْ بَنِي كَعْبٍ - بِمَعْنَى خِرَازَةِ - فَيَا أَنْصُرْ مِنْهُ نَفْسِي ! » .

قال الواقدي : وحدثني حرام بن هشام ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَكُمْ بَنِي سُفْيَانَ قَدْ جَاءَكُمْ يَقُولُ : جَدُّكُمْ أَسَدٌ وَزِدُّ فِي الْهَدْيَةِ وَهُوَ رَاحِمٌ بِسَخَطِهِ . وقال لبني خِرَازَةِ عمرو بن سالم وأصحابه : ارجعوا وتفرقوا في الأودية ، وقام فدخل على طائفة وهو مُغْصَبٌ ، فبدأ يهتف ، فدخل يمشي ، قالت عائشة : فاستمعته يقول وهو يصُبُّ الماء على رجليه : « لَا نُصِيرْتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرْ بَنِي كَعْبٍ ! »

قال الواقدي : فأتى أبو سفيان فخرج من مكة وهو متحوف أن يكون عمرو بن سالم وَرَهْطُهُ مِنْ خِرَازَةِ سَقَوْهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَكُلُّ الْقَوْمِ لَمْ يَرَوْهُ مِنْ الْمَدِينَةِ وَأَتَوْا الْأَنْبَاءَ فَتَفَرَّقُوا كَمَا أَوْصَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ إِلَى السَّاحِلِ تَعَارِضُ الطَّرِيقِ ، وَلَزِمَ بُذَيْلُ بْنُ أُمِّ أَصْرَمَ الطَّرِيقَ فِي مَرَمِهِ ، فَلَقِيَهُمْ أَبُو سُفْيَانَ ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ أَشْعَقَ أَنْ يَكُونُوا لِقَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ كَانَ ابْتِغَاءُ عَمْدِهِ ، فَمَسَامُ لِلْقَوْمِ : مَنْدُكُمْ عَمْدَكُمْ يَثْرِبُ ؟ قَالُوا : لَا عَمْدَ لَنَا بِهَا ، فَتَرَفَّ أَسْهَمَ كَتَمُوهُ ، فَقَالَ : أَمَا مَعَكُمْ مِنْ تَمَرٍ يَثْرِبُ شَيْءٌ تُطْعِمُونَاهُ ، فَإِنْ لَمْ يَثْرِبْ فَصَلَا عَلَى تَمَرٍ رَهْمَةً ؟ قَالُوا : لَا ، ثُمَّ أَتَى نَفْسَهُ أَنْ تَقَرَّ ، فَقَالَ : مَا بُذَيْلُ ، هَلْ حُتَّتْ عَمْدًا ؟ قَالَ : لَا وَلَكِنِّي سَرْتُ فِي بِلَادِ خِرَازَةِ مِنْ هَذَا السَّاحِلِ فِي قَتِيلٍ كَانَ بَيْنَهُمْ حَتَّى أَصْلَحْتُ بَيْنَهُمْ . قَالَ : يَقُولُ أَبُو سُفْيَانَ : إِنَّكَ - وَاللَّهِ مَا عَمِلْتُ - رُتِّ وَأَصْل . فَلَمَّا رَاحَ بُذَيْلُ وَأَصْحَابُهُ جَاءَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَى أَعْيَانِ إِبِلِهِمْ فَفَتَحَهَا فَإِذَا فِيهَا النَّوَى ، وَوَجَدَ فِي مَرْطَمِ نَوَى مِنْ عَرْمَجِيَّةٍ كَثْرَةُ أَلْسِنَةِ الْمَصَافِيرِ ، فَقَالَ : أَحْلَفَ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَ الْقَوْمُ مُحَمَّدًا . وَأَقْبَلَ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ ، فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّكَ كُنْتَ عَائِبًا فِي مَلْعَةِ الْحَدِيثِ ، فَشَدَّدَ الْمَهْدَ وَزِدْنَا فِي الْمَدَّةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : وَلِلَّذَلِكَ قَسَمْتُ يَا أبا سُفْيَانَ ! قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَمَهْلُ كَانَ قَتَلَكَمْ حَدَّثَ ؟

فقال : مَعَاذَ اللَّهِ ! فقال رسولُ الله : فنعن على موتينا وسُئِلنا يومَ الحَدِيثِية لا نَقِير ولا نَبْدُل . فقام مِن عنده فدخل على أُمِّته أُمِّ حَسِية ، فمَّا ذَهَبَ لِيَجْلِسَ على فِرَاشِ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم طَوَّعَهُ دَوْنَهُ ، فقال : أَرَعَيْتَ بِهَذَا الْفِرَاشَ عَنِّي ، أَمْ رَغِبْتَ بِي عَنْهُ ؟ فقالت : بَلْ هُوَ فِرَاشُ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، وَأَنْتَ أَمْرٌ لَا تَجُوزُ مُشْرَكَ . قال : يَا بَنِيَّةُ ، لَقَدْ أَصَابَكَ بَعْدِي شَرٌّ ، هَذَبَ : إِنَّ اللَّهَ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ ، وَأَنْتَ يَا ابْنَةَ سَيِّدِ قُرَيْشٍ وَكَبِيرِهَا ، كَيْفَ تَخْفَى عَنكَ فَصْرُ الْإِسْلَامِ ، وَتَبْدُ حَجَرًا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ! فقال : يَا عَمَّا ! وَهَذَا مَنكَ أَيْضًا ! أَلَمْ تَرَ كَيْفَ بَعْدَ آبَائِي وَأَتَمَعَ دِينَ مُحَمَّدٍ ! ثُمَّ قَامَ مِنْ عِنْدِهَا فَلَقِيَنِي أُمَّا بَكْرٌ ، فَكَلَّمَنِي ، وَقَالَ : نَكَلَّمُ أَنْتَ مُحَمَّدًا ، وَتَحْبِرُ أَنْتَ بَيْنَ النَّاسِ . فقال : أُمَّا بَكْرُ : حَوَارِي حَوَارِ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، ثُمَّ لَقِيَنِي عُمَرُ فَكَلَّمَنِي مِثْلَ مَا كَلَّمَنِي بِهِ أُمَّا بَكْرٌ ، فقال عُمَرُ : وَاللَّهِ لَوْ وَحَدَّثَ السُّنُورُ بِكَلِمَتِكَ لَأَعْتَبَهَا عَلَيْكُمْ . قال أبو سُفْيَانُ : خُرَيْتُ مِنْ دِي رَجِيمٍ شَرًّا ! ثُمَّ دَخَلَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ لَهُ : يَا لَيْسَ فِي الْعَوَمِ أَحَدٌ أَمْسَرَ لِي رَحْمَةً مِنْكَ ، فَرَدَدْتُ الْمُدَّةَ وَحَدَّدْتُ الْمَهْدَ ، فَإِنْ صَاحَبَكَ لَا يَرُدُّ عَلَيْكَ أَبَدًا ؛ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ رَحْلًا قَطًّا أَشَدَّ إِكْرَامًا لِمَصَاحِبٍ مِنْ مُحَمَّدٍ لِأَصْحَابِهِ ، فقال عُثْمَانُ : حَوَارِي حَوَارِ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، فحَاءَ أَبُو سُفْيَانٍ حَتَّى دَخَلَ عَلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، فَكَلَّمَهَا ، وَقَالَ : أَحْبَبَرِي بَيْنَ النَّاسِ ، فقالت : إِنَّمَا أَنَا امْرَأَةٌ ، قَالَ : إِنَّ رَجَوَارِكَ حَازِرٌ ، وَقَدْ أَطْرَقَ أَحْتُكَ أَمَّا أَحْمَدُ بْنُ الرَّبِيعِ ، فَأَجَارَ مُحَمَّدٌ ذَلِكَ . فقالت فَاطِمَةُ : ذَلِكَ إِلَى رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ؛ وَأَنْتَ عَلَيْهِ ، فقال : مَرَى أَحَدًا هَذِينَ أَبْلِيكَ يُجِيرُ بَيْنَ النَّاسِ ، قَاتِ : بِهِمَا سَيِّئٌ ، وَبِئْسَ بِحَيْرِ الصَّيِّئِ . فَلَمَّا أَبَتْ عَلَيْهِ أَنِّي عَلَيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : يَا أَبَا حَسَنٍ ، أِحْرُ بَيْنَ النَّاسِ وَكَلِّمْ مُحَمَّدًا لِيُرِيدَ فِي الْمُدَّةِ ، فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَيَبْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانِ ! إِنَّ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم قد عَرَّمَ

أَلَا يَعْمَل ، وليس أحدٌ يستطيع أن يكلمه في شيء بكرهه ، قال أبو سفيان : ها الرأي عندك فتشير لأمرى ، فإنه قد ضاق على ؟ فرنى بأمرٍ ترى أنه ناصي ، قال علي عليه السلام : والله ما أحد لك شيئاً مثل أن تقوم فتجبر بين الناس ، فإنك سيدٌ كنفانة ، قال : أرى ذلك مضياً فبي شيئاً ؟ قال علي : إني لا أظن ذلك والله ، ولكني لا أحد لك غيره . فقام أبو سفيان بين طهرى اساس فصاح : ألا إني قد أحرث بين الناس ، ولا أظن محمدًا ^(١) يحقرني . ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يا محمد ما أظن أن تردّ حوارى ! فقال عليه السلام : أت تقول ذلك يا أبا سفيان ! ويقال : إنه لما صاح لم يأت السى صلى الله عليه وسلم ورك راحته وأطلق إلى مكة . ويروى أنه أيضاً أنى سعد بن جبادة إمسكته في ذلك : وقال : يا أبا ثابت ، قد عرفت الذى كان بيني وبينك ، وإني كنت لك في حرماً حراً ، وكنت لى يترسم مثل ذلك ، وأنت سيد هذه الدرة ، فأحرث بين الناس ، وردنى في الدرة . فقال سعد حوارى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما يحبر أحدٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فلما انطلق أبو سفيان إلى مكة ، وقد كان طالت عييته عن قريش وأبطأ ، فاتهموه وقادوا : زاه قد صبا واتع محمدًا سراً ، وكنت إسلامه ؛ فلما دخل على هند ليلا قالت : قد أحتسبت حتى أتتهمك قومك ، وإن كنت حشتم بنجج فأت الرجل . وقد كان دأماً لها ليمشها ، فأحبرها الخبر وقال : لم أجد إلا ما قال لى علي ، فصربت برحليها في صدوره وفات : فمعت من رسول قوم !

قال الواقدي : فحدثني عبد الله بن عثمان ، عن أبي سفيان ، عن أبيه ، قال : لما أصبح أبو سفيان خلق رأسه عند الصنمين : أساف ومائلة ، وذبح لها ، وجعل يمسح بالهم دعوسهما ، ويقول : لا أطارق عبادتكما حتى أموت على ما مات عليه أبى . قال : ففعل ذلك ليرى نفسه مما أتهمته قريش به .

قال الواقدي : وقالت فريش لأبي سفيان : ما صنعت ؟ وما وراءك ؟ وهل جئتنا بكتاب من محمد وزماني في المدة ؟ فأبانا لا نؤمن من أن يفرضونا ، فقال : والله لقد أتى علي ، ولقد كلمت عليه أصحابه فما قدرت على شيء معهم ، ورموني بكلمة منهم واحدة ، إلا أن عليا قال لما ضاقت بي الأمور : أنت سيد كدنة ، فأجرت بين الناس ، فاديت بالجوار ، ثم دخلت على محمد فقلت : إني قد أحرت بين الناس ، وما أظن محمدا يرد جواردي ، فقال محمد : أنت تقول ذلك يا أبا سفيان ! لم يرد علي ذلك ، قالوا : ما راد علي أن يلق بك تلقا ؟ قال : فوالله ما وجدت غير ذلك .

قال الواقدي : حدثني محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، عن محمد بن خنيس بن مطيع ، قال : لما خرج أبو سفيان عن المدينة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة : حمزينا وأحبي أمرك . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اللهم خذ عن فريش الأخبار والعيون حتى تأتيهم بمنة ؟ ورؤي أنه قال : اللهم خذ علي أنصارهم فلا يروني إلا بمنة ، ولا يسمعون بي إلا خفاة . قال : وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنثاء وحمل عليها الرجال ، ومنع من يخرج من المدينة ، فدخل أبو بكر على عائشة وهي بحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمكث له قمحا سريفا ودقيقا ، وتغرا ، فقال لها : أهن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرو ؟ قالت : لا أدري ؟ قال : إن كان هم سحر ما دينا تنهيا له ، قالت : لا أدري لعنه أراد بي سليم ، لعنه أراد ثقيف أو هوازن ! فاستمعتم^(١) عليه ، فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله ، أردت سفرا ؟ قال : نعم ، قال : أفتجهز ؟ قال : نعم ، قال : وأين تريد ؟ قال : مريشا ، وأخبر ذلك يا أبا بكر ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله الناس فتمهروا ، وطوى عنهم الوحة التي يريد ، وقال له أبو بكر : يا رسول الله ، أو ليس يسا ويسهم مدة ؟ فقال : إنهم قدروا ونقصوا العهد ،

(١) يقال : استمعهم عليه ؛ إذا سكت ولم يمر جوابا .

فأما فاذيهم ، فاطور ما ذكرت لك ، فكل الناس بين طانٍ يظن أنه يريد سلباً ، وظانٍ يظن أنه يريد هوارين ، وظانٍ يظن أنه يريد تعيد ، وظانٍ يظن أنه يريد الشام ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله أبا قتادة بن ربيعي في نفر إلى بطنه ليعطن الناس أن رسول الله صلى الله عليه وآله قدّم أمامه أولئك الرجال فتوجه إلى تلك الجهة ، ولتذهب بذلك الأخبار .

قال الواقدي : حدثني المذير بن سعد ، عن يزيد بن رومان ، قال : لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وآله السر إلى فريش ، وعلم بذلك من علم من الناس ، كتب حاطب ابن أبي بلتمة إلى فريش يحذرهم بالذي أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وآله في أمرهم ، وأعطى الكتاب امرأة من مزية ، وحصل لها على ذلك جُملاً على أن تبلمه فريشا ، حصلت الكتاب في رأسها ، ثم حسبت عليه قرونها وحرحت به ، وأتى الخبر إلى النبي صلى الله عليه وآله من السماء بما صنع حاطب ، فبعث علياً عليه السلام والزبير فقال : أدركا امرأة من مزية قد كتبت معها كتاباً يحذر فريشا ، فخرجا وأدركاها بدى الخنيفة ، فاسترلاها والتصتا الكذب في رخلها فلم يجدوا شيئاً ، فقالا له : تحلف بالله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا كدما ، وتخرج من الكتاب أو لكشيعك . فلما رأتا منهما الخدحت قرونها ، واستخرجت الكتاب فدفعته إليهما ، فأقبلتا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فدعا حاطباً وقال له : ما حملك على هذا ؟ فقال : يا رسول الله ، والله إني لمسلم مؤمن بالله ورسوله ، ما عيرت ولا بدت ، ولكني كنت امرأة ليس لي في القوم أصل ولا عشيرة ، وكل لي بين أظهرهم أهل ووكد ، فصانعتهم . فقال عمر : فانتك الله ! ترى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأخذ بالألقاب وتكتب إلى فريش تحذرهم ! دهن يا رسول الله أضرب عنقه ، فإنه قد باقى ، فقال رسول الله صلى الله

عليه وآله : وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ! قال الواقدي : فما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من المدينة بالآلوية المقودة والرايات بعد العصر من يوم الأربعاء لمسير خولن من شهر رمضان لم يحل عقده حتى انتهى إلى الصنصل^(١) ، والمسلمون يقولون الخيل ، وقد امتطوا الإبل ، وقدم أمانه الزبير بن العوام في مائتين ؛ قال : فلما كان بالبيداء نظر إلى عنان السماء ، فقال : إني لأرى السحاب تسهل^(٢) بنصرى سى كعب - بمعنى حزاعة .

قال الواقدي : وحاء كعب بن مالك ريعان أى حمية يفصد ؟ فترك بين يديه على ركبته ، ثم أشده :

قصينا من نهامة كل نخب^(٣) وخيبر ثم أحمينا الشيوفا
فسائلها ولو نطقت لقلت كوكبين دوسا أو قفينا
علمت محاصر إن لم مروها بساحف داركم منها ألوه
فسرع الحيام يظن وحر ونترك دوركم منها خلوة

قال : فبسم رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يزد على ذلك ، فجعل الناس يقولون : والله ما بين لك رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا ، فلم تزل الناس كذلك حتى نزلوا بمر الظهران .

قال الواقدي : وخرج العباس بن عبد المطلب ومخرمة بن نوفل من مكة يطلبان رسول الله صلى الله عليه وآله فلما مجعا أنه بالمدينة يريدان الإسلام ، فلقيا بالسقيا .

(١) صنصل : بواحي المدينة على سعة أميال منها ؛ رل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خرج من المدينة إلى مكة عام الفتح . باقوت .
(٢) تسهل السحاب ؛ إذا كثرت أمواجه .
(٣) النخب : الدر .

قال الواقدي : فلما كانت الليلة التي أصبح فيها بالحخفة رأى فيها أبو بكر في منامه أن النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه قد دنوا من مسكة نقرحت عليهم كذبة نهر^(١) فلما دنوا منها استلقت على قفاها ، وإذا أطاؤها^(٢) تسحب لبنا ، فقصها على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : ذهب كتبهم ، وأقبل درهم ، وهم سائلونا بأرحامهم ، وأنتم لا فون بعضهم ، فإن لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه .

قال الواقدي : وإلى أن وصل مر الصهران لم يسمع قريشاً حرف واحد من حاله ، فلما زل بمر الظهران أمر أصحابه أن يوقدوا النار ، فأوقدوا عشرة آلاف نار ، وأجمعت قريش أن يمشوا أما سفيان يتجسس لهم الأحبار ، فخرج هو وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء . قال : وقد كان العباس بن عبد المطلب قال : واسوء صاح قريش ! والله إن دخلها رسول الله صلى الله عليه وآله صوة^(٣) إنه لهلك قريش آخر الدهر ! قال العباس : فأحدث نذرة رسول الله صلى الله عليه وآله الشهاب فركتها ، وقلت ~~فأدركت~~ خطاها أو إسانا أبعثه إلى قريش فمكثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يدخلها عليهم غنوة^(٤) : هو الله إني لبي الأراك لئلا أضي ذلك إذ سمعت كلاما يقول : والله إن رأيت كائيلة مارا ، قال : يقول بديل بن ورقاء . إياها ييران حراة جاشها^(٥) الحرب قال : يقول أبو سفيان : حراة أدل من أن تكون هذه يراها وعسكرها ؛ فمرفت صوته ، فقلت : أما حنطة فمرفت صوتي ، قال : لبيك أما الفصل ! فقلت : ويحك ! هذا رسول الله في عشرة آلاف ، وهو مصححك ؛ فقال : نأني وأني ، فهل من حيلة ! فقلت : نعم ، تركت نحر هذه البهلة ، فذهب بك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه إن ظمير بك دون ذلك ليعتدك ؛ قال : والله أما أرى ذلك ، فركت حلي ، ورحل

(١) نهر : تسح

(٢) الأطاء : حطأت الضرع من ذات الحب والصلب والحافر

(٣) جاشها الحرب : أفرصها .

بَدِيلٍ وَحَكِيمٍ فَتَوَخَّعْتُ بِهِ فَلَمَّا مَرَرْتُ بِهِ عَلَى نَارٍ مِنْ نيرانِ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا : مَنْ هَذَا ؟ فإِذَا رَأَوْنِي قَالُوا : عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَغْلَةٍ رَسُولِ اللَّهِ ، حَتَّى مَرَرْتُ بِنِسَارِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَلَمَّا رَأَى قَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قُلْتُ : الْعَبَّاسُ ، فَذَهَبَ يَطَّارُ فَرَأَى أَبَا سُفْيَانَ حَتْنِي ، فَقَالَ : أَبُو سُفْيَانَ عَدُوُّ اللَّهِ ! الْحَدُّ اللَّهُ الَّذِي أَمَكَّنَ مِنْكَ نَفِيرَ عَهْدٍ وَلَا عَهْدٍ ! ثُمَّ حَرَّحَ بِشِدَّةٍ مَحْذُورِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَرَكَعَتْ إِبْرَاهِيمَةُ حَتَّى أَجْتَمَعْنَا جَمِيعًا عَلَى بَابِ قُتَيْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَخَلْتُ وَدَخَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى أَثَرِي ، فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا أَبُو سُفْيَانَ عَدُوُّ اللَّهِ فَدَأْمَكُنْ اللَّهُ مَعَهُ نَفِيرَ عَهْدٍ وَلَا عَهْدٍ ، فَدَعْنِي أَصْرِبْ عَقَبَهُ ، فَعَلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي قَدْ أَحْرَقْتُهُ ، ثُمَّ لَزِمْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا يُبَاحِيهِ اللَّيْلَةُ أَحَدٌ دُونِي ، فَلَمَّا أَكْثَرَ عُمَرُ فِيهِ قَالَتْ : مَهْلًا يَا عُمَرُ ! فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ رَحِلًا مِنْ عَدُوِّ مَنْ كُتِبَ مَا قَلَبَ هَذَا ، وَلَكِنَّهُ أَحَدُ بَنِي عُمَيْرِ مَثَافٍ . فَقَالَ عُمَرُ : مَهْلًا مَا أَبَا أَنْفَعِلَ ، فَوَاللَّهِ لَا إِسْلَامَ لَكَ كُلِّ أَحَدٍ إِلَى مَنْ إِسْلَامَ الْخَطَّابِ . أَوْ قَالَ : مَنْ إِسْلَامَ رَحِلٍ مِنْ وَلَدِ الْخَطَّابِ . لَوْ سَأَمْتُ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : اذْهَبْ بِهِ فَقَدْ أَجْرُنَاهُ ؛ فَنَبَيْتُ عَمْدَكَ حَتَّى تَعْدُوَ بِهِ عَيْنًا إِذَا أَصَحَّتْ . فَلَمَّا أَصَحَّتْ عُدْتُ بِهِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ : وَيُبْحِكُ يَا أَبَا سُفْيَانَ ! أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ! قَالَ : نَأْيَ أَنْتَ مَا أَحْلَمْتُكَ وَأَكْرَمْتُكَ وَأَعْظَمْتُ عَمُوكَ ! قَدْ كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي أَنْ لَوْ كَانَ مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ آخَرٌ لَأَعْنَى ؛ قَالَ : يَا أَبَا سُفْيَانَ أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ : يَا بَنِي أُمِّتٍ مَا أَحْلَمْتُكَ وَأَكْرَمْتُكَ وَأَعْظَمْتُ عَمُوكَ ! أَمَّا هَذِهِ فَوَاللَّهِ إِنَّ فِي النَّفْسِ مِنْهَا لَشَيْئًا بَعْدُ ، قَالَ الْعَبَّاسُ : فَقُلْتُ وَيُبْحِكُ ! تَشْهَدُ وَقُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تُقْتَلَ . فَتَشْهَدُ . وَقَالَ الْعَبَّاسُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ أَبَا سُفْيَانَ وَفِيهِ الشَّرَفُ وَالْفَخْرُ ، فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا ، فَقَالَ : مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَعْلَقَ دَارَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، ثُمَّ قَالَ : حَدِّثْهُ فَاحْسِنْهُ بِمَصْنُوعِ الْوَادِي إِلَى حَطْمِ الْجَبَلِ

حتى تمر عليه جُنود الله فبرأها . قال العباس : فعدتُ به في مَضيق الوادي إلى خُطم
الحمل فحسسته هناك ، فقال : أعدداً يا بني هاشم ! فبتُ له : إنَّ أهل النبوة لا يَعدرون ،
وإنما حسنتك لحاجة ؛ قال : فهلا بدأت بها أولاً فأعتمتسيها ، فكان أفرخ لرُوعي ! ثم
مرت به القبائل على قادتها ، والكتائب على راياتها ، فكان أول من مرَّ به خالد بن
الوليد في بني سليم ، وهم ألف ، ولهم لواءان يحمل أحدهما العباس بن مرداس والآحر
خفاف بن نُدبة ، وراية يحملها ابقاد ، فقال أبو سُفيان ، يا أبا العَصل ، من هؤلاء ؟ قال :
هؤلاء بنو سليم ، وعليهم خالد بن الوليد ، قال : العلام ؟ قال : نعم ، فلما حدى خالد
العباس وأبا سُفيان كبر ثلاثاً وكبروا معه ، ثم مضوا . ومرَّ على أثره الزبير بن العوام في
حماية ، فيهم جماعة من المهاجرين وقوم من أنباء الساس ، ومعه راية سوداء ، فلما حادها
كثر : ثلاثاً وكبر أصحابه فقال : من هذا ؟ قال : ههنا الزبير ، قال : ابن أختك ! قال : نعم ،
قال : ثم مرت به بنو عِفار في ثلاثة يحمل رايتهم أبو حرة . ويقال : إيعاء بن رخصة . فلما
حادوها كبروا ثلاثاً ، قال : يا أبا العَصل : من هؤلاء ؟ قال : بنو عِفار ؛ قال : مالي
ولبني عِفار ! ثم مرت به أسلم في أربعة يحمل لواءها يزيد بن الحبيب ، ولواء آخر مع
ناحية بن الأنهم ، فلما حادوه كبروا ثلاثاً ، فسأل عنهم فقال : هؤلاء أسلم ، فقال : مالي
ولأسلم ! ما كان يسنا وبينهم ريرة قط ، ثم مرت سو كعب بن عمرو بن حُرارة في حماية
يحمل رايتهم بشر بن سُفيان ، فقال : من هؤلاء ؟ قال : كعب بن عمرو ، قال : نعم حلماة
محمد ، فلما حادوه كبروا ثلاثاً . ثم مرت مُربعة في ألف فيها ثلاثة ألوية مع التمان
ابن مقرن ، وبلال بن الحارث ، وسبده الله بن عمرو ، فلما حادوها كبروا ، قال : من
هؤلاء ؟ قال : مُربعة ، قال : يا أبا العَصل ، مالي ومُربعة ، قد جاءني تُقنع من شواهدنا^(١) .

ثمّ مرتّ جُهيّنة في ثمانمائة ، فيها أربعة أنوية مع معبد بن خالد ، وسويّد بن صخر ، ورافع بن مُكيث ، وعبد الله بن بدر ، فلما حادّوه كبروا ثلاثا فسأل عنهم ، فقبل : جُهيّنة . ثمّ مرتّ بنو كنانة وبسوليث وصنتر وسعيد بن أبي بكر في مائتين ، يحيل لواءهم أبو واقدا الليثي ، فلما حادّوه كبروا ثلاثا ، قال : من هؤلاء ؟ قال : بنو بكر . قال : نعم أهلُ شؤم هؤلاء الذين عزّانا محمد لأجلهم ! أما واقدر ما شؤرت فيهم ، ولا علمته ، ولقد كنت له كارها حيث بلغني ، ولكم أمرٌ حمٌّ^(١) ، قال العتاس ، لقد خارَ الله لك في عزو محمد إياكم ، ودخلتم في الإسلام كافة ، ثمّ مرتّ أشجعُ - وهم آخرون من مرّ به قبل أن تأتي كتيبةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وهم ثلاثة يحمل لواءهم معقل بن سنان ، ولواء آخر مع نعيم بن مسعود فكبروا - قال : من هؤلاء ؟ قال : أشجع ، فقال : هؤلاء كانوا أشدّ العرب على محمد ، قال العتاس : نعم ؛ **(يَكُنْ اللَّهُ أَمْرًا حَلَّ الْإِسْلَامَ قُلُوبَهُمْ ؛ وَدَلَّكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ . فَسَكَتَ وَفَالَ : أَمَّا مَرَّةٌ مَحْدُودَةٌ دَلَّ لَا ، وَلَوْ رَأَيْتَ الْكَتِيْبَةَ الَّتِي هُوَ فِيهَا رَأَيْتَ الْحَدِيدَ وَالْحَيْلَ وَالرَّحَالَ ، وَمَا لَيْسَ لِأَحَدٍ بِهِ طَاقَةٌ ، فَلَمَّا طَلَعَتْ كَتِيْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْخَضْرَاءَ طَلَعَ سَوَادٌ شَدِيدٌ وَبَعْرَةٌ مِنْ سَنَابِلِكَ الْخَيْلِ ، وَجَعَلَ النَّاسُ يَمْرَوْنَ ، كُلٌّ ذَلِكَ يَقُولُ : أَمَّا مَرَّةٌ مَحْدُودَةٌ ؟ فَيَقُولُ الْعَتَاسُ : لَا ، حَتَّى مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِسَيْرٍ عَلَى نَاقَتِهِ الْقُصْوَى بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَأَسِيدِ بْنِ خُضَيْرٍ ، وَهُوَ يَحْدَثُهُمَا ، وَقَالَ لَهُ الْعَتَاسُ : هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي كَتْمَتِهِ الْخَضْرَاءَ ، فَأَنْطَرُ ، قَالَ : وَكَانَ فِي تِلْكَ الْكَتِيْبَةِ وَحَوْهَ الْمَهِاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَفِيهَا الْأَوَّلِيَّةُ وَالرَّايَاتُ ، وَكَلِمَتُهُمْ مُضْمَنُونَ فِي الْحَدِيدِ لَا يُرَى مِنْهُمْ إِلَّا الْخَلْقُ ، وَلِعَمْرٍ بِنِ الْحَطَّابِ فِيهَا رَحْلٌ^(٢) وَعَلَيْهِ الْحَدِيدُ ، وَصَوْتُهُ عَالٌ ، وَهُوَ يَرْعُهَا ، فَقَالَ : يَا أَبَا الْفَضْلِ ، مِنْ هَذَا الْمُتَكَلِّمِ ! قَالَ : هَذَا**

(١) حم ، أي ولحم .

(٢) زحل ، أي صوت .

عمرُ بن الخطاب؛ قال: لقد أمرُ بهيَ عديَ بعدَ قلةٍ وذلةٍ ! فقال : إنَّ اللهَ يرفعُ من يشاءُ بما يشاءُ ، وإنَّ عمرَ ممنُ رفعه الإسلامُ ، وكان في الكتبية ألفا دارع ، وراية رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مع سعد بن عُبادَةَ ، وهو أمامُ الكتبية ، فلما حاداهما سعد نادى : يا أبا سفيان :

اليومَ يومُ اللّحمَةِ اليومَ تُسبى الحرمةُ

اليومَ أدلَّ اللهَ قريشاً ، فلتَ حاداهما رسولُ الله صلى الله عليه وآله ناداه أبو سفيان : يا رسولَ الله ، أمرتَ بقتل قومك ؟ إنَّ سعداً قال :

ايومَ يومُ اللّحمَةِ اليومَ تُسبى الحرمةُ

اليومَ أدلَّ اللهَ قريشاً ، وإنى أشدُّك اللهَ في قوميك فانتَ أرى الناسَ ، وأرحمُ الناسَ ، وأوصلُ الناسَ . فقال عثمانُ بنُ عفانٍ وسعدُ الرحمنُ بنُ عوفٍ : يا رسولَ الله ، إنا لا نأمنُ سعداً أن يكونَ له في قريشِ صوتٌ ، فوهب رسولُ الله صلى الله عليه وآله وناداه ، يا أبا سفيان ، بل اليومَ يومُ المرحمةِ ، اليومَ أعزَّ اللهَ قريشَ ، وأرسلَ إلى سعدٍ فعرَّته عن اللّواءِ . وأحتلبَ فيمن دَفَعَ إليه اللّواءَ فقبل : دَفَعَهُ إلى عليٍّ بنِ أبي طالبٍ عليه السلام ، فذهب به حتّى دخلَ مكَّةَ ، فعرَّده عبدُ الرّكَّابِ - وهو قولُ ضرارِ بنِ الخطابِ المَهْرى - وقيل : دَفَعَهُ إلى قيسِ بنِ سعدِ بنِ عُبادة - ورأى رسولُ الله صلى الله عليه وآله أنَّه لم يُخرجْه عن سعدٍ حيث دَفَعَهُ إلى ولده ، فذهب به حتّى عرَّده ما لَحَحُونُ ؟ قال : وقال أبو سفيانُ للمعتمدِ : ما رأيتُ مثلَ هذهِ الكتبية قطُّ ، ولا أحبرُ به محمداً ، سبحانَ الله ! ما لأحدٍ بهمؤلاءِ طائفةٌ ولا يدان ! لقد أصبحَ ملكُ ابنِ أخيك يا عيسى عظيمًا ، قال : فقلت : وَيَبْحَكَ ! إنه ليس بملكٍ ، وإِنَّها النبوةُ ؛ قال : نعم .

قال الواقدي : قال المعتمدُ : فقلتُ له : أُنَحِّ وَيَبْحَكَ ، فأدركَ قومك قبل أن يدخلَ

عليهم ؛ فخرج أبو سفيان حتى دخل من كداء وهو يُبَادِي : مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ
آمِنٌ ، وَمَنْ أَعْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، حَتَّى أَتَى إِلَى هَدْرٍ سِتٍّ عَشْرَةَ ، فَقَالَتْ : مَا وَرَاءُكَ ؟
قَالَ : هَذَا مُحَمَّدٌ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ ، عَلَيْهِمُ الْحَدِيدُ ، وَقَدْ حَمَلَ لِي أَنَّهُ مِنْ دَحَلِ دَارِي فَهُوَ آمِنٌ ،
وَمَنْ أَعْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَلْقَى سِلَاحَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، فَقَالَتْ : فَحَكَ اللَّهُ مِنْ رَسُولِ
قَوْمٍ ! وَجَعَلَتْ تَقُولُ : وَيَحْكُمُ ! اقْتُلُوا وَاحِدَكُمْ فَدَحَّهَ اللَّهُ مِنْ وَاحِدِ قَوْمٍ ! يَقُولُ أَبُو سُفْيَانَ :
وَيَحْكُمُ ! لَا تَفَرِّتْكُمْ هَذِهِ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ، فَإِنِّي رَأَيْتُ مَا لَمْ تَرَوْا : الرِّجَالَ ، وَالْكُرَاعَ ،
وَالسِّلَاحَ ، لَيْسَ لِأَحَدِهِمْ طَاقَةٌ ، مُحَمَّدٌ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ ، فَاسْلِمُوا تَسْلَمُوا . وَقَالَ الْمُرَادِيُّ
« اكْتَامِلْ » ، : أَمْسَكَتْ هَذَا رَأْسَ أَبِي سُفْيَانَ وَقَالَتْ : شَسْ طَلِيعةُ الْقَوْمِ ! وَاللَّهِ مَا حَدِثْتُ
خَدِشًا ، يَا أَهْلَ مَكَّةَ ، عَلَيْكُمْ الْحَمِيَّةُ الدَّمُ فَاغْبُوهُ . قَالَ : الْحَمِيَّةُ : الرِّزْقُ الْمَرْفُوعُ .

قَالَ الْوَاهِدِيُّ : وَخَرَجَ أَهْلُ مَكَّةَ إِلَى دِي طُؤَى يَطْرُدُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ،
وَانصَوَى إِلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمِّهِ وَعِكرمةَ بْنِ أَبِي حِجَلٍ وَشُهَيْلَ بْنِ عَمْرٍو بَاسًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَمِنْ
بَنِي بَكْرٍ وَهَدَيْلَ ، فَلَمَّسُوا السِّلَاحَ ، وَأَقْسَمُوا لَا يَدْخُلُ مُحَمَّدٌ مَكَّةَ عَنَوةً أَمْدًا . وَكَانَ دَحَلٌ مِنْ
بَنِي الدَّوَلِ يَقَالُ لَهُ : حَمَاسُ بْنُ قَيْسِ بْنِ حَالِدِ الدَّوَلِيِّ لَمَّا تَمَّيَّعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
حَكَسَ يُصْلِحُ سِلَاحَهُ ، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّ رَأْنَةَ : لَمْ تَمِدَّ السِّلَاحَ ؟ قَالَ : لِحَمْدِ وَأَصْحَابِهِ ، وَإِنِّي لِأَرْجُو
أَنْ أُحْدِمَكَ مِنْهُمْ خَادِمًا ، فَإِنَّكَ إِيَّاهُ مَحْتَاحَةٌ ، قَالَتْ : وَيَحْكُمُ لَا تَعْمَلُ ! لَا تُقَاتِلُ مُحَمَّدًا ،
وَاللَّهِ يَبْضُلُنَّ هَذَا عَمَكَ لَوْ رَأَيْتَ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ ! قَالَ : سَتَرَيْنَ ، وَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ مَمْتَحِرًا ^(١) مُرْدُ حِجْرَةٍ ، وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سُودَادٌ ، وَرَأْيَتْهُ
سُودَاءُ ، وَلَوَاؤُهُ أَسْوَدٌ ، حَتَّى وَفَّ بَدَى طُؤَى ، وَتَوَسَّطَ النَّاسَ ، وَإِنْ عُثْمُوهُ لَيْسَ وَاسِطَةً
الرَّحْلَ ، أَوْ يَقْرُبُ مِنْهُ تَوَاصَعًا اللَّهُ حَيْثُ رَأَى مَا رَأَى مِنْ الْقَتْلِ وَكَثْرَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَقَالَ :
لَا عِيشَ إِلَّا عِيشُ الْآخِرَةِ .

(١) مَمْتَحِرًا : لَا بَأْسًا .

وجعلت الخيلُ تبعَ بنى طوى و كل رَحْه ، ثم ثابَتْ ومكثَتْ ، والتفت رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أُسَيد بن حُصَرة ، فقال : كيف قال حنَّان بنُ ثابت ؟ قال : فأَشَدَّه :

عَدِمْنَا حَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُبِيرُ النَّفْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ (١)

نَظَلَّ حِبَادُنَا مَتَمَطَّرَابٍ نَاتَمَّهِنَّ بِالْخَمْرِ النَّسَاءُ (٢)

فتسم رسول الله صلى الله عليه وآله ، وسَمِعَ الله ، وأمرَ الزبيرَ بنَ العوام أن يدخلَ من كَدَاءَ ، وأمرَ خالدَ بنَ الوليد أن يدخلَ من اللَّيْطِ ، وأمرَ قيسَ بنَ سعد أن يدخلَ من كُدَيْ ، ودخل هو صلى الله عليه وآله من أَدَاخِر .

قال الواقدي : وحدثني مروان بن محمد ، عن عيسى بن عَميلة الفراري ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وآله مكة بين الأقرع بن حابس وعُيَيْنَةَ بنِ حِصْنِ

قال الواقدي : وروى عيسى بن مَعْمَر ، عن عَنَاد بن عبد الله ، عن أسماء بنت أبي بكر ، قالت : صعد أبو نَحافة بصري هاربه وأسمها قريبه ، وهو يومئذٍ أُمَي ، وهي تقوده حتى ظهرت به إلى أبي قيس ، فتأثرت به قال : يا بُنَيَّة ، ماذا تَرَيْنِ ؟ قالت : أَرَى سواداً محتماً معلاً كثيراً ! قال : يا بُنَيَّة ، تلك الخيل ، فاطري ماذا تَرَيْنِ ؟ قالت : أَرَى رجلاً يسعى بين ذلك السواد مُقِيلاً ومدراً ، قال : ذاك الوارع ، فاطري ماذا تَرَيْنِ ؟ قالت : قد تفرق السواد ، قال : قد تفرق الخنثى ، البيت البيت ؟ قالت : فزلت الحارية به وهي تُرْعِبُ لما ترى ، فقال : يا بُنَيَّة ، لا تحاي ، فوالله إن أحاك عتيقا لآثر أصحاب محمد عند محمد ؟ قالت : وعليها صوتٌ من فصة ، فاحتلَّسه بعضُ من دخل ،

(١) دبوانه • والنفع : العيار .

(٢) مشطرات : مسرعات . والخمر : جمع خمر .

فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله مكة حمل أبو بكر يداي : أشدكم الله أيها الناس طَوْقَ أُخْتِي ؛ فلم يرد أحد عليه ، فقال : يَا أُخْتِي احْنَسِي طَوْقَكَ ، فَإِنَّ الْأَمَانَةَ فِي النَّاسِ قَلِيلٌ .

قال الواقدي : وَبَعَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنِ الْحَرْبِ ، وَأَمَرَ يَقْتُلَ سِتَّةَ رِجَالٍ وَأَرْبَعَ نِسَاءٍ : عِكْرَمَةَ بِنْتُ أَبِي جَهْلٍ ، وَهَتَارِ بْنِ الْأَسْوَدِ ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرَّاحٍ ، وَمُقَيْسَ بْنَ صُبَاةِ اللَّيْثِيِّ ، وَالْخَوَيْرِثَ بْنَ ثَقِيلٍ ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ هَلَالٍ بْنَ حَظَلٍ الْأَدْرِيَّ ، وَهَدِيتَ عُنْبَةَ ، وَسَارَةَ مَوْلَاةَ لِسَى هَاشِمٍ ، وَفَيْتَيْنِ لَابْنِ حَظَلٍ : قَرِيْبًا وَقَرِيْبَةً ، وَيُقَالُ : قَرِيْبًا وَأَرْبَ .

قال الواقدي . وَحَدَّثَ الْحَمُودُ كُلُّهَا ، فَلَمْ تَبْقَ خَرْتًا إِلَّا حَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَإِنَّهُ وَحْدَهُ نَحْنًا مِنْ قَرِيْشٍ وَأَحَابِثُهَا قَدْ حَمَلُوا لَهُ ، فِيهِمْ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ ، وَعِكْرَمَةُ بِنْتُ أَبِي جَهْلٍ ، وَسَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو ، فَخَمَوْهُ الدَّحُولَ ، وَشَبَّهُوا السَّلَاحَ ، وَرَمَوْهُ بِالسَّلِ ، وَغَالُوا : لَا تَدْخُلُهَا عَمْرُؤُةٌ أَبَدًا ؛ فَصَاحَ خَالِدُ فِي أَصْحَابِهِ ، وَقَاتَنَهُمْ ، فَقُتِلَ مِنْ قَرِيْشٍ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ ، وَمِنْ هَذِيلٍ أَرْبَعَةٌ ، وَانْهَزَمُوا أَقْبَحَ انْهَرَامٍ حَتَّى قُتِلُوا بِالْحَرُورَةِ ، وَهُمْ مُؤْتُونَ مِنْ كُلِّ وَحْشَةٍ ، وَأُتِلَقَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَوْقَ رُءُوسِ الْحِمَالِ ، وَأَتَتْهُمْ الْمَسْلُوحُ ، وَحَمَلُ أَبُو سُيَّانٍ بِنَ حَرْبٍ وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ يَنَادِيَانِ : يَا مَعْشَرَ قَرِيْشٍ ، هَلَامَ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ ؟ مَنْ دَخَلَ دَارَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَعْلَقَ عَلَيْهِ بَابُهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ وَصَحَ اسْتِلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَقْتَحِمُونَ الدَّوْرَ وَيُمْلَقُونَ عَلَيْهِمُ الْأَبْوَابَ ، وَيَطْرَحُونَ السَّلَاحَ فِي الطَّرِيقِ حَتَّى يَأْخُذَهُ الْمَسْلُوحُونَ .

قال الواقدي : وَأَشْرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ عَلَى نَبِيَّةٍ أَدَاخِرَ ، فَمَطَرَ إِلَى الْبَارِقَةِ ، فَقَالَ : مَا هَذِهِ الْبَارِقَةُ ؟ أَلَمْ أَتَهُ عَنِ الْقِتَالِ ؟ فَبِيلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، حَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ

فَوَيْلٌ ، وَلَوْ لَمْ يُقَاتِلْ مَا قَاتَلَ ؟ فَقَالَ : نَصَاءٌ لِّهِ خَيْرٌ ، وَأَقْبَلَ أَنْ خَطَلَ مَدْحُحًا فِي الْحَدِيدِ عَلَى فَرَسٍ دَنُوبٍ^(١) بِيَدِهِ قَنَاقَةً يَقُولُ . لَا وَتَهُ لَا يَدْخُلُهَا عَمُوءَةٌ حَتَّى يَرَى صَرْنًا كَثُفَ وَاهٍ الزَّادَ ، فَتَمَّ أَنْتَهَى إِلَى الْحَدَمَةِ وَرَأَى الْقَتْلَ دَحْنَهُ رُغْبٍ حَتَّى مَا يَسْتَمِيكَ مِنَ الرُّعْدَةِ ، وَصَرَّ هَارِبًا حَتَّى أَنْتَهَى إِلَى الْكُفَّةِ ، فَدَخَلَ بَيْنَ أَسْتَارِهَا لَمَّا دَأَى طَرَحَ سِلَاحَهُ وَتَرَكَ فَرَسَهُ ، وَأَقْبَلَ حَمَاسُ بْنُ حَالِدٍ السَّوَلِيَّ مَهْرَمًا حَتَّى أَتَى ابْنَتَهُ مَدْفَقَةً ، فَتَنَحَّطَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ فَدَخَلَ ، وَوَدَّ دَهَبَتْ رُوحَهُ ، فَقَالَتْ : أَيُّ الْخَادِمِ الْآتَى وَعَدَنِي ؟ مَارِلْتُ مُنْطَرِنْتُكَ مَسْدُ يَوْمٍ ، تَسْخَرُ بِهِ ، فَقَالَ : دَعَى هَذَا وَأَعْلَقَ الْبَابَ ، فَإِنَّهُ مِنْ أَعْلَقَى بَنَاتِهِ هُوَ آمِنٌ ، قَالَتْ : وَيَبْحَثُ ! أَلَمْ أَمْهِكْ عَنْ قَتْلِ مُحَمَّدٍ ؟ وَقُلْتَ لَكَ : إِنِّي مَا رَأَيْتُهُ يَدُ نُسُكٍ مَرَّةً إِلَّا وَطَهَرَ عَلَيْكُمْ ، وَمَا بِنَا ؟ قَالَ : إِنَّهُ لَا يَمْنَعُ عَلَى أَحَدٍ بَنَاتِهِ ، ثُمَّ أَنْشَدَهَا^(٢) :

إِنَّكَ لَوْ شَهِدْتَنَا بِالْحَدَمَةِ إِذَا فَرَّ صَعَوَانُ وَفَرَّ عِكْرَمَةُ
وَوُوْ بَرِيدٍ كَالْمَجْجُورِ الْمُؤْتَمَةِ وَصَرَبْنَا هُمْ بِالسَّيُوفِ الْمُسَدَةِ^(٣)
لَهُمْ رَثِيرٌ حُلْمًا وَعَنْعَمَةٌ لَمْ يَسْطِقْ فِي اللَّوْمِ أَدْنَى كَلِمَةٍ^(٤)

قَالَ الْوَاقِدِيُّ : وَحَدَّثَنِي قُدَامَةُ بْنُ مُوسَى ، عَنْ شَيْبَةَ مَوْلَى الْمَارِثِيِّينَ ، عَنْ حَارِثِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : كُنْتُ مَعَ لُحْمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ ، فَدَخَلْتُ مَعَهُ يَوْمَ الْفَتْحِ مِنْ أَدَاخِرِ ، فَلَمَّا أَشْرَفَ نَظَرَ إِلَى بَيْتِ مَكَّةَ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَنَظَرَ إِلَى مَوْصِعِ قُنَّةٍ بِالْأَبْطَحِ تَجَاهَ شَعْبِ بَنِي هَاشِمٍ حَيْثُ حُصِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلُهُ ثَلَاثَ

(١) دَنُوبٌ . وَافَرُ الْقَدَبُ مَا يَحْرِيكَ .

(٢) سَبْرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٤ : ٢٧ .

(٣) الْمُؤْتَمَةُ : إِلَى قَتْلِ رُوحِهَا وَتَقَى لَهُ أَوْلَادُ أَبِيهِمْ ، وَالْمُسَدَةُ ، أَرَادَ الْمُسَدِينَ ، وَيَسْمَعُ فِي ابْنِ هِشَامٍ :

يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَتُجْعَلُ ضَرْبًا فَلَا يَنْبَغُ إِلَّا صَعَمَةٌ

(٤) ابْنُ هِشَامٍ : وَلَهُمْ بَيْتٌ .

سبين ؟ وقال : يا جابر ، إن منزلنا اليوم حيث تقفمت علينا قريش في كفرها ؛ قال جابر : فذكرتُ كلاما كنتُ أسمعُه في المدينة قبل ذلك ، كان يقول : منزلنا عدأً إن شاء الله إذا فتح علينا مكة في الخيف حيث تقاسموا على السكندر .

قال الواقدي : وكانت قننه يومئذ بالأدَم صُرِبَتْ له بالحنون ، فأقبل حتى انتهى إليها ومعه أُم سلمة وميمونة .

قال الواقدي : وحدثني معاوية بن عبد الله بن عبيد الله ، عن أبيه ، عن أبي رافع ، قال : قيل للنبي صلى الله عليه وآله : ألا نمرل مَرِّكَ من الشعب ؟ قال : وهل ترك لنا عقيل من ممرل ! وكان عقيل قد باع ممرل رسول الله صلى الله عليه وآله ومبارل لإخوته من الرجال والنساء عكة ، فقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله : فارل في بعض بيوت مكة من عبر مبارلك . فأنى وقال : لا أدخل البيوت ؛ فلم يزل مضطرباً بالحنون لم يدخل بيتاً ، وكان دأى إلى السجد من الحنن ، قال : وكذلك فعل في عمرة القصية وفي حجته .

قال الواقدي : وكانت أُم هاني بنت أبي طالب تحت هيرة بن أبي وهب المخزومي هذا كان يوم الفتح دخل عليها خنوا لهُب : عبد الله بن أبي ربيعة والخارث بن هشام المخزوميان ، فاستجارا بها ، وقالا : نحن في حوارك ؛ فقالت : نعم أتما في جوارى . قالت أُم هاني : فهما عندي إذا دخل عليّ فارس مدحج في الحديد ولا أعرفه ، فقلت له : أما كنت عم رسول الله ، فأسفر عن وجهه ، فإذا عني أحي ، فاعتقته ، وطر إليهما فشهرا السيف عليهما ، فقلت : أحي من بين أساس صمغ لي هذا ؟ فالتيت عليهما ثوباً ، فقال : أتحرير من اشركين ! فحنت دونهما ، وقت . لا والله واسدي بن قنلهما ؛ قالت : خرج ولم يكذب ، فأعلقت عليهما بيتاً ، وقلت : لا تحمدا ، ودهست إلى حياء رسول الله صلى الله

عليه وآله بالبطحاء فلم أجده ، ووجدتُ فيه فاطمة ، فقلت لها : ما لقيتُ من ابن أُمي عليّ !
 أجرتَ حمّوين لي من الشرّكين ، فتعلّت عليهما ليقتلها ، قالت : وكانت أشدّ عليّ من
 زوجها ، وقالت : لمْ يُخَيِّرِني الشرّكين ! وطّيع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه النّار ،
 فقال : مرحباً بفاخنة - وهو اسمُ أم هاني - فقلتُ : ماذا لقيت من ابن أُمي عليّ ما كدتُ
 أفلت منه ! أجرتَ حمّوين لي من الشرّكين ، فعُتت عليهما ليقتلها ، فقال : ما كل ذلك
 له ، قد أحرّنا من أحرّ وأُمّنا من أُمّت ، ثم أمر فاطمة فَكَبَّتْ له غُسْلاً فاعتكَل ، ثم
 صلى ثمانى ركعات في ثوب واحد ملتصقاً به وقت الصّبح ؛ قالت : فرحمتُ إليهما وأخبرتهما ،
 وقلت : إن شئنا فاقيا ، وإن شئنا فارحما إلى مشارلكما ، فأقاما عدى و مرلى يومين ؛ ثم
 انصرفا إلى منارتهما .

وأتى آتٍ إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال : إن الحارث بن هشام وعبد الله
 ابن أبي ربيعة جالسا في نادهما ممتصّان في اللّاء المرغمر ، فقال : لا سبيل
 إليهما ، قد أحرّناهما .

قال الواقدي : ومكث رسول الله صلى الله عليه وآله في قبة ساعة من النهار ، ثم
 دعا راحلته بعد أن اعتسل وصلى ، فأدريت إلى باب القبة ، وخرج وعليه السلاح والمِعْر
 على رأسه ، وقد صُفّ له الناس ، فركبوا وأخيلُ تمعج^(١) ما بين الخدمة إلى الحجّون ، ثم
 مرّ وأبو بكر إلى جنبه على راحلة أخرى يسير ويُجاذبه ، وإذا بساتُ أبي
 أُحيحة سعيد بن العاص بالبطحاء حذاء منزل أبي أُحيحة ، وقد تشرّن شعورهنّ ، فطمعن
 وجوه الخليل بالحُرّ ، فظفر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أبي بكر ، فتسم وأنشد
 قولَ حسان :

(١) تمعج : تسرع .

تَطَلَّ جِيادُنا مَتَمَطَّراتٍ تُنَظِّمَنَ بِالْخَمْرِ النِّسَاءَ

فلما انتهى إلى الكعبة تقدم على راحلته ، فاستلم الركن بمخضه ، وكبر فكبر المسلمون لتكبيره ، وعجّوا لتكبير حتى ارتحت مكة ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يشير إليهم أن اسكنوا ، واشركون فوق الحمال يبطرون ، ثم طاف بالبيت على راحلته ، ومحمد بن مسلمة أخذ برامها ، وحول الكعبة ثلثائة وستون سبما مرصومة بالرصاص ، وكان هلال اعظمها ، وهو تحاه الكعبة على ماها ، وإساف وثالثة حيث يتخرون ويذبحون النبايح ، فعمل كلّا يمرّ بصم مهب يشير بفضيف في يده ويقول : ﴿ جاء الحقّ وذهب الباطل إنّ الباطل كان زهوقا ﴾ ، فيقع لصم نوحه ، ثم أمر بهتل فكسر وهو واقف عليه ، فقال الزبير لأبي سفيان . يا أبا سفيان ، قد كسر هلال ، أما إنك قد كنت معه يوم أحد في عرور حين ترعى أنه قد أنتم ، فقال : دع هذا علك يا بن المومّام ، فقد أرى أن لو كان مع إله محمد غيره لكان غير ما كل .

قال الواقدي : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس ناحية من المسجد وأرسل بلالا إلى عثمان بن طلحة يأتيه بالفتح ، مفتاح الكعبة ، فقال عثمان : نعم ، فخرج إلى أمه وهي بنت شيبه ، فقال لها والفتح عدها يومئذ : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد طلب المفتاح ، هالت : أعيدك بالله أن يكون الذي يذهب مائة قومه على يده ؟ فقال : فوالله لتأتيني به أو ليأتيتك عيري فيأخذه منك ، فأدحتني في حفرتها ، وقالت : أيّ رجل يدخل يده هاها ! بسماها على ذلك وهو يكلمها . د سمعت صوت أبي بكر وعمر في الدار ، وعمر رافع صوته حين رأى عثمان أبطأ : يا عثمان اخرج ، فقالت أمه : خذ المفتاح ، فلأن تأخذه أنت أحبّ إلى من أن يأخذه نيم وعدى ، فأخذه فأتى به رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلما تناوله تسلط العباس بن عبد المطلب يده وقال : يا رسول الله ، باني أمّ ! اجمع لنا بين السقاية والحجابة ، فقال : إنما أعطيتكم ما رضون فيه ، ولا أعطيتكم ما ترددون منه ،

قالوا : وكان عثمانُ بنُ طلحة قد قدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وآله مع خالد بن الوليد وعمر بن الماص مسلحا قبل الفتح .

قال الواقدي : ونشأ رسول الله صلى الله عليه وآله عمر بن الخطاب ومعه عثمان بن طلحة ، وأمره أن يفتح البيت فلا يدع فيه صورة ولا تمثالا إلا صورة إبراهيم الخليل عليه السلام ، فلما دخل الكعبة رأى صورة إبراهيم شيخا كبيرا يستقسم بالأرلام^(١) .

قال الواقدي : وقد روى أنه أمره محصور الصور كلها لم يستس ، فترك عمر صورة إبراهيم ، فقال لعمر : ألم أمرك ألا تدع فيها صورة ؟ فقال عمر : كانت صورة إبراهيم ، قال : فامحها ، وقال : قاتلهم الله ، جعلوه شيخا يستقسم بالأرلام !

قال : وعما صورة مريم . قال : وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله عابه وآله عما السود بيده ، روى ذلك ابن أبي دؤب ، عن عبد الرحمن بن مهران ، عن عمر مولى ابن عباس ، عن أسامة بن زيد ، قال : دخلتُ مع رسول الله صلى الله عليه وآله الكعبة ، فرأى فيها صورة ، فأمرني أن آتيه في الدنو بعمد ، فحمل يُلُث به الثوب ويضرب به الصور ويقول : « قاتل الله قوما يصورون ما لا يخلفون ! » .

قال الواقدي : وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بالكعبة فأُعفيت عليه ، ومعه فيها أسامة بن زيد ، وبلال بن رباح ، وعثمان بن طلحة ، فكث فيها ما شاء الله ، وخالد بن الوليد واقف على الباب يَدُ الماص عنه ، حتى حرج رسول الله صلى الله عليه وآله وآله ، فوقف وأخذ يصادقني^(٢) ، الباب ، واشترى على أسامة وفي يده المفتاح ، ثم حمله في كتفه ، وأهل مكة قيامٌ تحته ، وبعضهم جلوس قد ليطأ بهم ؛ فقال الحمد لله الذي

صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ماذا تقولون ؟ ومادا تظنون ؟ قالوا :
 تقول حيرا ، ونظن شرا أح كرم ، وابن أح كرم ، وقد قدرت ، فقال : إني أقول
 كما قال أحى يوسف : ﴿ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَمِرُّ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾
 ألا إن كل رباً في الجاهلية أو دم أو مأثرة فهو تحت قدسي هاتين إلا سيادة الكعبة
 وسقاية الحاج . ألا وفي قتيل ريشه العمد ، قتيل اعصا والسوط الدية معطاة مائة ناقة ، منها
 أربعون في بطونها أولادها . إن الله قد أذهب نخوة الجاهلية ونكبرها بابائها ، كلكم
 لآدم ، وآدم من تراب . وأكرمكم عند الله أتقاكم . ألا إن الله حرم مكة يوم خلق
 السموات والأرض ، فهي حرام محرم الله ، لم تحل لأحد كان قبل ، ولا تحل لأحد يأتي
 بعدي ، وما أحلت لي إلا ساعة من النهار . قل : يقصدها رسول الله صلى الله عليه وآله
 بيده هكذا . لا سقر سيدها ، ولا يمسد عضاها ، ولا تحل لنفطها إلا لمشد ، ولا يمتلئ
 خلاها . فقال الناس : إلا الإذخر رسول الله ، فإنه لا بد منه للقصور والبيوت ، فسكت
 رسول الله صلى الله عليه وآله ساعة ثم قال إلا الإذخر ، فإنه حلال ، ولا وصية لوارث ،
 والولد للعراش ، وللماهر الحجر ، ولا يمن لامرأة أن تعطى من مالها إلا يادن روحها ،
 والمسلم أخو المسلم ، والمسلمون إخوة ، يداً واحدة على من سواهم ، تشكافاً دماؤهم ، يسعى
 بدميتهم أديانهم ، ويرة عليهم أفعاسهم ، ولا تقتل مسلم بكافر ، ولا ذو عهد في عهده ،
 ولا يتوارث أهل ملتين مختلطين ، ولا تسكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ، وابتينة
 على من أذعن ، واليمين على من أسكر ، ولا تسامر امرأة مسيرة ثلاث إلامع ذي محرم ،
 ولا صلاة بعد العصر ، ولا بعد الضحى ، وأماكم عن صيام يومين : يوم الأضحى ويوم
 البقر . ثم قال : ادعوا لي عثمان بن طلحة ، فجاء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله
 قال له يوماً بمكة قبل الهجرة ومع عثمان نيتاح : مالك سترى هذا المفتاح بيدي يوماً أصغه
 حيث شئت ؟ فقال عثمان : لقد هلكك مريض يدأ ودلت ! فقال عليه السلام : بل عمرت
 وعزّت ؟ قال عثمان : فلما دعاني يومئذ والمفتاح بيدي ذكرت قوله حين قال : فاستقبلته

بشر ، فاستقبلني بمثله ، ثم قال : حذوها يا بني أبي طلحة حادثة نالدة ، لا يترها منكم إلا ظالم . يا عثمان ، إن الله استأمنكم على بيته ، فكلوا بالمعروف ؛ قال عثمان : فلما ولّيت ناداني فرحمت ، فقال : ألم يكن الذي قلت لك ! يعني ما كان قاتله بمكة من قبل ، فقلت : بلى أشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال الواقدي : وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ برفع السلاح ، وقال : إلا خراعة عن بني بكر بنى سلة الهمر . فخطبهم بالسيف ساعة ، وهي الساعة التي أحييت لرسول الله صلى الله عليه وآله .

قال الواقدي : وقد كان نوفل بن معاوية لدؤلى من بني نكر استأمن رسول الله صلى الله عليه وآله على نفسه ، فأمنه ، وكانت خراعة تطلعه بدماء من قتل بكر وغريش منها بالوتير ، وقد كانت خراعة قالت أبصا لرسول الله صلى الله عليه وآله : إن أس بن ذؤم هالك ، فهدر رسول الله صلى الله عليه وآله دمه ، فلما فتح مكة هرب وألتحق بالجمال ، وقد كان قتل أس بفتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكة ول شعرا يصدر فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من مجلته :

| | |
|------------------------------|-------------------------------|
| أنت الذي تهدي صدق أمره | بك الله يهديها وقال لها أرشدي |
| فما جئت من نافع فوق كورها | أرأ وأوى دمة من عمدي |
| أحت على خير وأوسع نائلا | إذا راح بهنر اهتزاز المهدي |
| وأكسى لرد الحال قبل ارتدائه | وأعطى رأس السائق المتحرر |
| تعلم رسول الله أنك مدركي | وأن وعيدا منك كالأخذ باليد |
| تعلم رسول الله أنك قادر | على كل حي من مهام ومسجد |
| وبني رسول الله أتي هونك | فلا رفعت سوطي إلى إذن يدي |
| سوى أنني قد قلت يا وبيع فتية | أصبروا بخسر يوم طلق وأسعد |

أصابهم من لم يكن لفسادهم كفاء فزرت عبرى وتلدى
ذوياً وكثوما وسلمى تتاعوا حيماً فلا تدمع العين أ كعد
على أن سلمى ليس منهم كئيله وإخوته وهل ملوك كأعبر !
فأنى لا عرضاً خرقت ولا دماً خرقت ففكر عالم الحق وأقصير

قال الواقدي : وكانت كلته هذه قد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن يفتح مكة ، فسميت عنه ، وكلته يوم الفتح نوفل بن معاوية الأول ، فقال : يا رسول الله ، أنت أولى الناس بالله ، ومن منا لم يمدك ولم يؤدك ، ونحن في جاهلية لا ندري ما نأخذ وما ندع ، حتى هدانا الله بك ، وأقصدنا بيمينك من الملكة ، وقد كذب عليه الركب ، وكثروا في أمره عندك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : دع الركب عك ، إنما لم يجد اتهاماً أحداً من دوى رجلي ولا نبي إلا كان أبر بنا من حراقة ، سكنت يا نوفل ؟ قلنا سكت قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قد عموت عنه فقال نوفل : هداك أبي وأمي .

قال الواقدي : وحادث الطهر ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بلالا أن يؤد فوق ظهر الكعبة وقريش في رموس الجبال ، ومنهم من قد تعيب وسر وجهه خوفاً من أن يقتلوا ، ومنهم من يطلب الأمان ، ومنهم من قد آمن . فلما أدن بلال وبلغ إلى قوله : « أشهد أن محمداً رسول الله » ، صلى الله عليه وآله رقع صوته كأنه ما يكون ؛ قال : تقول جويزية بنت أبي جهل : قد لعمري رجع لك ذكرك ، فأما الصلاة فسلمى ، ولكن والله لا نحب من قتل الأختة أبداً ، ولقد كلن حاء أبي الذي جاء محمداً من النبوة ؛ فردها ولم يرذ خلاف قومه .

وقال خالد بن سعيد بن العاص : الحمد لله الذي أكرم أبي فلم يدرك هذا اليوم ؟

وقال الحارث بن هشام : وأُكْلَاهُ ! لَيْتَنِي يَتَّ قُلَّ هَذَا الْيَوْمَ قُلَّ أَنْ أَسْمَعَ بِلَا يَنْهَنِي
فَوْقَ الْكَمَةِ ! وقال الحكم بن أبي العاص : هَذَا وَاللَّهِ أَخَذْتُ الْمَطْبِخَ ، أَنْ يَصِيحَ عَبْدُ
بَنِي جُمَحٍ ، يَصِيحُ بِمَا يَصِيحُ هَ عَلَى يَتِ أَنْ يَصْدَحَ ، وَقُلَّ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو ، إِنْ كَانَ هَذَا
سُخْطًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَيَسْمِعْهُ ، وَإِنْ كَانَ قُدْرَةً فَيَسْمِعْهُ ؛ وَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : أَمَا أَنَا فَلَا أَقُولُ
شَيْئًا ، لَوْ قُلْتُ شَيْئًا لَأَحْرَقْتُهُ هَذِهِ الْحَصَاءُ ، قُلَّ : فَأَتَى حِرَاقِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَأَخْبَرَهُ بِمَقَالَةِ الْقَوْمِ .

قال الواقدي : فَكَانَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو يَحْدِثُ فَيَقُولُ : لَمَّا دَخَلَ مُحَمَّدٌ مَكَّةَ انْقَسَمْتُ
فَدَخَلْتُ بَيْتِي وَأَعْلَقْتُهُ عَلَى ، وَقُلْتُ لَأَسِيَّ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ سُهَيْلٍ : اذْهَبْ فَاطْلُبْ لِي جَوَادًا
مِنْ مُحَمَّدٍ ، فَإِنِّي لَا أَمْنُ أَنْ تُقْتَلَ ، وَحَمَلْتُ أَنْ تَذْكُرَ تُرَى عِنْدَهُ وَعِنْدَ أَهْلِيهِ فَلَا أَرَى أَسْوَأَ أَثَرًا
مَتَى ، فَإِنِّي لَقِيتُهُ يَوْمَ الْحَدَنِيَّةِ عَامَ بَلْعَنَةِ أَحَدٍ ، وَكُنْتُ نَدَى كَاتِبِهِ ، مَعَ حَصُورِي
بُدْرًا وَأَحَدًا ، وَكَلَّمَا نَحَرْتُ كُنْتُ قَرْنِي كُنْتُ ، فَذَهَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُهَيْلٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أُنِي تَوَمَّهَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، هُوَ آمَنَ بِمَا نَالَهُ ،
فَلْيُظْهِرْ ، ثُمَّ انْتَمَتْ إِلَيَّ مِنْ حَوَلِهِ فَقَالَ : مَنْ لَقِيَ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو فَلَا يُشَدُّ الْفَطْرَ إِيَّاهُ .
ثُمَّ قَالَ : قُلْ لَهُ : فَلْيُخْرِجْ ، فَامْصُرِي إِنْ سَهِيلاً لَهُ عِلٌّ وَشَرَفٌ ، وَمَا مِثْلُ سُهَيْلٍ خِيَلُ
الْإِسْلَامِ ، وَلَقَدْ دَرَى مَا كَانَ يُوصَعُ بِهِ إِنْ يَكُنْ لَهُ تَدَاعٍ ، فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى أَبِيهِ فَأَخْبَرَهُ
بِمَقَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَقَالَ سُهَيْلُ : كَانَ وَاللَّهِ بَرًّا صَغِيرًا وَكَبِيرًا ، وَكَانَ
سُهَيْلُ يُقْبِلُ وَيُدْرِي غَيْرَ خَائِفٍ ، وَخَرَجَ بِي خَيْرَ مَعَ أَسِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ عَلَى
شِرْكِهِ حَتَّى أَسْلَمَ بِالْحُجْرَانَةِ .

ثم الجزء السابع عشر من شرح نهج الدلائل لابن أبي الحديد

وبليه الجزء الثامن عشر

فهرس الكتب*

- ٤٦ - من كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله ٣
- ٤٧ - من وصية له عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام لما ضرب به ابن ملجم ٥ - ٦
- ٤٨ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية ١٢
- ٤٩ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضا ١٤
- ٥٠ - من كتاب له عليه السلام إلى أمراءه على الجيوش ١٥
- ٥١ - من كتاب له عليه السلام إلى عماله على الخراج ١٩ - ٢٠
- ٥٢ - من كتاب له عليه السلام إلى أمراء البلاد في معنى الصلاة ٢٢
- وبيان اختلاف الفقهاء في أوقات الصلوات ٢٢ - ٢٩
- ٥٣ - من كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر الفخمي لما ولّاه على مصر ٣٠ - ٣٧
- ٥٤ - من كتاب له عليه السلام إلى كنانة واليزيد مع عمران بن الحصين الخزاعي ١٣١
- ٥٥ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية ١٣٥
- ٥٦ - من كتاب له عليه السلام أوصى به شريح بن هاني لما جعله على مقدمته ١٣٩
- إلى الشام
- ٥٧ - من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة مسيره من المدينة إلى البصرة ١٤٠
- ٥٨ - من كتاب له عليه السلام كتبه إلى أهل الأمصار يقص فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين ١٤١
- ٥٩ - من كتاب له عليه السلام إلى الأسود بن قطبة صاحب جند حلوان ١٤٥
- ٦٠ - من كتاب له عليه السلام إلى المهمل الذين يظلمهم الجيوش ١٤٧

٦١ - من كتاب له عليه السلام إلى كميل بن زياد النخعي وهو عامله على هيت ١٤٩

٦٢ - من كتاب كتبه له عليه السلام إلى أهل مصر مع مالك الأشر

٢٢٦-١٥١

لما وآلاه ولايتها

٦٣ - من كتاب له عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري وهو عامله على

الكوفة ، وقد بلغه عنه تبيطه الناس عن الخروج إليه لما نذبهم لحرب

٢٤٦

أصحاب الجمل

٢٥١، ٢٥٠

٦٤ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً عن كتابه



مركز تحقيقات مخطوطات اسلامی

• فهرس الموضوعات

| | |
|---------|---|
| ١١- ٨ | فصل في ذكر الآثار الواردة في حقوق الجار |
| ٣٨٤ ٣٧ | فصل في النهي عن ذكر عيوب الناس وما ورد في ذلك من الآثار |
| ٤١- ٣٩ | فصل في النهي عن سماع السماية وما ورد في ذلك من الآثار |
| ٥٨- ٥٥ | رسالة الإسكندر إلى أرسطو ورد أرسطو عليه |
| ٦٨- ٦١ | فصل في القضاة وما يلزمهم، وذكر بعض نوادرهم |
| ٧٥٤ ٧٤ | عهد سابور بن أردشير إلى ابنه |
| ٧٨- ٧٦ | فصل فيما يجب على مصاحب الملك |
| ٨٠٤ ٧٩ | فصل في الكتاب وما يلزمهم من الآداب |
| ٨٣- ٨٠ | فصل في ذكر ما نصحت به الأوائل للوُكلاء |
| ٩٦- ٩١ | ذكر الحجاب وما ورد فيه من الخبر والشر |
| ١٠٦- ٩٨ | طرف من أخبار عمر بن عبد العزيز وتراحمته في خلافته |
| ١١٠٤١٠٩ | فصل فيما جاء في الخلد من كيد العدو |
| ١٣٠-١١٨ | فصل في ذكر بعض وسايا العرب |
| ١٣٢ | عمران بن الحصين |
| ١٣٣٤١٣٢ | أبو جعفر الإسكافي |
| ١٣٩ | شريح بن هاني |
| ١٥٠٤١٤٩ | كميل بن زياد ونسبه |
| ٢٢٥-١٥٤ | ذكر ما طعن به الشيعة في إمامة أبي بكر والجواب عنها |
| ١٦٤-١٥٥ | الطعن الأول في ذكر ما طعن به عليه فيه من أمر فذك |
| ١٦٨-١٦٤ | الطعن الثاني في قوله : ليتني كنت سألت رسول الله عند موته عن ثلاثة ... |

- الطعن الثالث في توليته عمر مع أن رسول الله لم يوله شيئاً من أعماله ١٦٨-١٧٥
- الطعن الرابع لتأخيره إقصاد جيش أسامة ١٧٥-١٩٤
- الطعن الخامس بمناسبة أن الرسول عليه السلام لم يوله الأعمال وولى غيره ١٩٥-٢٠١
- الطعن السادس في أنه لم يعرف الفقه وأحكام الشريعة ٢٠١، ٢٠٢
- الطعن السابع في عدم إقامته الحد على خالد بن الوليد وقد قتل مالك بن نويرة ٢٠٢-٢١٤
- الطعن الثامن فيما تم من دفنه وعمر مع رسول الله في بيته ، وقد منع الله تعالى الكل من ذلك في حال حياته ٢١٤-٢١٩
- الطعن التاسع في أنه نص على عمر بالخلافة مخالفاً في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم - برغمهم ٢١٩، ٢٢٠
- الطعن العاشر في أنه سمى نفسه بخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اعترافه بأنه لم يستخلفه ٢٢١
- الطعن الحادي عشر في أمره بحرق الفجاءة السلي بالنار وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ٢٢٢
- الطعن الثاني عشر في أنه تكلم في الصلاة قبل التسليم ٢٢٢، ٢٢٣
- الطعن الثالث عشر في أنه كتب إلى خالد بن الوليد وهو على الشام يأمره أن يقتل سعد بن عباد - برغمهم ٢٢٣، ٢٢٤
- الطعن الرابع عشر في أنه لما استخلف قطع لنفسه على بيت المال أجرة كل يوم ثلاثة دراهم ٢٢٤
- الطعن الخامس عشر في أنه أمر في خلافته بأن من كان عنده شيء من كلام الله فليأته به ؛ مع أن القرآن قد بان بفصاحته عن فصاحة البشر ٢٢٤، ٢٢٥
- أخبار الوليد بن عقبة ٢٢٧-٢٤٥
- كتاب معاوية إلى علي ٢٥١-٢٥٣
- ذكر الخبر عن فتح مكة ٢٥٧-٢٨٤